التليفزيون وأثره في حياة أطفالنا
فوائد ومخاطر

تأليف

ويلبور شيكرام

جاك ليل

أدوين باركر

ترجمة

زكريا حسن

تقديم ومراجعة

د. عزت منصور

الكتاب: التليفزيون وأثره في حياة أطفالنا فوائد ومخاطر
الكاتب: ويلبور شيكرام ، جاك ليل ، أدوين باركر
ترجمة: زكريا حسن
تقديم ومراجعة: د. عزت منصور
الطبعة: ٢٠٢٠

الناشر: وكالة الصحافة العربية (ناشرون)
٥ ش عبد المنعم سالم – الوحدة العربية – مدكور- الهرم – الجيزة
جمهورية مصر العربية
هاتف : ٣٥٨٢٥٢٩٣ _ ٣٥٨٦٧٥٧٦ _ ٣٥٨٦٧٥٧٥
فاكس : ٣٥٨٧٨٣٧٣
E-mail: news@apatop.comhttp://www.apatop.com

All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior permission in writing of the publisher.

جميع الحقوق محفوظة: لا يسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب أو أي جزء منه أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من الناشر.

دار الكتب المصرية
فهرسة أثناء النشر

شيكرام ، ويلبور/ ليل ، جاك / باركر ، أدوين
التليفزيون وأثره في حياة أطفالنا فوائد ومخاطر / ويلبور شيكرام ،جاك ليل ، أدوين باركر ،ترجمة : زكريا حسن تقديم ومراجعة: د عزت منصور – الجيزة – وكالة الصحافة العربية.
٢٧١ ص، ١٨ سم.
الترقيم الدولى: ٣ – ٧٤١ – ٤٤٦ –٩٧٧ – ٩٧٨
أ – العنوان رقم الإيداع : ٧٩٢٨ / ٢٠١٨

التليفزيون وأثره في حياة أطفالنا

فوائد ومخاطر





تقديم

يعد التليفزيون الوسيلة الإعلامية الأكثر رواجا وشيوعا وتأثيرا، والذي يحتل المكانة الأولى بين الناس على اختلاف مستوياتهم وأماكن وجودهم، ففي حين يعتبره بعض الناس جهاز تسلية وترفيه يقضون حوله ساعات فراغهم، ينظر إليه آخرون على أنه يملك إمكانيات سياسية وتعليمية وتثقيفية واقتصادية واسعة حيث يمكن أن يلعب دورا خطيرا في حياة الأمم.

كيف ينظر الناس إلى التليفزيون؟

هذا سؤال جدير بالإجابة لأنه يحدد الدور المتوقع له ،فهناك من ينظر إلى التليفزيون باعتباره قطعة ضرورية لاستكمال أثاث المنزل، والبعض الآخر ينظر باعتباره فرداً غريباً بين أفراد الأسرة، ولكنه ضروري لمسامرتهم وتسليتهم، والترفيه عن أطفالهم ومجالستهم، وهناك من ينظر إليه باعتباره مفسدة وهو من عمل الشيطان، وهناك من يراه وسيلة تزود أطفالنا بالخبرات الضرورية والمعلومات التي تساعدهم في نموهم النفسي والعقلي. أما علماء الاتصال والتربية وعلم النفس والاجتماع فإنهم ينظرون إليه نظرة موضوعية ترى فيها وسيلة اتصالية لها جوانبها الإيجابية والسلبية في الخبرات ونوعيتها وكميتها التي يمكن أن يتلقاها الإنسان.

ويطمح التربويون في أن يكون التليفزيون نافذة تطل على آفاق رحبة تساعد على نمو الأطفال النفسي والعقلي وتساعد على إشباع حاجاته وتهيئته للمدرسة والحياة وهذا طموح بعيد المنال ، إذ ندرك أن التليفزيون سلاح ذو حدين : فهو قد يؤدي إلى تزييف الوعي، ويؤدي إلى الإحباطات، ويعطل ملكة الخيال ويشجع الروح الاستهلاكية ،من خلال الإعلانات ويعزز الصور النمطية لديه، ويؤدي إلى النضج المبكر للأطفال ، ويعزز روح العنف عندهم، ولكن في المقابل إذا أحسن استخدامه يمكن أن يكون عاملاً مساعداً في التنشئة الاجتماعية، فهو يستطيع أن يغرس القيم الاجتماعية الإيجابية، وأن يعزز شعور الانتماء الوطني ، ويمكن أن يزود الأطفال بالمعلومات الجديدة التي من الصعب معاينتها مباشرة، وكذلك يمكنه أن يزيد في ثروته اللغوية، ويعلمه بعض أنماط السلوك الجيد ، أي أن بإمكانه المساهمة في تكوين شخصيته وبناء ثقافته.وإذا كان الطفل في بيئة اجتماعية لا تخلو من الأخطاء فإن وسائل الإعلام ومنها التليفزيون لا يمكن إعفاؤها من المسئولية، ولقد أثبتت الدراسات أن التليفزيون له أكبر الأثر على تصورات وسلوكيات الأطفال بسبب عدم تكون معايير لديهم بحكم قلة معرفتهم وخبرتهم.

وفي عالم اليوم وبعد نحو سبعين عاما من بث أول إرسال تليفزيوني شهده العالم توسع مفهوم التليفزيون، فلم يعد مقتصرا على الوسيلة الإعلامية المعروفة التي تستقبل البث التليفزيوني من إحدى المحطات، محطات البث المرئي الأرضي أو الفضائي وما يستقبله الأطفال من برامج سواء كانت موجهة إليهم أو للكبار؛ بل يتعداه إلى أي استخدام يقوم به

الأطفال لجهاز التليفزيون سواء كان لمشاهدة أفلام الفيديو أو الأسطوانات المدمجة DVD & CD أو استخدام شاشته للألعاب الألكترونية، ويشمل كذلك استخدام شبكة الإنترنت لاستقبال ما تبثه المحطات التليفزيونية من برامج عبر الشبكة.ويرجع إتساع هذا المفهوم لأسباب عديدة أهمها:

– طول الفترة التي يقضيها طفل ما قبل المدرسة لمشاهدة برامج التليفزيون أو أفلام على الأقراص المدمجة السي دي CD أو دي في دي DVD أو استخدامها في اللعب الإلكتروني .

– تأثير قضاء ذلك الوقت مع التليفزيون على الأطفال ، بغض النظر عما يشاهده ، والذي رصدته العديد من الدراسات، مثل تأثيره على الأنشطة الأخرى والصحة وغيرها.

– التوجه القائم الآن في مجال تكنولوجيا الاتصال نحو استخدام الوسائط المتعددة واستخدام الاتصال التفاعلي ، مما يعزز أهمية التليفزيون في هذا المجال يوماً إثر يوم، مع إمكانية استقباله عبر الإنترنت والهاتف المحمول مما يقود إلى اندماج في وظائف ووسائل الاتصال.

وهذا التوسع في المفهوم يحفظ للكتاب الذي نقدمه اليوم أهميته، ويضمن عدم تعرضه للتقادم، فهو من أوائل الدراسات التي تناولت آثار التليفزيون على الطفل، ويعد من الكلاسيكيات في هذا المجال، فمؤلفوه هم: ويلبور شيكرام، وجاك ليل، وأدوين باركر من العلماء الأمريكيين في مجالات التربية وعلمي النفس والإجتماع، وكانت تلك الأقسام في

أربعينيات القرن العشرين فروعا لعلم واحد يعني بالإنسان، ولم يكن ذلك العلم يومها قد بلغ من التوسع ما بلغه اليوم فنشأت عنه علوم ثلاثة. لهذا تتوالى طبعات كتابهم الرائد " التليفزيون وأثره في حياة أطفالنا" إلى اليوم. وقد سعوا جميعا في الكتاب إلى دراسة التأثيرات المحتملة والممكنة للتليفزيون على جمهور الأطفال، وتطرقوا إلى التأثيرات المحتملة سواء كانت إيجابية أو سلبية التي يحتمل تأثر الأطفال بها، كما أنه يتطرق لمسألة أخرى شديدة الأهمية، وهي ثقافة الطفال ومن أين يكتسبونها ودور التليفزيون في اكتسابهم لها، ويحاول التوصل إلى شكل ومحتوى البرامج التليفزيونية التي تناسب الطفال، والتي من شأنها أن تزيد التأثيرات الإيجابية وتنحي التأثيرات السلبية.

ويرجع الاهتمام بتأثير التليفزيون على الأطفال إلى أن مشاهدة التليفزيون تستهلك من وقت الأطفال أكثر من أي نشاط آخر، باستثناء النوم، لذلك يطلق البعض عليه اسم جليس الأطفال، وتلك حقيقة فالأطفال اليوم يجلسون مع التليفزيون أكثر مما يجلسون مع والديهم. وفي إحصائية أمريكية وجد بعض الباحثين أنه في المتوسط يوجد في البيت الأمريكي جهاز تلفزيون يعمل خمس ساعات ونصف، ويشاهد المرء في المتوسط منذ الثانية من عمره حتى ٦٥ سنة ما يعادل تسع سنوات طيلة حياته ، وقبل تخرج العديد من تلاميذ الثانوية فإنهم يكونون قد شاهدوا ما يزيد عن عشرين ألف ساعة، وبالمقابل فإنهم يكونون قد قضوا خمس عشرة ألف ساعة في المدرسة.

إن التكنيكات التي طورها التليفزيون التجاري والإعلان لديها المقدرة الهائلة على إغواء الأطفال لمشاهدة جميع البرامج حتى تلك التي لا يريدون مشاهدتها، ومن ثم فإنها تقوم بسلب أوقاتهم من حيث لا يشعرون، يمتلك التليفزيون بما يقدمه شكلاً واقعياً من الاتصال فهو ليس كالكتاب مثلاً يقدم كلمة مطبوعة، ولكنه يقدم لنا الواقع مصوراً أو متحركا فهو يخاطب حاسة السمع والبصر من خلال أساليبه الفنية والتقنيات المتطورة، إن التكنيكات التي طورها التليفزيون التجاري والإعلان لديها المقدرة الهائلة على إغواء الأطفال لمشاهدة جميع البرامج حتى تلك التي لا يريدون مشاهدتها، أما الصور في التليفزيون فإنها لا تتطلب شيئاً من هذا النوع ، إنها تتطلب أن تكون عيناك مفتوحة، فالصور تنفذ وتسجل في الذاكرة سواء فكرت حولها أم لا ، إنها تنسكب داخلك كسائل في إناء. والمخيف في التليفزيون أن المعلومات تنفذ ولكننا لانقوم برد فعل تجاهها. إنها تنفذ مباشرة إلى أقنية الذاكرة ومن المحتمل أن نقوم برد الفعل لها فيما بعد، ولكننا لا نعرف آنذاك لماذا نرد على الأفعال ؟ فحينما تشاهد التليفزيون فأنت تدرب نفسك على عدم ردك على الأفعال.

وإذا استسلمنا كأسر لمشاهدة التليفزيون دون أن نعلم أطفالنا كيف يشاهدون ومتى يشاهدون، فإن المشاهدة ستكون ذات جوانب سلبية ، فعلى الوالدين أن يعملا على تدريب أطفالهما على المشاهدة النقدية.

وهذا الجانب لم يفت مؤلفو الكتاب، فشملته الدراسة وكشفت أن الأطفال الذين يشاهدون التليفزيون تكون ردود أفعالهم تجاه الطوارئ

بطيئة، لأنهم حينما يشاهدون التليفزيون يتدربون على عدم الردود على الأفعال.

و الكتاب جاء نتيجة الأبحاث ودراسات تحليلية استمرت مدة ثلاث سنوات في عشر بيئات اجتماعية مختلفة بالولايات المتحدة وكندا ، وقد بدأ بالدراسة الميدانية على أطفال الصفوف الستة بمدارس المرحلة الأولى في سان فرانسسكو وكيفية استعمالهم للتليفزيون، وكانت النتائج الأولى مشجعة على مواصلة البحث في نفس المدينة إلى نهاية المرحلة الإعدادية، ثم مضى البحث إلى منطقة "روكي ماونتين" حيث وجد ظروفًا مختلفة تمامًا عن ظروف سان فرانسسكو ، وقد نظم المؤلفون الباحثون مقابلات مع نحو مائتي أسرة للحصول على البيانات اللازمة للبحث.

وكان لابد لاتمام البحث المقارن أن يتابعوا الدراسة على أطفال مدينة لم تصل إليها شبكة الإذاعة التليفزيونية – في ذلك الوقت في مطلع الخمسينات من القرن العشرين – حتى يمكن مقارنة النتائج بتلك التي وصلوا إليها مع الأطفال الذين دخل التليفزيون مدينتهم فلم لم يجدوا مثل هذه المدينة في أمريكا – على حد قولهم – فيقولولون "كان من المحتم أن نذهب إلى كندا حيث أكملنا البحث والدراسة في مدينتين لهما نفس الظروف الاجتماعية والثقافية التي تسود المنطقة الأمريكية وكان التليفزيون قد دخل إحدى هاتين المدينتين دون الأخرى التي لم تكن قد امتدت إليها شبكة الإرسال التليفزيوني بعد". وحول تلك الدراسات دارت فصول الكتاب التسعة، وكان آخرها بمثابة الخاتمة للكتاب، ففيه أجمل المؤلفون

نتائج الدراسة فيما يخص كل الآثار المحتملة التي يمكن أن تحدثها مشاهدة التليفزيون في الطفال، بعدها ذيلوا الكتاب بما يمكن اعتباره ملحقا له، وهو مقالة بعنوان "احلام اليقظة مع صور الشاشة الساحرة" أعدها الدكتور "لورنس زبليك فريدمان"وقد كان وقتها اخصائيا للأمراض النفسية لمركز الدراسات العليا لعلم السلوك –ستانفورد –كاليفورنيا، والدراسة مثلها مثل الكتاب تتناول"آثار التليفزيون على الطفل"، وفيها يرى أن أحلام اليقظة التي يستغرق فيها معظم الأطفال قد تبلغ من الوضوح والقوة درجة تتضاءل أمامها أشد برامج التليفزيون إثارة، كما أن القصص العاطفية قد تبدو غامضة لو قورنت بالصور الواقعية التي تتجلى عليها الأحلام، وإن التليفزيون بكل ما تتيحه إمكانياته للطفل يعتبر قزمًا ضئيلًا أمام الخيالات العملاقة التي يراها الطفل في أحلامه، ولكن التليفزيون وسيلة عامة تشترك في مشاهدة برامجه جماهير الناس، وتستطيع شاشته الساحرة أن تسيطر على حواس البصر والسمع التي يستعملها الأطفال للتمييز بين الخيال والواقع. فكلًا من التليفزيون والأحلام يمنح الإنسان فرصة لإشباع رغباته في الخيال لمواجهة الشعور بالإحباط الذي يصادفه في عالم الواقع ، ولكن إذا أفرط المرء في إحدهما فقد يترتب على ذلك أن يصبح بديلًا ضارًا من الحياة أو ربما يؤدي إلى حالة مرضية، وقد اعتدنا أن نحصل من أحلام اليقظة والتليفزيون على صورة مقلوبة لما في نفوسنا من عاطفة كما أنه عن طريقهما يمكن تحليل دقائق شخصياتنا وحالة المجتمع الذي نعيش فيه، ويخلص إلى أن دراسة فروق السن والبيئة تمكن من التنبؤ بمكان الطفل على أساس الصحة النفسية فيكون عمق الأثر النفسي لاستجابة الطفل

للتليفزيون هو المقابل لتحقيق رغباته التي يحصل عليها من الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه بين أسرته ومدرسته وأصدقائه، فيمكننا أو نتنبأ بأن الطفل الأقل ذكاء، والمصابين بالقلق والذين على خلاف شديد مع أفراد أسرهم وأصدقائهم هم الذين يستغرقون في مشاهدة التليفزيون هربًا من مشاكلهم وليجدوا فيه عاملًا مثيرًا، أما الأطفال الاذكياء والذين يتمتعون بحياة هادئة نسبيًا في بيوت يسودها الوفاق فهؤلاء لا يتأثرون ببرامج التليفزيون.

د. عزت منصور

الفصل الأول

تساؤلات حول التليفزيون والأطفال

لا يستطيع أحد أن يصدر حكمًا قاطعًا فيما يتعلق بالبرامج التليفزيونية فيقول إنها ضارة أو صالحة للأطفال. فهناك من البرامج ما يكون له أثر ضار على بعض الأطفال في بعض الظروف ولكن بالنسبة لأطفال آخرين، وفي نفس الظروف السابقة أو بالنسبة لنفس الأطفال في ظروف مختلفة قد تكون هذه البرامج نفسها ذات أثر طيب.

والمؤكد أن القدر الأكبر من برامج التليفزيون، وبالنسبة للغالبية العظمى من الأطفال لا يترتب عليه ضرر أو فائدة، إننا حين نذكر شيئًا عن أثر التليفزيون على الأطفال فإننا في الواقع نستعمل عبارة ذات حدين: أحدهما يتعلق بالأطفال، والآخر بالتليفزيون، وقد نظن من استعمال كلمة "أثر" أن التليفزيون هو المؤثر والطفل هو الذي يقع عليه الأثر، أي أن الطفل يأخذ الجانب السلبي ويكون الضحية بينما يكون التليفزيون الأثر الإيجابي كأنما هو المعتدي على الطفل، لكن ما أبعد هذا القول عن الحقيقة، إن الأطفال في علاقتهم بالتليفزيون يكونون في غاية الإيجابية فهم الذين يستعملون الجهاز كيفما شاءوا.

وعلى ذلك فالصورة الصحيحة للأطفال مع التليفزيون ليست هى صورة أطفال في موقف الضحايا لاحول لهم ولا قوة أمام ذلك الجهاز وإنما

هى في الحقيقة صورة الجهاز عندما يجتذبهم إليه ليختاروا من لتناول ما لذ لهم من المشروبات.

حقًا إن برامج التليفزيون بها كثير من قصص الخيال ومواقف العنف، وأن التنوع بين مختلف البرامج ضئيل فليس أمام الطفل إلا أن يتقبل ما يقدم له من البرامج، فمن طبيعة التليفزيون أن يقلل بقدر الإمكان من التنويع بين البرامج ولكن من طبيعة الإنسان أن يعوض هذا النقص وخاصة من جانب الأطفال.

وأن ما يقدمه التليفزيون من مختلف البرامج للأطفال – كما سنوضح فيما بعد، لايختلف في أساسه عن البرامج الإذاعية للراديو، وكذلك لايختلف عما يشاهده الأطفال من القصص السينمائية، ولكن تأثر الأطفال بالتليفزيون والوسائل الأخرى هى التي تختلف اختلافًا كبيرًا.

إننا حين نتحدث عن آثار التليفزيون نقصد في الحقيقة كيفية استعمال الأطفال لهذا الجهاز، فالطفل عندما يدير جهاز التليفزيون يفعل ذلك ليرضي حاجة في نفسه، ويجد في البرامج بعض الخبرات يفيد منها فيما بعد وسوف يؤكد الكتاب في صفحاته التالية أن الأطفال يختلفون في مشاهدتهم للبرنامج التليفزيوني الواحد ولكن نتيجة لعمليات الاختبار تحدث زيادة في خبراتهم المختزنة، وبالتالي تنضج ما لديهم من مفاهيم وقيم ومظاهر السلوك، ففي بعض الظروف قد يؤدي اختيار بعض البرامج التليفزيونية إلى اتجاه الطفل نحو الجريمة أو العنف أو ضعف الخلق وفي ظروف أخرى تساعد برامج من نوع مختلف على إنماء مفاهيم صحيحة عن

حياة الكبار والقيم الديموقراطية وفي ظروف ثالثة قد لا يكون للبرامج أية آثار على الطفل سواء كانت كانت ضارة أو نافعة.

وقد تعرض العلماء لمشكلة التليفزيون وأثره على الطفل، ولكن الغالبية من الكتاب كانوا من طبقة النقاد، وهؤلاء انبروا للكتابة بحرارة زائدة لأن التليفزيون من المواضيع القليلة التي تثير بين الناس اختلافًا في الرأي وجدلًا كبيرًا كما أننا نحس بمزيد القلق إذا عملنا أن إنسانًا ما أو شيئًا ما سيتعرض لأطفالنا بالضرر ونظرًا لعدم الوصول إلى نتائج يمكن الاتفاق عليها في موضوع هذا الجدل ولقلة الحقائق التي يعتمد عليها تأكيد بعض نقاط البحث لم ينته الموضوع إلى إثبات صحة الشكوك الموجهة للتليفزيون بقدر ما أدى إلى ظهور مجموعة من الأسئلة المثيرة.

١. هل يقلل التليفزيون من معرفة الطفل ؟ أم يساعد على توسيع مداركه وزيادة معرفته ؟

كان هناك أمل في أن يصبح التليفزيون في المنزل وسيلة للعلم والتربية بما يفتحه من نوافذ المعرفة على الآفاق البعيدة من العالم، وبما يقدمه من الأنباء والأفكار الجديدة وشخصيات العظماء للأطفال، ولكن من ناحية أخرى لوحظ أن أضعف الأطفال تحصيلًا في المدرسة هم أكثرهم إقبالًا على برامج التليفزيون وإن كان ذلك لا يعني أن التليفزيون هو السبب في ضعف مستواهم العملي، لقد قال "بول ويتي" في مؤلف له سنة ١٩٥٤ إن التليفزيون يقلل من إقبال الأطفال على القراءة ثم عاد في سنة ١٩٥٩ فذكر أن ذلك غير مؤكد، وذكر "ريموز آنه" عند استطلاعه آراء أعمالهم المدرسية وإن كان تقديرهم لذلك كان

متفاوتًا بين "لاشك أن الأطفال يتعلمون من التليفزيون، ولكن هل تزيد خبراتهم المكتسبة عن طريقه عن تلك التي يحتمل تحصيلها لو لم يكن الجهاز موجودًا ؟ وهل يسهم التليفزيون في تنشئة جيل قليل المعرفة أو جيل متنور ؟ وهل هناك احتمال في أن يكون هذا الجهاز عقبة في سبيل تعليم بعض الأطفال بينما هو في نفس الوقت معاونًا ومفيدًا للبعض الآخر في عملية التعلم ؟

٢. هل يهبط التليفزيون بمستوى الذوق عند الأطفال ؟

ذكر "أرثر شليزنجر" أن التليفزيون ينافس الوسائل الترفيهية الأخرى في أنه ينحدر سريعًا بذوق الأطفال بينما يقول "لويس كوهن" إن كثيرًا من برامج التليفزيون تشجع الأطفال على اكتساب مستوى منحط من الذوق لايليق بالحياة الاجتماعية السليمة، وقال أحد المفكرين إن البرامج الجيدة في التليفزيون أشبه بقطرات الماء النقية الضائعة في محيط من النفايات، ورغم هذا الهجوم العنيف من المفكرين عن التليفزيون وبرامجه فإن الناس ظلوا يديرون ملايين الأجهزة في جميع أنحاء أمريكا.

٣. هل يغير التليفزيون من القيم لدى الأطفال ؟

أثيرت أسئلة كثيرة حول الصورة التي يراها الأطفال على شاشة التليفزيون من حياة الكبار حتى أن بعض النقاد اتهموا التليفزيون بأنه يعطي الطفل مفهومًا غير صحيح عن الصواب والخطأ بالنسبة للسلوك الاجتماعي للإنسان، وقالوا: "إن عقول المراهقين شديدة الحساسية والاستعداد للتأثر بما ترى والتكيف له ولذًا فإن استمرار عرض الأعمال الإجرامية ستكون نتيجته أن يتقبل الأطفال تلك الأعمال على أنها مغرية

لكسب العيش، وفي رأي آخر: أن من الحقائق المؤكدة أن الأجهزة السمعية والبصرية من الوسائل الفعالة في التربية والتعليم، فإذا نحن تركنا التليفزيون يحطم هذا الهدف الذي نجاهد في سبيل تحقيقه بما يعرض من نماذج سلبية للغاية كما يتصورها بعض الناس في قالب درامي مثير فسوف يكون لذلك بلا شك صداه في نفوس المشاهدين من الأطفال.

٤. هل يساعد التليفزيون على إنضاج عقلية الطفل قبل الأوان؟

"يقول جوزيف كلابر" صاحب هذا السؤال "إن الأطفال يقضون معظم الوقت أمام التليفزيون في مشاهدة البرامج التي أعدت خصيصًا للكبار وغالبًا ماتكون مليئة بالمشاهد والمواقف التي تتميز بالصراع العاطفي، ويظن بعض علماء النفس إن استمرار مشاهدة الطفل لمثل هذه البرامج تدفع به إلى حالة من النضج سابق للأوان من صفاتها الملحوظة الحيرة وعدم الثقة بالكبار والاهتمام بمشاكلهم اهتمامًا سطحيًا وقد يصل الأمر بالطفل إلى عدم الرغبة في النمو ليكون كبيرًا.

ويضيف كلاير إلى ذلك أن الأطفال في مراحلهم الأولى كثيرًا ما يلتمسون النصح والمشورة عند الكبار فيما يختص بمواقف يشاهدونها ضمن برامج التليفزيون ولكنهم يفاجأون بعجزهم عن أبداء المعونة المطلوبة، ومثل هذا العجز من جانب الكبار يكون له نفس الطفل أثر أعمق من أثر الصورة غير الواضحة لحياة الكبار التي يراها الطفل في مشاهد التليفزيون.

وللرد على هذا يقول المدافعون عن التليفزيون بأنه يؤدي إلى الإسراع بنمو عقلية الأطفال لأنه يعرض أمامهم في وقت مبكر مجالات جديدة من المعرفة ومشاكل ممنوعة من حياة الكبار.

فأي الرأيين يا ترى هو الصحيح ؟ وإذا كان كل منهما صحيحًا فهل ترجح كفة الاستفادة العلمية على الضرر النفسي الذي يصيب الطفل؟

٥. هل يتعلم الأطفال الجريمة والعنف من قصص الجريمة والعنف التي يعرضها التليفزيون ؟

يعرض التليفزيون مشاهد كثيرة مليئة بالعنف وقد يقول قائل إن تمثيليات شكسبير هى الأخرى بها مواقف عنيفة، ولكن لا ينبغي أن نقارن بين مشاهد العنف في برامج التليفزيون وتلك التي في المؤلفات المسرحية الكبيرة، وإن الإنسان ليتساءل عن فائدة هذه الكثرة من المواقف العنيفة وهل هى توضح لنا الدوافع الأصلية للسلوك ؟ وهل يفهم منها الطفل لماذا يتخذ الناس هذا المسلك أو ذاك ؟ وهل ينبغي أن تملأ خيال الطفل يوميًا بمناظر إطلاق الرصاص والطعن بالخناجر والضرب العنيف ؟ ليس هناك شك أن أفلام السينما وبرامج التليفزيون تعرض مشاهد العنف والقسوة والسلوك غير الطبيعي بدرجة خطيرة لا تكاد تطاق فمثل هذه المشاهد إذا عرضت علنًا على الجماهير ستكون سببًا في إثارة الرغبة في السلوك العنيف عند الناس. أما أن التليفزيون يؤدي فعلًا إلى الجريمة فكان موضوعًا للجدل بين الأطباء النفسانيين، وقال أحدهم: إذا كان السجن

بالنسبة للمراهقين هو كلية يتعلمون فيها الجريمة فإن التليفزيون هو المدرسة الإعدادية للانحراف، وقال آخر إن التليفزيون لا يؤدي إلى الانحراف بقدر ما يفتح أمام المراهق من فرص للسلوك المنحرف وآخر ما يثار من الاسئلة.. هو:

٦. هل يتأثر الطفل بالتليفزيون إلى حد الادمان والانعزال عن المجتمع ؟

يقال إن التليفزيون يحبس الطفل في المنزل ويساعد على اجتماع شمل الأسرة، ويقول الأطباء النفسانيون إن للتليفزيون قوة جاذبية كالمغناطيس وإغراء شديدًا، والتليفزيون لا يساعد على السلوك الجماعي بل بالعكس يعمل على تنمية السلوك الفردي ويشجع الطفل على الانسحاب من عالم الواقع والإدمان على مشاهدة برامجه.

وفي رأي آخر أن التليفزيون يثير في الطفل رغبة ملحة في السلوك العنيف والركون إلى الخيال وهذه الرغبة تدفعه باستمرار لمشاهدة برامج الاجهزة الترفيهية وخاصة التليفزيون، حيث يجد ألوانًا لا تحصى من البرامج ولكنها بما فيها من اتجاهات العنف والجريمة لا تكون مادة سليمة لإشباع رغبته غير الطبيعية فما هى الحقيقة التي تكمن وراء هذه الحالة ؟

هل يعمل التليفزيون على تكوين مجتمع منزلي يجد الطفل فيه السعادة أو أنه يؤدي إلى تكوين طراز من الأطفال يسلكون حياله مثل المصابين بانقسام الشخصية وإذا كان التليفزيون يشجع الطفل على

الادمان على مشاهدته فما هى الظروف التي تؤدي إلى حدوث ذلك، وأي طراز من الأطفال يكون لديهم مثل هذا الاستعداد ؟

هذه هى في الواقع الأسئلة التي أثيرت والاتهامات التي وجهت للتليفزيون وقد راعينا أن تكون الآراء التي أوردناها من رجال مسئولين، بعضهم أساتذة في الجامعات الأمريكية وبعضهم لهم مراكز مرموقة في شركات كبيرة وفي الشرطة، ومنهم من يشغل مكانته بين رجال التربية في الجامعة أو بين علماء النفس، وكذلك منهم كتاب ومعلقون في مجلات كبرى، ولذا فإن المراكز الكبيرة التي يشغلها مثل هؤلاء الناس تشير إلى خطورة الأسئلة التي طرحت عن التليفزيون وعلاقته بالأطفال.

وذلك أن بعض الأسئلة خاصة الأخيرة التي تشير إلى انحراف الأطفال ومدى علاقته بالتليفزيون وما إذا كان التليفزيون يساعد على زيادة المعرفة عند الطفل أو إلى عكس ذلك، هذا إلى جانب حقيقة هامة إننا إلى الآن لم نتفهم إلا القليل عن الكيفية التي يستطيع بها التليفزيون إحداث أثر ما على الطفل بحيث يمكننا أن بعض البرامج – كما سبقت الاشارة إلى ذلك – قد يكون لها في ظروف خاصة آثار على بعض الأطفال ومع ذلك فلا يمكننا أن نحدد على وجه الدقة ألوان البرامج وطبيعة الظروف وطراز الأطفال.

الفصل الثاني

عالم جديد على شاشة التليفزيون

لم يحدث أن انتشرت وسيلة جماهيرية للترفيه بين الناس كما حدث عندما انتشر التليفزيون في أمريكا في سنة ١٩٥٠ وما بعدها ، ففي بداية عام ١٩٤٨، لم يكن في الولايات المتحدة إلا ١٠٠,٠٠٠ جهاز وسرعان ما ارتفع العدد إلى مليون جهاز في سنة ١٩٤٩ وفي نهاية سنة ١٩٥٩ أصبح العدد ٥٠ مليون جهاز بمعدل سبع أجهزة في كل ثمانية منازل.

أما في كندا فكان انتشار التليفزيون أبطأ قليلًا منه في أمريكا، ولكن سرعان ما بدأت المشروعات الهندسية العظيمة لمد الشبكات عبر الجبال لتصل الاذاعات التليفزيونية إلى البلاد النائية ونصبت الهوائيات على قمم الجبال لتغذي الاذاعة في الوديان وما لبثت الأجهزة المستقبلة أن انتشرت سريعًا من المدن الكبرى إلى البلدان والقرى حتى غطت كل أنحاء البلاد.

وبدأ التليفزيون يدخل إلى البيوت التي بها أطفال أسرع من دخوله أي مكان آخر .. وكان معدل بيع الأجهزة المطلوبة للأسر التي بها أطفال تحت سن الثانية عشر ضعف العدد المطلوب للأسر التي بلا أطفال وهذا أمر طبيعي لأن الأسر ذات الأطفال كانت تنتظر التليفزيون في لهفة وشوق.

هكذا أصبح التليفزيون أعظم مصدر للمتعة والترفيه في البلاد وكسب معركة المنافسة بينه وبين دور السينما والكتب المصورة. وقد يعتبر التليفزيون الآن أكبر مصادر الخبرة في حياة الطفل وهو إلى جانب الأسرة والمدرسة يؤدي دورًا رئيسيًا في تنشئة الطفل اجتماعيًا.

عالم الراديو:

لو فرض على إنسان أن يكرس من وقته ثلاث ساعات يوميًا لنشاط جديد لكان من المحتمل أن يستنكر هذا التدخل الذي لا يطاق، لأنه بلاشك سيتطلب منه تغييرات أساسية في حياته الرتيبة المنتظمة. ولكن هذا هو ما أحدثه التليفزيون في حياة الناس على وجه الدقة عندما اقتحم حياتهم، لقد احتكر التليفزيون ساعتين أو ثلاث يوميًا من وقت الطفل وتلك المدة لم تكن أبدًا في الحسبان.

ولكن ترى هل نذكر كيف كانت حياة الطفل قبل التليفزيون ؟

ولا داعي لأن يدفعنا السؤال إلى الحنين إلى الماضي واجتماع الأسرة في الأمسيات حول البيانو، فقد انقضى ذلك العهد قبل ظهور التليفزيون بزمن بعيد. إن العصر الذي يسبق التليفزيون هو عصر الراديو.

الانتقال إلى التليفزيون:

نتيجة لدخول التليفزيون كثيرًا من المنازل، قل استماع الأطفال للراديو كما انخفض معدل ذهابهم إلى دور السينما وإقبالهم على القراءة.

ولكن رغم هذا فإن الزمن الإجمالي المخصص لوسائل الترفيه بالنسبة للأطفال الذين كان ببيوتهم أجهزة تلفزيون لم يزد إلا ساعة ونصف عن الزمن الذي كان يقضيه الأطفال الذين لم يدخل التليفزيون بيوتهم، وقد توصلت الباحثة إلى بعض الملاحظات التي تثير الاهتمام عن أوجه النشاط التي يقوم بها الأطفال فيما عدا الاستمتاع بوسائل الترفيه، فاستنتجت أن الأطفال الذين دخل التليفزيون بيوتهم كانوا يتأخرون ٢٥ دقيقة عن موعد نومهم في الأيام العادية و ١٥ دقيقة في أيام الآحاد عن رفقاتهم من الأطفال الذين لم يقتنوا التليفزيون بعد، كذلك كان الأطفال الذين اشتروا التليفزيون أقل استعدادًا من غيرهم لأداء واجباتهم المدرسية، وقد قامت الباحثة ببحث على التلاميذ في سن المراهقة مقسمين حسب السن والجنس والمركز الاجتماعي وخرجت بالنتيجة الآتية عن مدى إهمال الأطفال لواجباتهم المدرسية.

النسبة المئوية للأطفال الذين يهملون واجباتهم الدراسية متأثرين بالتليفزيون

	أطفال ببيوتهم أجهزة	أطفال ليس ببيوتهم أجهزة
في الأيام العادية	٥٤%	٤٣%
في أيام الآحاد	٩٢%	٦٠%

في أن الأطفال الذين دخل التليفزيون بيوتهم أصبحوا يقتطعون ساعة ونصف الساعة من الوقت المخصص للعب يوميًا من أجل مشاهدة التليفزيون ومع ذلك فيلزم أن ننظر إلى هذه المقارنات بشيء من الحرص، فقد كان التليفزيون في تلك الأونة شيئًا جديدًا على الناس وكانوا في سلوكهم نحوة متأثرين بشعور اللهفة وشدة الاقبال على كل جديد.

من هذا يفهم أن التليفزيون حين يدخل البيت يحدث تعديلًا جوهريًا في أوقات الطفل اليومية، والسؤال الذي يهمنا هنا هو: أي هذه التعديلات يستمر وأيها يكون مؤقتًا ؟

وقد دلت التجربة على أن معدل الوقت المخصص للراديو يهبط حتى يكاد يصل إلى "الصفر" في الشهور الأولى لاقتناء التليفزيون ثم يعود المعدل إلى الارتفاع تدريجًا، وفي أيامنا هذه أصبح الطفل يقضي مع الراديو من نصف إلى ثلثي الوقت الذي يقضيه مع التليفزيون أي ما بين ساعة وساعتين يوميًا ولكن الظروف قد تغيرت الآن عن ذي قبل فأفراد الأسرة لم يعد يجتمع شملهم حول الراديو يستمعون إلى قصة مسلسلة تستحوذ على انتباههم لأن الراديو قد انتقل إلى المرتبة الثانية بعد التليفزيون وأصبح الفرد يستمع له وهو يؤدي عملًا آخر، فيمكنك الآن متابعة مباراة كرة القدم وأنت تعمل في الحديقة، والزوجة تستمع للموسيقى وهى تقوم بأعمالها المنزلية، كما يمكنك سماع الأنباء وأنت في سيارتك. والأطفال اليوم يستمعون للموسيقى الشعبية من الراديو أثناء القراءة أو مذاكرة دروسهم.

إن السينما لم تفق للآن من الصدمة التي أصابتها بسبب ظهور التليفزيون، فقد قل ذهاب الأطفال إلى السينما لأنهم يرون كثيرًا من الأفلام السينمائية على شاشة التليفزيون بالمنزل، ولكن لما كانت الغالبية من الأفلام التليفزيونية هى في الواقع أفلام قديمة ومعادة، فهل من المحتمل أن يؤدي ذلك إلى زيادة الاقبال على السينما من جديد ؟ وقد استعادت القراءة أهميتها وعاد معدلها الزمني إلى سابق عهده بالنسبة للكتب الثقافية

والصحف والمجلات المتخصصة.

أما الكتب الخفيفة والمجلات القصصية والبوليسية فقد أصبح الأقبال عليها الآن أقل منه أيام الراديو.

ومشاهدة التليفزيون في الشهور الأولى لاستعماله تستمر وقتًا طويلًا ثم لاتلبث أن تنخفض إلى معدل ثابت، وتقول السيدة ماكوبي صاحبة البحث السابق "أن أرقامها تشير إلى تقديرات "الحد الأدنى" وقد وجدنا فعلًا أنها تقل بمقدار ساعة ونصف عن المعدلات التي وصلنا إليها في أي مكان فالمعروف عندما يدخل التليفزيون البيت لأول مرة أن معدل الوقت الذي يقضيه الطفل أمامه يتراوح بين ثلاث ساعات ونصف ساعة في الأيام العادية، وأربع ساعات ونصف أيام الآحاد وذلك خلال الاسابيع الأولى، ثم يتناقص ذلك الوقت حتى يستقر على المعدل الذي توصلت إليه الباحثة أي ساعتين ونصف يوميًا يضاف إليها ساعة في يوم الأحد.

هكذا يظل معدل الزمن الذي يقضيه الطفل مع الوسائل الترفيهية أكبر مما كان عليه أيام الراديو بمقدار ساعة ونصف الساعة، منها بعض الدقائق يكتسبها من تأجيل موعد النوم، ومنها دقائق أخرى يقتطعها من نشاطه في اللعب وخاصة اللعب الجماعي مع غيره من الأطفال. ومعنى هذا بالتالي أن التليفزيون يعمل على أرضاء حاجة الطفل التي كان يشبعها سابقًا من المجلات المصورة بوسيلة أفضل مما تفعل المجلات الثقافية العامة.

ما يحصله الطفل من المعرفة عن طريق الوسائل الثقافية:

من الحقائق الواضحة أن التليفزيون أحدث تعديلًا كبيرًا في أوقات فراغ الطفل وخاصة فيما يتعلق بالمدة التي يقضيها في اكتساب المعرفة من الوسائل الجماهرية مثل الراديو والتليفزيون لقد قل معدل الزمن الذي يخصصه الطفل لقراءة المجلات المصورة عما كان عليه في العهد الماضي، كما أنه يستمع من الراديو إلى التمثيليات في التليفزيون، وقد يستمتع الطفل بالموسيقى الشعبية من الراديو ولكنه يستطيع أن يحصل عليها أيضًا من التليفزيون. ومن الواضح كذلك أنه قد حدث تغيير في المادة التي يستقبلها الطفل عن طريق الوسائل الثقافية إذا قورنت بمثيلتها قبل ظهور التليفزيون.

أن التليفزيون يقدم الآن شخصيات كبيرة لها مركزها المرموق ولكن كان من الممكن أن تكون هناك شخصيات لامعة حتى لو لم يخرج التليفزيون إلى الوجود، أننا لا نسمع الآن صوت المذيع يقرأ الأنباء إلا قليلًا ولكن لا ننسى القدرة الفائقة للتليفزيون على عرض الأخبار، فلن يستطيع أي مذيع بالكلام فقط أن يعطي الأخبار الصورة الحية التي نراها الآن على الشاشة إذ يمكن للطفل أن يرى صورة رئيس الجمهورية في زيارته لاحدى البلاد الخارجية، أو أحد الوزراء يدلي ببيانات في مؤتمر صحفي عام، فالتليفزيون اليوم يمد الطفل بما يكفيه من الأخبار أما لو قيل غير ذلك فكلام مشكوك فيه.

هل تذيع الوسائل الجماهيرية البرامج المليئة بمشاهد العنف أكثر من ذي قبل؟

قد يكون ذلك صحيحًا لأن هذه البرامج تقدم على أنها تقليد وتكرار لنماذج ناجحة سبق تقديمها، ومن ناحية أخرى اتضح أن التليفزيون يعرض برامج بديلة من تلك التي تعود الأطفال قراءتها في مجلات القصص البوليسية. ومن المؤكد أن التليفزيون يذيع الآن عددًا من أفلام الجريمة والعنف أكثر مما كان معروفًا أيام الراديو ولكن التليفزيون عندما يفعل ذلك فهو في الحقيقة يسد الفراغ الذي كانت تملأه أفلام السينما في هذا المجال، ودون أن تنفي هذه التهمة عن التليفزيون، فإننا لا ننسى بعض البرامج التي كان يذيعها الراديو وتثير الخوف والرعب في نفوس الأطفال الصغار.

وبالنسبة للخوف فإن البرنامج الذي لا يراه الطفل قد يخيفيه أكثر من يرى مشاهده في التليفزيون وكذلك قد يسبب البرنامج التي كان يذيعها الراديو وتثير الخوف والهستيريا كما في قصة "أحدب لو ترادم" التي قدمتها السينما وإذا سلمنا بكل هذا فما زالت هناك أسئلة على جانب كبير من الأهمية:

كيف تغيرت حصيلة الطفل من المعرفة نتيجة لظهور التليفزيون ؟

وهل هناك زيادة في هذه الحصيلة بصرف النظر عن تعديل المدة المخصصة لباقي الوسائل؟

وهل هناك تغير ملحوظ في نوع البرامج أو في خصائص المدة التي يشاهدها الطفل عن طريق التليفزيون ؟

فإذا كانت الإجابات عن كل هذه الأسئلة بالإيجاب فما مدى ما يتضمنه ذلك من نتائج تساعدنا على تفهم الطفل ؟ أن من الصعب تقدير كمية المعرفة التي يكتسبها الطفل من الوسائل الترفيهية العامة إلا بحساب مجموع الساعات التي يقضيها مع هذه الوسائل، ولكن عملية جمع الساعات التي يقضيها الطفل من الوسائل المختلفة يوميًا – هذه العملية تواجه بعض المشاكل، خاصة إذا أردنا أن نحدث التوازن بين الأوقات المخصصة للوسائل المختلفة، فإذا تم حساب المدة الإجمالية قد يبدو أنه ليس هناك من وقت يتبقى لتناول الطعام أو للنوم أو للذهاب للمدرسة، ولكن تفسير ذلك، أن الأطفال يقرأون المجلات أو يشاهدون التليفزيون وفي نفس الوقت يتناولون الغذاء أو العشاء، وقد يستمع الطفل للراديو وهو يؤدي الواجبات المنزلية أو يقرأ كتابًا بل أن التلميذ في المدرسة قد يقرأ مجلة مصورة سرًا وهو يخفيها في كتاب أو نحو ذلك، وبعض الأطفال يقرأون وهم في الطريق بين المدرسة والمنزل، والخلاصة أن الأطفال شأنهم شأن الكبار يمكنهم اداء أكثر من عمل في وقت واحد حتى أننا لو جمعنا الساعات الخاصة بالنشاط اليومي نجدها أكثر من ٢٤ ساعة في اليوم.

و هنا يمكن أن نقول دون خوف أنه رغم ما حدث من تغيير في لون المادة أو طريقة عرضها بالنسبة للوسائل الجماهير التقليدية (الراديو والسينما، والمجلات الخفيفة)، فإن التليفزيون قد غطى على كل هذه الآثار

بما أحدثه من تغيير في المادة التي يتلقاها الطفل من تلك الوسائل حتى أبرزها في صور مرئية واضحة المعالم يمكن مشاهدتها كما لم يكن مستطاعًا من قبل.

أن الصفة البارزة في التليفزيون هى أنه يفسح مجال الرؤية أمام مشاهديه، لقد أضاف إلى الصوت الذي نسمعه من الراديو صورة تراها العين على الشاشة، والتليفزيون، بلاشك أفضل من الراديو عند ما يعرض أحد الأنباء أو يقدم شرحًا لموضوع تعليمي في قاعة الدرس أو يعيد علينا عرضًا للباليه أو يرينا مناظر من بلاد بعيدة ومع ذلك فإن التليفزيون لا يحقق سبقًا كبيرًا على الراديو حين يعرض علينا صورة لفرقة أو ركسترالية تعزف أحدى السيمفونيات (لأن تنوع الصورة سيكون معدومًا بينما الموسيقى هى نفسها التي نسمعها من الراديو)

وقد وجد المشاهد بعض التغيير حين صورة المذيع على الشاشة وهو يقدم التعليق على الأنباء ولذلك فالصفة المفضلة فيمن يظهرون على شاشة التليفزيون أن ينجحوا في اختيار الصورة مع الصوت والمادة الفنية في برامجه هى تلك التي يحب الإنسان أن يراها ويسمعها ولذا كانت تكاليف هذه المادة باهظة إلى حد كبير.

ويتطلب التليفزيون من المشاهدة درجة كبيرة من الانتباه بالعين والأذن تصرف الإنسان عن أداء أي عمل آخر كما أن الإنسان قد يحار طرفة بين مختلف البرامج التي يمكن مشاهدتها على شاشة وله أيضًا خاصية لا مثيل لها تجذب انتباه المشاهد فيستغرق معها طويلًا.

أننا على استعداد لأن نفترض بأن حاجات الطفل في عصر التليفزيون هى أصلًا نفس الحاجات التي كانت في عصر الراديو وأن المادة الفنية في الوسائل الجماهيرية لا تختلف في أساسها إلا من حيث أن التليفزيون قد أكسبها معالم الصورة المرئية وأن مثل هذه التغييرات التي تطرأ على محتويات المادة المذاعة –كما نلاحظ – تكون نتيجة لتغير الزمن أكثر مما هى نتيجة لتغيير الوسائل نفسها، وكذلك ما يطرأ من تعديل على عادات الطفل تجاه تلك الوسائل مرجعه الأصلي هو وضوح الصورة على شاشة التليفزيون أكثر مما هو تغيير في طبيعة الطفل.

الفصل الثالث

لماذا يشاهد الطفل برامج التليفزيون؟

متى يستعمل الطفل التليفزيون وإلى أي مدى؟

أن الطفل الذي يولد في عصر التليفزيون يألف المناظر التي يراها على شاشته فتصبح صورًا عادية كتلك التب يراها البيت، وكذلك يألف سماع الصوت الذي يتردد في أذنيه تباعًا من التليفزيون والراديو طوال اليوم، ومع ذلك فإن التليفزيون ليس بأول الوسائل التي يتعرف عليها الطفل، أن أول وسيلة للمعرفة عند الطفل هى الكتب ويتم اتصاله بها عندما يسمع قصة على لسان والدته أو والده قبل أن ينام، وعلى ذلك فهو يتعرف على الكتاب عن طريق قصة يسمعها وليس عن طريق القراءة المباشر لما هو مسطور فيه، فالطفل إذن يتعرف على الكتب على أنها أصوات يسمعها من والديه تحكي له قصة فالخبرة التي يكتسبها الطفل من الوسائل العامة في سنواته الأولى لها خاصيتان:

أولًا – أنها خبرة سمعية بصرية (تلفزيونية) أو سمعية فقط (راديو وقصص).

ثانيًا – أن مادة هذه الخبرة هى القصص.

فما هى القصص التي يسمعها الطفل في مقتبل حياته ؟

لقد حاولنا أن نجمع قائمة بهذه القصص من الآباء والأمهات فوجدنا مجموعة متباينة من العناوين العجيبة ولكن غالبيتها تميل إلى ناحية الخيال أكثر مما تتجه إلى الواقعية وشخصياتها الرئيسية عادة من الحيوان بالإضافة إلى ما يتصل بها من صور.

متى يبدأ الطفل استعمال التليفزيون ؟

إن أول أتصال بين الطفل والتليفزيون يتم في سن الثانية عندما ينصت مصادفة إلى برنامج يستمع له شخص آخر، ولكن سرعان ما يبدأ باستطلاع عالم التليفزيون ويكون لنفسه ذوقًا خاصًا بالنسبة للبرامج التي يختارها، حتى إذا بلغ سن الثالثة يستطيع أن يطلب برنامجه المفضل وطبعًا يكون هذا ضمن برامج الأطفال، وهى لون من البرامج لها طابعها الخاص ومحتوياتها من قصص الحيوان، والصور المتحركة، والمشاهد التي تتميز بالخيال والحركة السريعة. وإذًا فالطفل يتعرف على التليفزيون على التليفزيون على أنه نافذة يطل منها على عالم الخيال، وأنه لجدير بالاهتمام أن نفكر في العرض الآتي:

إذا نحن قدمنا التليفزيون للطفل في أول معرفته به باعتباره نافذة على عالم الواقع فماذا عسى أن يكون نتيجة ذلك على استعماله للجهاز مستقبلًا ؟

وإذا بلغ الطفل الثالثة من عمره يكون قد وصل في استعماله للتليفزيون درجة معقولة، فهو يشاهد كثيرًا من برامج الأطفال ثم سرعان ما

يتحول إلى أفلام المغامرات وما إلى ذلك.

ونفس هذه السن أيضًا تصبح المجلات عنصرًا هامًا في معرفته وخاصة المجلات المصورة، فهو يقلب صفحاتها متطلعًا إلى الصور ويطيل النظر إلى ما يعجبه منها وإلى سن السادسة أو السابعة لا تزيد معرفته بالمجلات عن كونها مجموعة من الصور وأنها هى مصدر القصص التي يسمعها من والديه أو أنها وسيلة للقراءة الايهامية[1] ومع ذلك فالصور التي يراها بتلك المجلات يكون لها انطباعات عميقة في تفكيره.

وفي مرحلة مابين سن الثالثة والسادسة يتعرف الطفل على الراديو ويبدأ ذلك عندما يستمع لأحد البرامج نتيجة لاختيار شخص آخر من الأسرة، وقد يكون ذلك البرنامج موسيقى شعبية من اختيار أخيه أو أخته، أو صورة صوتية تستمع لها أمه أثناء أداء أعمالها المنزلية أو نشرة الأخبار حين يسمعها أبوه، فاكثر ما يستمع له من برامج الراديو يكون من اختيار الغير لفترة ما إلى أن يكتشف بعض البرامج التي تعجبه ويحاول أن يترقب إذاعتها ثانية مثل الموسيقى أو برامج الأطفال.

وقبل أن يذهب الطفل إلى المدرسة قد يصحب أحد الكبار إلى السينما، فإن حدث ذلك مع أبويه سيكون الفيلم خاصًا بالكبار ويستولى عليه النعاس ولكن قد يكون من نصيبه أحد أفلام المغامرات أو الصور الملونة أو كليهما معًا، وعندئذ يصبح هذا اللون هو المفضل عنده، فإذا

---

[1] – أي الطفل ينظر إلى الكلام والصور وكأنه يقرأ.

ترك له الاختيار فإنه غالبًا يحاول مشاهدة بعض أفلام رعاة البقر أو الصور المتحركة.

وإذا تقدمت السن بالطفل حتى يبلغ السادسة ليكون قد تعرف على كل الوسائل السمعية والبصرية، ويكون قد كون لنفسه فكرة من البرامج المفضلة التي يجب مشاهدتها في التليفزيون، ويكون قد عرف الوسائل المطبوعة فيما شاهد من صور أو فيما سمع من قصص قرأها له والده.

ويبدأ نشاط الطفل الإيجابي مع الوسائل المطبوعة عندما يلتحق بالمدرسة فإذا تعلم كيف يقرأ يبدأ محاولات بعض القصص بنفسه ويختار الكتب الخفيفة وينتقل بسرعة من النص المطبوع إلى الصورة ثم يكتشف مجلات الأطفال ويبدأ بقراءة العناوين عن طريق أحد أصدقائه ويعرف الكتب المصورة ويتصفح بعضها هنا وهناك وأخيرًا يصل إلى مستوى الصحف اليومية ويكتشف بها بعض المعرفة ويلاحظ أن اتصال الطفل بالصحف يبدأ بقراءة باب الفكاهة ويستطيع إذا بلغ العاشرة أو الحادية عشرة أن يقرأ بعض المواد المنوعة في الصحيفة اليومية.

إن هذه العمليات المتصلة التي يتعلم الطفل بها كيف يستعمل الوسائل المختلفة للمعرفة، والتي نبدأ بسماع صوت المزياع أو التليفزيون في البيئة المحيطة به إلى أن يستطيع قراءة الصحيفة اليومية أو المجلة بشيء من الثبات والقدرة، هذه العمليات تستغرق من الطفل المتوسط حوالي عشرة سنوات، وهنا يحسن أن نلقي بعض الضوء على هذه الفترة.

أولًا : طبيعة البرامج التي يتعرف الطفل عن طريقها بالوسيلة ترتبط ارتباطًا كثيرًا بمادة هذه البرامج، وفي أول الأمر يكون الراديو أو التليفزيون مجرد جهاز يصدر منه صوت يسمعه الطفل وحتى في حالة القصة التي يسمعها الطفل لا يكون له حيلة فيها ولا يستطيع أن يقرر أية قصة يريد سماعها قبل النوم مثلًا.

ولكن فيما بعد يستطيع الطفل أن يختار برنامجًا مفضلًا ليراه في التليفزيون أو قصة بذاتها يريد أن يسمعها من والديه أما بالنسبة للراديو فإنه يظل مقيدًا بجداول الإذاعة وبمدى استعداد والديه للاستجابه له، وإذا تطلع الطفل إلى بعض الصور في المجلات يستطيع أن يتتبع سير القصة بالصور المسلسلة ورغم هذا فهو مقيد بذوق الكبار الذين اشتروا المجلة، ولا تبدأ سيطرته على هذه الوسيلة إلا بعد تعلم القراءة التي تساعد على تحكمه في الظروف فيصبح هو صاحب الاختيار، ويعرف أية مواد يقرأ في الصحف، وأي المجلات يشتري وأين يمكن الحصول على ما يريد من كتب، وهذا يستغرق عشر سنوات.

ثانيًا: تفوتنا الإشارة إلى الطفل يتعرف على الوسائل المختلفة على أنها مجالات خيالية أو أنها خبرات سمعية بصرية ويحدث ذلك في السنوات التي تتميز شخصية الطفل بالمرونة والقابلية لاكتساب الانطباعات.. كما أن الكيفية التي يستعمل بها الطفل التليفزيون توضح لنا أنه يعتبره جسرًا إلى عالم الخيال، وأن هذه الفكرة تظل متأصله في عقله لدرجة أنه يصبح من الصعوبة بمكان اقناعه بأن البرامج التعليمية في التليفزيون هى استعمال

سليم لهذه الوسيلة.

ثالثًا : الاقبال على التليفزيون يطغى على الوسائل الأخرى : إن حصيلة المعرفة التي يتلقاها الطفل من التليفزيون هى التي تساعده على تفهم ما يستقبله من معرفة طريق غيره من الوسائل وهو حين يقع اختياره على البرامج من الوسائل الأخرى يقارنها ويقدر قيمتها بمقابلتها بما ينتظر أن يشاهده في التليفزيون.

كم من الزمن يقضي الطفل مع التليفزيون ؟

ليست الإجابة على هذا السؤال سهلة كما يبدو لأول وهلة فإن مراقبة سلوك عدد كبير من الأطفال لفترة طويلة وهم يشاهدون التليفزيون قد تكون باهظة التكاليف لدرجة تمنع استمرار البحث ولذلك يستعين الباحث على دراسات غيره في تقدير حساب الساعات التي يقضيها الطفل أمام التليفزيون. ولكن من ذا الذي نستعين بتقديره ؟

أهو الطفل نفسه ؟ أو أمه ؟

وكيف نحصل على هذا التقدير الزمني ؟

أنحصل عليه معتمدين على ذاكرة الشخص ؟

أم بناء على بيانات مكتوبة ؟

أو بسؤال الشخص عن برامج سمعها وأعدها في قائمة ؟

إن كل وسيلة من هذه تؤدي إلى نتائج تختلف عن الأخرى وتتفاوت كبرًا وصغرًا.

التقديرات المذكورة هنا تمثل معدلات متوسطة ولدينا من الأسباب ما يؤكد دقتها ورغم هذا يجب إلا يظن القارئ أنه من الممكن تقدير ساعات مشاهدة الطفل للتليفزيون بنفس الدقة كما نقيس طوله أو وزنه وثمة ملاحظة أخرى جديرة بالانتباه.

إن بعض الباحثين يقدرون الزمن على أساس أيام الأسبوع (ماعدا الأحد) وبعضهم على أساس أيام الأحد والأخرون يحسبون متوسط الزمن طوال الأيام السابقة ، فلكل هذا لابد عند المقارنة بين الاحصائيات في كتاب وآخر أو دراسة مع أخرى ملاحظة المعدلات بالنسبة لليوم.

وأخيرًا، نلفت النظر إلى أن الأطفال الذين ينطبق عليهم التقديرات المتوسطة قليلون جدًا، ولهذا عندما يرى القارئ كلمة متوسط هنا يجب ألا يذهب به الظن إلى أن ذلك يعبر عن غالبية الأطفال وإنما المقصود به أن هناك مجموعات كبيرة من الأطفال فوق المتوسط بكثير وبهذه المناسبة يهتم الباحث بمعرفة أسباب وجود هذه الفوارق في أرقام المعدلات بدلًا من الاهتمام باستخراج التقدير المتوسط.

والآن بعد هذه الملاحظات نعود للإجابة على السؤال الخاص بالمدة التي يقضيها الطفل مع التليفزيون، فالطفل الذي يبدأ باستعمال التليفزيون في سن الثالثة يقضي ٤٥ دقيقة في المشاهدة في الأيام العادية وتظل هذه

المدة في ازدياد حتى تصل لمعدل ساعتين ونصف ويكون ذلك حوالي سن السابعة عشرة. وهذه الأرقام هى المعدلات بالنسبة للأيام العادية أما أيام الأحاد فتزداد المدة من نصف ساعة إلى ساعة.. كما أن في هذه المعدلات شيئًا من التحفظ فهى أقل من تلك التي وصل إليها باحثون غيرنا، كما أنها أقل من بعض المعدلات التي توصلنا نحن إليها في أماكن أخرى.

ومع ذلك فالأرقام السابقة لها دلالات رائعة فمعناها أن الطفل خلال سنوات تعلمه في المدرسة يقضي مع التليفزيون ما يقرب من ٥٠٪ من الزمن الذي يقضيه في المدرسة ومن سن الثالثة إلى السادسة عشرة يبلغ مجموع الزمن الذي يقضيه مع التليفزيون أكثر من ذلك الذي يقضيه مع المدرسة، فخلال هذه السنوات يكرس من وقته حوالي سدس ساعات اليقظة للتليفزيون، حقًا أن الطفل قد يقضي في مشاهدة برامج التليفزيون زمنًا أطول من ذلك الذي يستغرقه في أي نشاط آخر إلا النوم، واللعب.

وسؤال آخر: هل يختلف الزمن المخصص لمشاهدة التليفزيون حسب المكان والزمان ؟

والإجابة أنه حقًا يختلف تبعًا للمكان والزمان. فساعات المشاهدة تقل في شهور الصيف عنها في باقي أيام السنة، كما لاحظنا أن المعدلات في بلاد "روكي تاون" المتباعدة ذات المناخ القارس في الشتاء تزيد عن تلك في البلاد المعتدلة المناخ بمقدار ساعة ومرجع هذا أساسًا إلى أن التليفزيون في المناخ القارس يصبح مفضلًا عن الوسائل الأخرى "كالسينما".

ولم نجد أن للفروق الثقافية بين الأطفال في المناطق المختلفة أثرًا على الزمن الذي يقضونه مع التليفزيون بصرف النظر عن الآثار المترتبة على سهولة الحصول على التليفزيون أو على تفوق التليفزيون في منافسته للوسائل الأخرى، فالفروق بين المعدلات التي حصلنا عليها للمشاهدة في أقصى غرب أمريكا، والغرب والمرتفعات الغربية والشرق والجنوب هذه الفروق نتيجة لظروف سهولة التقاط الإذاعات التليفزيونية أو نتيجة للتنافس القائم بين التليفزيون وغيره من الوسائل أو نتيجة لاختلاف طرق تقدير هذه المعدلات أكثر مما هى نتيجة للفروق الثقافية بين منطقة وأخرى، هذا والارقام الواردة في دراسة هيملونت واوبنهايم وفنس التي أجريت في انجلترا، تقل عن أرقامنا مع أنه روعي فيها أن تكون معبرة عن التقديرات المتوسطة، ومع ذلك فالفروق بين نتائجهم ونتائجنا هى في الحدود التي يمكن أن تحدث فيها أخطاء القياس بين العينات المختلفة، وعلى كل حال، ففي ذلك الوقت كانت المدة المحددة للإذاعات التليفزيونية في بريطانيا أقل منها في أمريكا كما أن برامج إذاعات الأطفال لم تكن واحدة في البلدين.

وفي كندا في بلدة تليتاون لدراستنا وجدنا أن الأرقام الدالة على مدة المشاهدة أقل قليلًا منها في الولايات المتحدة، ولكن الفروق ضئيلة. لهذا نميل إلى الاعتقاد بأن البرامج المختلفة الممكن مشاهدتها في التليفزيون والبرامج الأخرى الخاصة بوسائل أخرى هى التي يحتمل أن تسبب الفروق في المعدلات أكثر ما تسببه الفروق الثقافية بين مختلف الأماكن، أننا لم نجد أي دليل يتعارض مع استنتاجنا في معدلات أوقات المشاهدة في سنوات

الطفولة أو في الأماكن المختلفة التي عبرنا عنها بالبيانين السابقين – وأن المتوسط العام لمدة المشاهدة هو من ساعتين إلى ٣ ساعات في الأيام العادية.

ولم نجد ما يؤيد الرأي البعيد عن العلم بل المبالغ فيه الذي يدعي أن متوسط مدة المشاهدة هو بين أربع وخمس ساعات يوميًا فقد يحدث ذلك بين معظم الأطفال من وقت لآخر، وقد يكون بين بعض الأطفال عادة ولكن هذا لا يعبر عن المتوسط العام وسنرى فيما بعد الأسباب التي تؤدي إلى ذلك.

كيف تقيم مدة المشاهدة على أيام الأسبوع وساعات النهار؟

أن ساعات المشاهدة – كما رأينا – تزيد في أيام الأحاد والعطلة عنها في الأيام العادية ومدة المشاهدة أيام السبت "ليلة العطلة" تختلف اختلافًا كبيرًا حسب اختلاف الأفراد ولكنها عمومًا تزيد قليلًا عنها في باقي الأيام. وهناك من الأدلة ما يشير إلى أن في الأيام من الأثنين إلى الجمعة ينخفض معدل وقت المشاهدة قليلًا.

وتعليل ذلك كما يقول المعلمون والأمهات أو الواجبات المنزلية التي تفرض على التلميذ في نهاية الأسبوع لا تستمر لأكثر من يوم الأثنين وأن الاختبارات المدرسية وأوجه النشاط الأخرى تميل على التركز في النصف الثاني من الأسبوع، وقد لاحظنا رغم هذا أن برنامجًا محبوبًا لوالت ديزني قد يسبب بعض التغيير في المعدلات الزمنية الخاصة بالأيام المختلفة بالنسبة

لأطفال المدرسة الابتدائية.

وقد حصلنا على تسجيلات دقيقة للغاية لأوقات مشاهدة الأطفال للتليفزيون حسب ساعات النهار يتضح منها أن ساعات المشاهدة المزدحمة بالبرامج تبدأ بانتهاء اليوم المدرسي وتستمر حتى موعد النوم وهناك مدة قصيرة يقضيها الطفل في المشاهدة قبل الذهاب إلى المدرسة وكلما تقدم الطفل في السن يتأخر موعد نومه وتزيد مدة مشاهدته للتليفزيون وثمة علاقة وثيقة بين مواعيد النوم المتأخرة والمدة المخصصة للتليفزيون وتبلغ هذه المدة أقصى حد عندما يصل الطفل إلى السن التي يتحرر فيها من قيود الذهاب إلى النوم في وقت مبكر.. وأما المشاهدة في أيام الآحاد فموزعة طوال الساعات من ٩ صباحًا إلى موعد النوم في المساء وهناك فترة انقطاع عن المشاهدة حوالي ساعة عند الظهيرة تكون في أغلب الأحوال بسبب الانصراف للغذاء أو الذهاب للكنيسة أو لعدم وجود برامج مناسبة وبالنسبة للأطفال الصغار توجد أيضًا فترة انقطاع عن المشاهدة قبل المساء.

من الذين يقضون مدة طويلة في مشاهدة التليفزيون ؟

سوف نعنى خلال فصول هذا الكتاب بإيضاح أسباب طول مدة المشاهدة أما هنا فسوف نذكر بعض العلامات المميزة التي تنطبق على من يشاهدون التليفزيون لمدة طويلة.

١- **السن:** إن مدة المشاهدة عند الأطفال تبلغ أقصاها في المرحلة بين

الصف السادس الابتدائي والصف الثاني الإعدادي أي بين الحادية عشر والثالثة عشرة وهى مرحلة الاقتراب من سن المراهقة حين يحصل الطفل على بعض الحرية للسهر ليلًا.

٢- **الجنس:** توجد فروقات كثيرة بين الفتيان والفتيات بالنسبة لأذواقهم في اختيار البرامج ولكن كمية المشاهد من البرامج لا تختلف كثيرًا بسبب الجنس.

٣- **القدرة العقلية:** في السنوات الأولى من الدراسة يميل الاطفال إلى مشاهدة التليفزيون لمدة طويلة لقد قمنا بالدراسة على مجموعة من تلاميذ الصفين الرابع والخامس الابتدائي وكانوا في فصول خاصة لارتفاع نسبة الذكاء.

وكان هؤلاء الأطفال يقومون بنشاط زائد في كل الوسائل "التليفزيون، الراديو، والقراءة وغيرها" وكان يبدو أن لديهم ذخيرة لا نهاية لها من الطاقة العقلية، ونفس هذه الملاحظة قد تنطبق بنسبة أقل على الأطفال الأذكياء من الصفوف الأولى للمرحلة الابتدائية، ولكن هناك تغييراً ظاهرًا يحدث بين سن العاشرة والثالثة عشرة (الصف الخامس الابتدائي والثاني من المرحلة الإعدادية) ذلك أننا لا نجد بين الأطفال الذين يشاهدون التليفزيون لمدة طويلة أحدًا من ذوي الذكاء المرتفع وفي مدن "روكي تاون" لاحظنا أن التلاميذ ذوي القدرات العقلية المنخفضة يميلون إلى المشاهدة مدة طويلة بينما يتجه الأطفال الأذكى إلى تخفيض مدة المشاهدة.

أما في سان فرانسسكو فقد وجدنا أن التلاميذ الذين يمثلون نسبة الذكاء المنخفضة فيما بين الصفين الثاني الإعدادي والثالث الثانوي يقضون مع التليفزيون مدة أطول من نظرائهم المتقدمين عليهم في نسبة الذكاء.

لقد تبين من مناقشاتنا لهم أن التليفزيون لم يعد يجذب أنظارهم كما كان يفعل من قبل وكثير منهم يجدون جاذبية أكبر من جانب الوسائل المطبوعة وفي النشاط المدرسي والاجتماعي.

٤- الأسرة:

ان المثل الذي يجده الطفل أمامه من أفراد الأسرة من حيث عدد البرامج، وكذلك من حيث المادة التي تشاهد لها أهمية كبيرة فيما تحدث من انطباعات على الطفل، أن الآباء الذين بلغوا درجة كبيرة من الثقافة غالبًا ما يشاهدون التليفزيون لمدة قصيرة، كذلك أطفالهم يميلون إلى المشاهدة مدة أقصر من غيرهم.

وفي أسر الطبقة المتوسطة التي يعتنق أفرادها مبدأ الاتجاه نحو العمل الإيجابي وتحسين المستوى يلاحظ أن الأطفال يميلون إلى المشاهدة مدة أقصر من نظرائهم في الأسر التي لا تتمسك بهذا المبدأ وباختصار أن كل أسرة لها طابع سائد فيما يختص بطول مدة المشاهدة أو قصرها، وهذا الطابع بلا شك يكون له أثره على الأطفال في الأسرة ، فبينما يثبت من الاحصاء أن التلاميذ النابهين في المدارس الثانوية لديهم استعداد لمشاهدة

التليفزيون مدة أقصر من غيرهم واذا كان الاحتمال أن الأطفال أبناء الطبقة العامة يشاهدون التليفزيون أكثر من نظرائهم فإن هناك ما يخالف هذه القاعدة وهذا ما يؤدي بنا إلى الاعتقاد أننا أغفلنا بعض العوامل الهامة التي تؤثر على مدة المشاهدة طولًا أو قصرًا.

فهناك أطفال نبهاء وآخرون من أسر بلغت درجة كبيرة من التعليم وأطفال من عائلات لها اتجاهات نحو مثل اجتماعية تحبذ العمل مثل هؤلاء الأطفال تجدهم على غير انتظار – في قوائم الأطفال الذين يشاهدون التليفزيون مدة طويلة وهذا ما لم نكن ننتظره وإذًا فمن الواضح أن هناك عوامل أخرى غير السن والقدرة العقلية والأسرة يؤثر على الطابع الذي يميز المشاهدة، تلك العوامل هى في اعتقادنا "العلاقات الاجتماعية والمميزات الشخصية للطفل ولكننا سنؤجل مناقشة هذه العوامل إلى فصل قادم، أما هنا فتكفي الإشارة إلى آثارها على سلوك الطفل نحو التليفزيون.

ما يشاهده الأطفال في التليفزيون:

إن أول البرامج التليفزيونية التي تصبح مفضلة لدى الأطفال هى في الغالب "برامج الأطفال، وهذه غالبًا يكون أبطالها من عالم الحيوان أو شخصيات جذابة أو عرائس ومثال ذلك قصص (البطة دونالد، وتوم وجيري، ...إلخ) . والبرامج التي من هذا الطراز تملأ فترة المشاهدة في السنوات التي تسبق الذهاب إلى المدرسة بل وتستمر إلى ما أبعد من ذلك في المرحلة الابتدائية، ولكن ما يكاد الطفل يستقر في المدرسة حتى يجد أمامه قائمة جديدة من البرامج نستعرضها فيما يلي:

منوعات للأطفال:

ومثال ذلك القصص الناجحة التي يقدمها والت ديزني ويطلق عليها اسم "عالم ديزني" وتتضمن برامج منوعة من الصور المتحركة إلى قصص المغامرات إلى التاريخ إلى الدراسات الطبيعية كل هذا في قالب رائع من الاخراج الفني البديع.

(١) مغامرات للأطفال:

مثل قصة (زورو) وتتلخص هذه البرامج في قصة بطلها رجل قوي متفوق يعمل في جانب الخير، ويسيطر على مصيره رغم ما يتهدده من أخطار وما يقوم به من مغامرات قد يعجز عنها غيره من الرجال.

(٢) القصص العلمية للأطفال:

وهذه لون من برامج المغامرات ولكنها مادة تصاغ في قالب علمي وبها مناظر عن السفر في الفضاء، البندقية الصاروخية وغير ذلك من المظاهر. وعلى سبيل المثال (سوبرمان).

(٣) أفلام الغرب:

وتبدو فيها بساطة الحياة في الغرب وتخلو شخصياتها من التعقيد ويقوم البطل بالأعمال التقليدية التي تميز هذا النوع كأن يقبل حصانه بد من البطلة والجو السائد في هذا اللون من القصة هو المغامرة التي تصل إلى درجة الاثارة. وهذه هى القائمة التي تشغل البرامج الخاصة بالطفل في سن

ما قبل المدرسة وسرعان ما يظهر عنصران آخران.

(٤) برامج الجريمة:

وهى مرحلة انتقال من قصص المغامرات التي يقوم فيها البطل بتصحيح الأوضاع الخاطئة بمهارته وجرأته إلى رجل الشرطة الذي يفك غموض الجريمة بخبرته وشجاعته، وأن كثيرًا من الأطفال حتى في المراحل الأولى لدراستهم يقبلون على هذه القصص التي يكون مكانها في جداول البرامج أثناء الساعات المخصصة للكبار ، وقصص الجريمة أيضًا لها جمهور كبير من المشاهدين بين الصبيان الذين في سن المراهقة، وهناك طراز آخر من البرامج يبدأ الطفل مشاهدته وهو في السنوات الأولى من الدراسة ويصبح له أهمية خاصة في سن المراهقة ألا وهو:

(٥) التمثيليات ذات المواقف:

وهذه عادة تأتي في حلقات مسلسلة يكون أبطالها طفل يستهوي الأطفال المشاهدين فيشاركونه بكل وجدانهم تنطبق شخصيات الأطفال المشاهدين ويتدرج المشاهد مع هذه التمثيليات إلى ألوان أخرى مثل "أحب لوسي".. وعندما يشرف الطفل على مرحلة المراهقة، يهتم اهتمامًا خاصًا ببرنامج آخر هو:

(٦) منوعات الموسيقى الشعبية:

وتشمل هذه البرامج: الاغنيات الهامة والالحان الراقصة ...إلخ

وتكون الفتيات أسبق من الفتيان في اكتشاف مثل هذه البرامج ويقبلن على مشاهدتها والاستماع لها بشغف أكثر من البنين وعلى العموم هذه البرامج تكون ركنًا هامًا من البرامج التي يشاهدها المراهقون.

وبهذا نكون قد ألممنا بقائمة البرامج التي يشاهدها الأطفال إلى أن يبلغوا سن المراهقة، فتستحوذ على انتباههم الغاز قصص الجريمة ويميلون إلى استبدال أفلام الغرب بما يشبهها من أفلام المغامرات للكبار مثل "مفاريلا" وتفقد أفلام ديزني ومسلسلات زوزو وسوبرمان روعتها ويكرس المراهق كثيرًا من وقته لتمثيليات الجريمة وللموسيقى الشعبية وعندما يصل الطفل إلى هذه المرحلة لا يقبل على ما يدخل ضمن برامج الأطفال إلا نادرًا جدًا، وبالتدريج ينضج ذوقه في الاختيار ويظهر لديه الاهتمام ببرامج الشئون العامة (الاختبار والتعليقات والمؤتمرات الصحفية). إن الاهتمام بمسائل الشئون العامة يأتي متأخرًا، ولهذا فإن استعمال الوسائل المختلفة إذا تركز حول هدف أكثر من مجرد الترفيه يتعلمه الطفل في مرحلة متأخرة. ولقد كانت هذه البرامج المختارة تمثل الواقع إلى درجة كبيرة، فمن حسن الحظ كانت لدينا تقارير من أماكن أخرى لمقارنتها بها، وقد ظهر من المقارنة أن التقارب بين أذواق الفتيان في مختلف الأماكن التي قامت بها الدراسة عند اختيار البرامج، هذا التقارب أكثر وضوحًا منه عند الفتيات.

وقد دلت البيانات على أن اهتمام الأطفال بالبرامج المخصصة لهم يقل ابتداء من الصف الثالث بالمرحلة الابتدائية أما الأفلام العلمية فيستمر اقبالهم عليها لمدة أطول ثم يبدأ في الانخفاض، بينما يزيد اعجابهم بالأفلام

الغربية والمغامرات لفترة طويلة وبالمثل على التمثيليات، وقد جاء هذه البيانات قبل ظهور أفلام ديزني لاند وقبل أن تتطور الأفلام الغربية إلى ذروتها.

هل هناك دليل على أن ذوق الطفل تجاه التليفزيون يتغير على مر الزمن ؟

إن عشر سنوات مضت على استعمال التليفزيون تعتبر فترة قصيرة لا تكفي لأن نفصل فيها بين التغيرات التي تطرأ على البرامج (لصالح المنتجين) والتغيرات الأخرى التي تطرأ على اختيار الأطفال للبرامج المفضلة فبرامج الصور المتحركة "ديزني لاند" مثلًا قد ظهرت نتيجة لفكرة رائعة وأصبح ذلك اللون محبوبًا، بينما بعض البرامج الأخرى مثل الكوميديا الساخرة قد اختفت لأنها لم تجد المؤلفين ولا الممثلين الذين يغذونها، وكذلك فشلت برامج الأسئلة المسلسلة لأن الجماهير لم تكن تثق في نتائجها أما أفلام الغرب فقد تزايد عددها ، لأنها برهنت على شعبيتها وقد حدثت تطورات كثيرة في أعداد البرامج وهذا هو المتوقع أن يحدث من صناعة الترفيه في هذه المدة القصيرة، ولكن خلال عشرة سنوات من عمر التليفزيون وهى مدة قصيرة لم يتيسر لنا أن نجد دليلًا يشير إلى تغير أساسي قد يكون هناك تغيير ما، ولكننا لم نتوصل إلى اكتشافه.

ماهى العوامل التي تؤثر في ذوق الطفل في اختيار برامج التليفزيون؟

لقد تحدثنا عن الطابع الذي يميز ذوق الطفل وكيف ينمو حسب تقدمه في السن فالسن هو أحد العوامل التي تشير إلى هذا النمو، بحيث لو عرفنا أن طفلًا في التاسعة من عمره والآخر في الرابعة عشرة، فيمكن أن

نستنتج الفوارق في الذوق بينهما عندما يختاران من برامج التليفزيون فالسن هى العلامة المميزة لهذه الفوارق وهناك علامات أخرى تميز أذواق الأطفال منها.

الجنس:

من الأمور التي تثير الدهشة عند الحديث عن الفوارق في الذوق بناء على الجنس، أن هذه الفوارق تظهر في سن مبكرة للغاية، حتى أننا نلاحظ نسبة كبيرة من البنات في المرحلة الابتدائية في الصف الأول تحب برامج الموسيقى بينما غالبية الفتيان يقبلون على أفلام الغرب وبرامج المغامرات. ويستمر هذا الطابع طوال سنوات الدراسة حيث تفضل الفتيات البرامج الرومانسية مثل الموسيقى الشعبية أو التمثيليات التي تدور حوادثها حول الأسرة "كوميديا المواقف" أما الفتيان فيميلون إلى برامج "الرجولة " المشحونة بالمغامرات والإثارة.

والملاحظ أن الاهتمام بمرحلة المراهقة وما يليها يبدأ عند الفتيات قبل الفتيان، فبينما تقبل الفتاة على شراء مسجلات الأغاني الجديدة نرى الصبيان ما زالوا يشاهدون الصور المتحركة والبرامج التي تناسب سن الشباب المبكر، كما أن اهتمام الفتيان بالموسيقى يبدأ متأخرًا سنتين عنه عند الفتيات.

لقد وجدنا الأمثلة الدالة على ذلك في الدراسات التي قمنا بها في الولايات المتحدة وكندا، أما في انجلترا فقد كانت هناك فروقات تسترعي

الاهتمام، ذلك أن المؤلفين هيموايت وأوبنهايم وفنس وجدوا أن أفلام الغرب التي تنال إعجاب الصبيان في أمريكا، هى البرامج المحببة إلى نفوس الفتيات في انجلترا، هنا نذكر أن أفلام المغامرات التي تنتجها بريطانيا تلائم مستوى الأطفال في أمريكا أكثر من أفلام الغرب التي تنتجها أمريكا، ولكن في الولايات المتحدة، نرى أن أفلام المغامرات الخاصة بالأطفال والكبار يعجب بها الصبيان أكثر من الفتيات بينما البرامج المفضلة بالنسبة للفتيات هى الدراميات ذات المواقف وكذلك الموسيقى الشعبية والبرامج المنوعة، أما برامج الجريمة فيحتمل أنها في انجلترا تجتذب الصبيان بينما الملاحظ في أمريكا أنها تعجب الفتيات والفتيان على السواء.

وعلى العموم تتجه الفتيات في وقت مبكر نحو البرامج التي تتصل بمسئولياتهن المستقبلية في فترة المراهقة والنضج، أما الفتيان "فيتمسكون" بأذواقهم الخاصة في اختيار ما يروقهم من برامج المغامرات والاثارة والصراع الجسدي ويهتمون بالموسيقى بعد الفتيات بفترة طويلة وبعد ذلك يبدأ اهتمامهم بالشئون العامة كما هو متوقع منهم.

القدرة العقلية:

يلاحظ على الأطفال النابهين أنهم يميلون إلى فحص اختبار الأشياء قبل غيرهم كما أنهم يقومون بالأعمال الصعبة ويميلون إلى البرامج الجدية والقراءة الثقافية والعلمية وما إلى ذلك من النشاط الجدي ، وكان الأذكياء منهم هم أكثر الجميع استمتاعًا بالمشاهدة، كما أننا وجدنا أن التلاميذ الأكثر ذكاء هم الذين يتذكرون الوجوه التي يرونها في التليفزيون في برامج

تتصل بالشئون العامة التي يقابلها من ناحية أخرى برامج الترفيه.

والاهتمام بمثل هذه الألوان من البرامج كالاخبار والتعليقات عليها والشئون العامة تبدأ مبكرًا عند هؤلاء الأطفال كما أنهم هم أول من يتحول عن أفلام "من الجاني والافلام الغربية والتمثيليات وما شابهها وبالإضافة إلى هذا يلاحظ على الأطفال الأذكياء أنهم أكثر تدقيقًا في اختيار البرامج كما أنهم يميلون إلى نقد ما يشاهدون أكثر من غيرهم.

ويمكن القول بأن الأطفال حين يبلغون سن المراهقة يتحولون عن التليفزيون ويكتشفون أن الاستماع للموسيقى من الراديو يساعدهم أثناء استذكار الدروس، وفي تلك الفترة يوجد لديهم من الواجبات المنزلية والعلاقات الاجتماعية ما يشغلهم عن التليفزيون فإذا اتسع لهم الوقت ليشاهدوا بعض برامجه فإنهم يميلون إلى نقدها ويتحولون عن البرامج التي لا يرون فيها قيمة لزيادة معارفهم. وعلى ذلك فالأطفال ذوو الذكاء الكبير وأيضًا الأطفال ذوو الذكاء القليل يستقرون على طابع خاص عند اختيار البرامج التي تناسبهم بعد أن يصبحوا "كبارًا" مع ملاحظة أن المجموعة الأعلى ذكاء تستعمل التليفزيون أقل وتدقق في الاختيار أكثر من غيرها ويتحول أفرادها إلى الوسائل الأخرى سعيًا وراء المعرفة القيمة.

أما المجموعة الأقل ذكاء فأفرادها يقبلون على التليفزيون أكثر ويهتمون بالقراءة أقل من غيرهم ومن المحتمل أنهم يختارون من برامج التليفزيون كثيرًا من قصص الجريمة والتمثيليات وأفلام الغرب والموسيقى.

الأسرة:

خلال السنوات العشر الأولى من حياة الطفل يكون للأسرة الأثر الأكبر في تشكيل ذوقه، فوالداه يختاران ما يقرآن له من قصص، ومن هنا يكونان مثلاً له وهذا هو نفس ما يحدث لو كان له أخوة أكبر منه، حتى إذا تعلم القراءة فإن المادة التي يجدها أمامه هى التي يأتي بها أفراد الأسرة (الكتب والمجلات) وهذه تغرس في نفسه المثل الاعلى والقدرة السائدين في الاسرة.

وكما سبق أن افترضنا يكون المبدأ السائد بين أفراد الطبقة المتوسطة متجهًا إلى العمل الجدي والتقليل من استعمال التليفزيون من أجل الترفيه والاقبال على البرامج الواقعية التي تعمل على رفع المستوى وزيادة الثقافة بينما يميل أفراد الطبقة العاملة إلى استعمال التليفزيون من أجل المتعة ويختارون من برامجه ما يرفه عنهم ويجعلهم يعيشون معه بعض الوقت في عالم الخيال.

ويوضح هذا الرسم أثر الأسرة على الطفل في الاقبال على الوسائل المختلفة، وهناك ما يدعونا إلى الاعتقاد أن تأثر الطفل بأسرته عند اختياره لوسيلة الترفيه يكون أوضح من تأثره عند اختيار البرامج وعلى سبيل المثال.

وهناك اعتقاد آخر بأن أثر الاسرة على ذوق الطفل يكون كبيرًا قبل سن المراهقة فإذا أدرك الطفل هذه المرحلة فهناك احتمال لأن يتحرر

من اعتماده على أراء والديه ويقوم ببعض المحاولات لاكتشاف ذاته وشخصيته وفي نفس الوقت ينضم إلى جماعة رفقائه ويتأثر بهم إلى حد بعيد، كما أن عاداته في استعمال الوسائل المختلفة ربما تعكس اتجاهات غيره من المراهقين الذين يعجب بشخصياتهم: أو قد يكون سلوكه نحو تلك الوسائل هو محاكاة للسلوك العام بين المراهقين، كما يتصوره هو، أن الانطباعات التي تتركها الأسرة في الاطفال ويكون من نتائجها فروق عظيمة بينهم يحدث نتيجة للوقت الاضافي الذي يخصصه أفراد الاسرة الكبار لمشاهدة البرامج التعليمية.

أن مشاهدة البرامج التليفزيونية الثقافية قد أصبحت ظاهرة نادرة نسبيًا ولا يجد الطفل من جماعة أصدقائه من يمتدحها أو يوصي بها ،بلأنها على طرفي نقيض مع الفكرة الشائعة بين الناس أن التليفزيون وسيلة للترفيه، ولذا فإن الاطفال الذين يرون البرامج في التليفزيون يفعلون ذلك مقتدين بأفراد أسرهم.

مفهوم التليفزيون عند الأطفال:

لا يحتاج الأمر إلى دليل على أن التليفزيون قد اكتسب حب الأطفال واحترامهم ويمكن أن نقول نفس الشيء بالنسبة للآباء، لقد قمنا في سان فرانسسكو بمقابلات مع ١٨٨ أسرة بكامل أفرادها وسألناهم ضمن أسئلة أخرى:

- أي الوسائل العامة تحس نحوها بالوحشة إذا كان لابد لك أن

تتخلى عنها ؟

فوجدنا أن التليفزيون هو الوسيلة التي يحس جميع أفراد الأسرة وجميع الأطفال بفقد أنها أكثر من غيرها، ولا ننسى أن نذكر بأن الذين قالوا أنهم سيفقدون الراديو أكثر من غيره كانوا الغالبية من الأمهات، أما الآباء فقد كان رأيهم أنهم سيفقدون الجرائد والصحف أكثر من غيرها وأعدنا السؤال بصيغة أخرى لنختبر قوة تأثير التليفزيون على الناس فسألناهم:

"هل هناك وسيلة خاصة (بعينها) لا تريد أن تفقدها أبدًا على فرض أنك اضطررت للاستغناء عنها ؟

فوجدنا أن ٤٣% من الأسرة لا يمكنها الاستغناء عن السينما. يلاحظ أن التليفزيون حصل على أكبر نسبة مئوية بين جميع الوسائل.وإذا حللنا جميع إجابات الأطفال عن الأسئلة التي أردنا بها معرفة مدى الوحشية التي يحسون بها نحو التليفزيون ومقارنته بالوسائل الأخرى يتضح لنا أن روعة التليفزيون وأهميته تقل كثيرًا كلما كبر الطفل.ففي سن المراهقة تزيد أهمية الراديو ويكسب معركة التنافس مع التليفزيون وكذلك يزيد الاهتمام بالصحف، ولكن رغم قلة الاهتمام بالتليفزيون عندما يكبر الطفل، فإنه يظل الوسيلة التي يفتقدها الطفل أكثر من غيرها طوال سنواته الدراسية من الصف الأول الابتدائي إلى الصف الثالث الثانوي.

وقد قمنا كذلك بعملية تحليل لدراسة مدى الوحشة التي يحس بها

الأطفال نحو الوسائل المختلفة تبعًا للقدرات العقلية المختلفة ومنها وجدنا أن الأطفال النابهين قد أعطوا التليفزيون أكبر نسبة مئوية بين الوسائل الأخرى. فيقل الاقبال على التليفزيون ويزيد على الصحف عند الأطفال الأذكياء، قبل غيرهم، وعلى العموم، كلما كان الطفل نابهًا بعد سن العاشرة كلما ضعف الاحتمال بأن يكون للتليفزيون قيمة كبيرة عنده.

إن الفوارق الكبيرة في الأرقام تدل على انصراف المراهقين عن التليفزيون أكثر وضوحًا عند متوسطي الذكاء، أما أكثر الأطفال ذكاء فإن موقفهم من التليفزيون يتقرر في وقت مبكر وتحولوا منه إلى الراديو والصحف وهكذا يحسون بالقيمة التي يفقدها التليفزيون في نفوسهم أقل من غيرهم.

الفصل الرابع

لماذا يشاهد الأطفال التليفزيون ؟

يعيش الطفل الجو الخيالي للصورة التليفزيونية أو للقصة أو يشترك بطريق التعويض في مباراة مثيرة يشهدها، أو يرى في برنامج آخر شخصيات جذابة، أو ليتخلص من مشاكل الحياة الواقعية، أو بعبارة أخرى أن الطفل يشبع كل رغباته في المتعة والترويح وهو جالس في بيته عن طريق ذلك الجهاز الرائع الذي يكون دائمًا رهن إشارته.

هذا هو السبب الذي يستطيع الطفل أن يعبر عنه بسهولة، وإذا بلغ الأطفال سن الثالثة يكونون قد ارتبطوا ببرامج مفضلة أو إذا تقدمت بهن السن، نراهم جالسين أمام الجهاز وفي وجوهه نظرات الاستغراق العميق والأطفال قد يدهشون أمهاتهم بترقب موعد إذاعة بعض البرامج المفضلة مع أنهم لا يحرصون على مراعاة ذلك بالنسبة لما يقومون به من أعمال أخرى، وهم يختارون شخصيات يعجبون بها أو يقلدون بعض الأبطال.

والملاحظ اليوم أن الأم توجه نظر طفلها إلى التليفزيون عندما يسألها عما يمكن أن يفعل فيتعلم الطفل مرة بعد أخرى استعمال الجهاز ليملأ الفراغ بين مختلف أوجه النشاط التي يؤديها أو يشاهد البرامج إذا لم يكن لديه نشاط أو عمل إيجابي يقوم به.

وهذا هو الجانب الذي يتصل بظاهرة انفصال الشخصية، لأن التليفزيون لا يشجع على إقامة علاقات بين الناس، وإنما على العكس يدعو الطفل إلى الانطوائية بعيدًا عن الحياة والاستغراق مع الصورة التي تعرضها الشاشة في عالم الخيال، ويستعمل التليفزيون اليوم للهرب من مشاكل الحياة أكثر مما يستعمل لحل هذه المشاكل فمشاهدة التليفزيون في جوهرها سلوك سلبي يستسلم له الطفل ليستمتع ببرامج معدة له دون أن يكلفه ذلك جهدًا أو مالًا وعندما يتحدث الأطفال عن هذا الجانب من التليفزيون فإنهم يميلون إلى تقدير قيمة الترفيه في البرامج أو التفرقة بين الشخصيات المختلفة ويقدرون ما في برامج الترفيه من إثارة وجاذبية، ولا يكون لديهم شك في أن هذه القيمة الترفيهية هى السبب الرئيسي أو على الأقل هى أول الأسباب التي تدفعهم إلى مشاهدة التليفزيون ، ولكن هناك جانبًا هامًا من المعرفة يكتسبها الأطفال من التليفزيون دون أن يكون ذلك قصدهم وهذا يأتي بنا إلى السبب الثاني الذي يشجع الأطفال على المشاهدة.

إن الغالبية من الأطفال يعترفون بأنهم يتعلمون بعض الأشياء من التليفزيون فالفتيات مثلًا يتعلمن طريقة تصفيف الشعر أو طريقة المشي الصحيح وطريقة الحدث وكيفية اختيار الملابس المناسبة ذلك أنهن ينتقطن هذه الملاحضات مما يرون أمامهن من نماذج الأزياء.

أما الفتيان فعن طريق التليفزيون يتعرفون على عادات الشبان من البلاد النائية في ارتداء الأزياء المختلفة ويتعلمون بعض المهارات الرياضية

عندما يشاهدون أبطال العاب القوى، وقال بعض الأطفال أن التليفزيون يعرض عليهم حياة مختلف الشعوب، كما أن الأنباء التي يشاهدها الطفل على شاشته تكون أكثر واقعية لأنه يراها حيث حدثت، هذا وكثير من الأطفال يذكرون أن التليفزيون يمدهم ببعض المعلومات والأفكار عن مواضيع تفيدهم في الدراسة.

هكذا يتعرف الأبطال بأن التليفزيون له نصيب كبير في المعرفة التي يكتسبوها ورغم هذا فإنهم يضيقون بالبرامج التي تكون كلها أو أغلبها في أساسها برامج تعليمية أو ثقافية، لأنهم يفضلون أن يأتي التعليم من التليفزيون عرضًا بدلًا من أن يكون القصد أو الهدف الأساسي من البرامج هو التعليم.

ولعل هذا هو أساس اعتراضهم على البرامج التعليمية فهم لا يشاهدون تلك البرامج أصلًا من أجل الترفيه وينتظرون ما قد تتضمنه من معرفة تأتي عرضًا، أن ما يحدث هو عكس ذلك فإنهم يضطرون لرؤية البرامج الثقافية ليكتسبوا منها قيمة علمية فإذا وجدوا بها بعض المتعة ستكون مصادفة، لهذا يصف البعض البرامج التليفزيونية التعليمية بأنها ذات مستوى عقلي مرتفع وأنها تقدم للأطفال لأنها ذات فائدة لهم، ومعنى ذلك أن مشاهدتها هى امتداد لسلطة الآباء حين يفرضون رؤيتها على أبنائهم أثناء ساعات اللعب التي يريدون قضاءها مع برامج الترفيه حسب هواهم.

ليس معنى هذا أن الأطفال عمومًا لا يشاهدون بعض البرامج

بقصد التعليم أو بعضهم لا يقدرون قيمة البرامج التعليمية، وإنما المقصود هنا أن غالبية الأطفال يظنون أن مشاهدة البرامج الثقافية في التليفزيون اعتداء صريح على وظيفة الرئيسئة وهى الترفيه.

ومازال هناك جانب آخر يعبر عن قوة جاذبية التليفزيون ، ونقصد بذلك وظيفته الاجتماعية بصرف النظر عن الفائدة التي يمكن اكتسابها منه، مثال ذلك أن الذين في سن المراهقة يجدون في التليفزيون وسيلة لاجتماع الفتيان والفتيات ، حيث يجلس بعضهم قرب البعض، كما أن البرامج اليومية في التليفزيون تخلق موضوعات للمناقشة والحديث بين التلاميذ في المدرسة، والذي لا يستطيع أن يتحدث عن البرامج الهامة أو الوجوه الجديدة يعتبر متخلفًا عن نظرائه في هذا المجال وهكذا يكون للتليفزيون فائدة اجتماعية مباشرة، ويبدو أن مشاهدة التليفزيون تتسلط على بعض الاطفال، فيشعرون بالضيق إذا فاتهم برنامج مفضل أو إذا كان الجهاز في حاجة إلى إصلاح أو إذا غابوا عنه في الاجازة الصيفية.

أن وظيفة التليفزيون الاجتماعية لا تختلف أساسًا عن الوظيفة الاجتماعية للسيارة أو أية إدارة أخرى يكون لها كيان في حياة الطفل ولذا فسوف نذكر شيئًا عن هدفين آخرين للتليفزيون يتصلان بما يذيع من برامج. ومن الواضح أن أي برنامج تلفزيوني يحتمل أن يكون جذابًا على درجة ما بالنسبة لناحيتي المعرفة فيه، حتى أخطر أفلام الجريمة يمكن أن يتعلم منه الطفل بعض المهارة أو يكتسب منه شيئًا من المعرفة عن العالم الذي نعيش فيه، وكذلك قد يكون لهذا البرنامج أثر في مجتمع الطفل إذا تحدث

في موضوعه مع بعض رفقائه في المدرسة ممن شاهدوه.

كما أن البرامج التعليمية إلى جانب ما بها من مادة المعرفة تحتوي على بعض الترفيه فالمحاضر قد يحكي قصة مثلًا أو قد يعرض بعض الصور الايضاحية والبرنامج الرياضي الذي يعتبره أغلب الناس ترفيهيًا .. قد يكون به بعض المعرفة للطفل الذي يريد أن يلعب هذا النوع من الرياضة.

وبالمثل القصة التي تحكي حادثة قتل قد تكون في رأي طفل برنامجًا من نوع "من الجاني" وبالنسبة لآخر، معلومات عامة عن ظروف في الحياة ساعدت على حدوث الجريمة بينما طفل ثالث يرى فيها درسًا يعلمه كيف يرتكب الجريمة. وليس هناك شك في أن اكتساب المعرفة من التليفزيون يأتي متأخرًا وهو كمظهر من مظاهر السلوك العقلي أرفع نسبيًا من تعلم استعماله كوسيلة للترفيه، فالتليفزيون أولًا ودائمًا له التفوق والغلبة على جميع الوسائل، إنه باب سحري إلى عالم الخيال والروعة والإثارة، إنه دعوة كلها إغراء للاسترخاء النفسي وطرح مشاكل الحياة ومتاعبها حيث يستغرق الإنسان في متعة جميلة مع شخصيات القصة التي تجري حوادثها على الشاشة.

ما هى حاجات الأطفال التي يحققها لهم التليفزيون ؟

الطفل من الناحية الجسمانية يكون في حالة نمو، ومن الناحية الاجتماعية يكون في مرحلة اعداد ليتبوأ مكانه ويؤدي دوره في مجتمع الكبار أو كما نقول يكون في فترة "تكيف اجتماعي" فهو يتعلم المهارات المختلفة مثل القراءة والحساب ومناقشة الناس، وغيرها من أوجه النشاط التي سيكون في حاجة إليها عندما يبلغ مبلغ الكبار، وهو يتعرف على

المبادئ والقيم والعادات والتقاليد التي يتميز بها مجتمعه وإلى جانب ذلك هو يكتسب بعض المعرفة عن نظم وتاريخ الحضارة التي يعاصرها وانماط السلوك التي سيتخذها مثلًا له.

إنه يقترب رويدًا من مرحلة يستطيع عندها أن يتحرر من رقابة الوالدين ليدخل في مجتمع رفقائه ومجتمع الكبار، وفي نفس الوقت يكون الطفل من الناحية النفسية في مرحلة اكتشاف أهداف في حياته يسعى إلى تحقيقها، فهو يرسم صورة للبيئة المحيطة به ثم يحاول أن يخرج عن إطار مجتمعه ليكون لنفسه صورة منفصلة تعبر عن شخصيته الفردية.. إنه يبحث عن أهداف:

أين مكانه في هذا العالم الكبير ؟

وأي مهنة سيحترف ؟

وأي دين يعتنق ؟

وماذا سيكون مذهبه السياسي ومبادئه الاخلاقية ؟

وأي طراز من الأصدقاء سيتخذ لنفسه ؟

وأي شريك في الحياة سيختار ؟

ومثل هذه التجارب "الخبرات" تكون في غاية الصعوبة على نفس الطفل وغالبًا ما تسبب له صدمات شديدة ومخاوف وشعور بالفشل. وهنا

يجد الطفل في مشاهدة التليفزيون ما يعينه على الهرب من الصراع النفسي والشعور بالفشل الذي يحس به في عالم الواقع، أو ربما ليجد في برامجه بعض العون أو فكرة صائبة لحل مشاكله.

وهناك احتمال آخر للدوافع التي تشجع الطفل على مشاهدة التليفزيون، ويكون بسبب الوسط الاجتماعي الذي يحيط به فقد يتوقف الطفل عن التماس أي هدف، ويستسلم إلى ما يحيط به من أحداث ومشاكل لا يملك السيطرة عليها فينصرف إلى التليفزيون لمجرد الترفيه وليتخلص من ملل الحياة.

وعندما يحاول الطفل أن يشبع رغباته النفسية عن طريق برامج التليفزيون، يجد لونين من المادة الفنية، لكل منهما قيمة تختلف عن الأخرى وتستثير فيه نوعًا من السلوك، ومن العسير أن نتحدث عن هذه الرغبات دون أن نعيد إلى الأذهان المقارنة بين مبدأي اللذة والواقع التي قال بها فرويد، ففي مفهوم "فرويد" عن الشخصية الإنسانية، –كما نذكر – يكون مبدأ اللذة نشيطًا في وقت مبكر جدًا من الحياة، وينتج عنه أن يقوم الكائن الحي – باستجابة يشعر مها باللذة، فمثلًا نرى أحد الأطفال يقوم بحركة "مصممة" حتى ولو لم يكن أمامه طعام يستثير تلك الحركة.

أما مبدأ الواقع فشيء يتعلمه الطفل فيما بعد، مثال ذلك القدرة على اختيار الوقت المناسب والمكان المناسب لكي يكون ركوب السيارة شيئًا ذا قيمة وأن يتحكم في السلوك الذي يشبع به لذته إلى أن يأتي ذلك الوقت الذي يتوقع فيه الفائدة ، فمبدأ اللذة إذًا مرتبط بعمليات النشاط

المبكرة في حياة الطفل وكذلك مرتبط بالـ "هو".

أما مبدأ الواقع فيرتبط بعمليات تأتي في مرحلة متأخرة من حياة الطفل تتصل بالذات، وقد كتب أحد المؤلفين المعاصرين عن سلوك الإنسان وهو يستعمل الوسائل الجماهيرية فقال أنه يعجل بتحقيق رغباته أو يؤجلها، والنوع الثاني من السلوك يتطلب ارجاء اشباع هذه الدوافع.

ونرى أن نقسم المادة الفنية في الوسائل الجماهيرية إلى اتجاهين لكل منهما طابع خاص يميزه عن الآخر فالبرامج التي تتجه إلى الخيال: تشجع المشاهد على أن يتخلى عن مشاكله في عالم الواقع والاستسلام والاسترخاء والسلبية، وتشجع على العاطفية وهذه البرامج تعمل على أساس عدم الاعتراف بالقواعد والنظم المألوفة في عالم الواقع. ومن آثار هذه البرامج أن تخلص الطفل ولو وقتيًا من الشعور بالخطر والقلق، وغالبًا ما تساعده على تحقيق رغباته وتشعره بالسعادة.

أما البرامج التي تتصل بالواقع فمن خواصها أنها: تجمل المشاهد على اتصال دائم بمشاكل الحياة الواقعية وتشجعه على الانتباه وبذل الجهد والايجابية في التفكير والسلوك وتزيد حصيلته من المعرفة.

وتعتمد فاعليتها على مادة فنية مستمدة من حوادث ومواقف واقعية وهذه البرامج تزيد من شعور المشاهد، بالخطر والقلق نتيجة لما يشهده من نماذج المشاكل الواقعية.

ومن هذه البرامج يكتسب المشاهد ثقافة وعلما.

ولا يفهم من هذا أن برنامجًا ما سيكون له نفس الاستجابة بالنسبة لاثنين من المشاهدين وعلى سبيل المثال، إذا عرضت قصة رجل واسع الثراء، قد تكوم مجرد تحقيق رغبة بالنسبة لأحد المشاهدين، ولكن بالنسبة لآخر قد تكون صورة واضحة لانعدام العدالة الاجتماعية.

ولا نعني بذلك أن كثيرًا من البرامج التليفزيونية تكون خيالية بحتة والأخرى تكون واقعية بحتة – لأن من خواص المادة الفنية للوسائل الجماهيرية قدرتها على أن تغطي كلا الاتجاهين، فقد يكتسب المشاهد بعض الأفكار الواقعية من برنامج خيالي ومن ناحية أخرى قد ينبني البرنامج الخيالي على مادة واقعية. وباستطلاع آراء كثير من المستمعين عن مختلف أنواع البرامج يمكن القول عمومًا بأن الأفلام الغربية وقصص الجريمة والتمثيليات والموسيقى الشعبية تدخل ضمن برامج الخيال، وأما البرامج التعليمية في التليفزيون فهى أساسًا من البرامج الواقعية.

وبالنسبة للوسائل الأخرى نرى أن المجلات المصورة والقصص تستثير في القارئ استجابات خيالية بينما الكتب الثقافية والعلمية البعيدة في موضعها عن القصص ، تستثير في القارئ استجابات واقعية، وبالمثل هناك مجلات خاصة بالسينما ومجلات قصصية ومجلات مغامرات وهذه لها اتجاه خيالي أما المجلات المتخصصة في الفنون والعلوم فمادتها ذات اتجاه واقعي.

التليفزيون وعالم الخيال:

لقد كتبت اليانور ما كوبي نموذجًا من الدراسة المتعمقة عن الفائدة

التي يجنيها الطفل من المادة الخيالية فقالت أن لها ثلاث وظائف:

١- تمد الطفل بخبرة متحررة من القيود التي تتحكم في حياتنا الواقعية، حتى إذا ما حاول أن يجد حلًا لمشكلة يمكنه أن يجرب بعض الأعمال دون أن يتعرض لضرورة أو عقاب إذا هو فعل ذلك.

٢- الوظيفة الثانية للبرامج الخيالية أنها ترفه عن الطفل ولعل القارئ يعرف الدافع الذي يدعوه لقراءة قصة بوليسية ليهرب - لوقت ما - من متاعب الحياة وثقلها على النفس، وهذا بالفعل هو ما يحدث للطفل عندما يحس بأي صغط أو اضطهاد من الوسط المحيط به فإننا نفترض أن ذلك يدفعه للابتعاد عن كل هذا والاستغراق في برنامج خيالي.

٣- أما الوظيفة الثالثة فهي التي أكدها فرويد في تحليله للأحلام وهى أن الخيال تحقيق للرغبة وتبعًا لوجهة النظر هذه يجد الإنسان مجالًا للتنفيس عن الدوافع التي لا يجد لها متنفسًا في عالم الواقع - ويؤيده هذا الرأي حقيقة نعرفها أن الأطفال يشعرون بسرور عظيم عندما يشاهدون قصص العنف والقتل (لأنها تعكس ما في نفوسهم من الميل للاعتداء في حياتهم اليومية) بينما يهتم المراهقون بالبرامج العاطفية.

والاشباع التعويضي للرغبات الذي يستمده المشاهد من البرامج الخيالية أضعف من ذلك الذي يحس به في واقع الحياة ولذا فإن ما تحدثه تلك البرامج من تنفيس يعتبر حلًا من الدرجة الثانية إذا أعوزت الإنسان الحلول الواقعية ، ومن الممكن أن نجد وظائف أخرى ولكن ما ذكر يكفي

للتعبير عن الرأي الذي يقول بأن الأطفال يشبعون الرغبات التي يريدونها في حياتهم الواقعية عن طريق برامج الخيال في التليفزيون.

ولا يمكن التنبؤ بنتيجة ما يحدث عندما يبحث الطفل عن برنامج ما كأن نحدد مثلًا نوع المادة الفنية للبرنامج ولكن بالنسبة لغالبية الأطفال قد تساعد البرامج الخيالية على امتصاص أو تفريغ الميل للاعتداء، ولكن بالنسبة للبعض الآخر قد ينمي لديهم الميول العدائية وتشجع على أعمال العنف.

ونكرر هنا أن هذا لا يمكن التنبؤ به من محتويات البرامج بل لابد أيضًا من التعرف على طبيعة الأطفال أنفسهم.

ولسنا على استعداد لأن نناقش الآن ما إذا كانت البرامج الخيالية – على المدى الطويل – تعتبر ذات فائدة للأطفال، فقد افترضت "اليانور ماكوبي" أن هذه البرامج قد تساعد بعض الأطفال على إيجاد حلول لمشاكلها دون أن يكون لديهم الشعور بالقلق أو الحرج الذي يحسون به في واقع الحياة وبالنسبة للآخرين قد تكون مجرد وسيلة لتأجيل حل لهذه المشاكل أو التظاهر بأنها غير موجودة.

وهذا أحد الأسئلة التي تثير مزيدًا من القلق على التليفزيون باعتباره مصدرًا للخبرات الخيالية.

هل يقف التليفزيون عقبة في سبيل حل مشاكل الحياة الواقعية ؟

ان في حياة الإنسان لحظات ومواقف يكون من المستحسن أن يعطي نوعًا من المخدر حتى لا يحس بالألم كما في إجراء عملية جراحية مثلًا، أو عند تجبير طرف مصاب.

وفي هذه الحالات يستمر التخدير مدة طويلة حتى ينتهي علاج المشكلة ومثل هذا يمكن أن يحدث أحيانًا نتيجة لاستعمال التليفزيون كدواء مخدر (ينسي الإنسان مشاكله اليومية).

ولكن هناك فارقًا بين الجراح عندما يشير باستعمال المخدر أثناء العملية، وبين المريض الذي يصف لنفسه مشاهدة قصة خيالية كعلاج للحرمان والقلق.

فالحيلة الثانية أشبه بالمريض الذي يصف لنفسه دواء دون استشارة الطبيب.

وإذا كان صحيحًا أن الإنسان قد ينسى شعوره بالحرمان والقلق – مؤقتًا – اذا تعاطى شيئًا من الخمر أو المخدر فليس هذا هو الطريق السليم الذي ينصح به لحل المشاكل الإنسانية ففي كم حالة يستطيع التليفزيون أن يحقق رغبات الأطفال في الخيال كما تفعل المشروبات الروحية للكبار وهل يشجع التليفزيون الأطفال على البحث عن وسيلة سلبية لإشباع الرغبات، وبذلك تقلل من قدرته على تحمل الحرمان لمدة طويلة حتى يمكنه أن يجد الحلول المناسبة لمشاكله ؟ وهل تصرف الطفل عن إيجاد حلول واقعية لمشاكله، هذه الأسئلة تبعث على القلق والحيرة

خاصة وأن التليفزيون له قدرة فائقة على ابتكار البرامج الخيالية.

أن الوضوح العجيب الذي تعرض به مشاهد التليفزيون وقدرته على جذب الانتباه وتركيزه على دقائق الصورة، والحرية المطلقة في عرض القصة بالصورة الفنية التي يبتكرها المخرج ... كل هذه المميزات تجعل هذا الجهاز العجيب من أعظم مصادر الخيال في عصرنا الحاضر وليس بعجيب أيضًا أن الخاصية الأخيرة هى التي تجذب الصغار إلى التليفزيون.

التليفزيون والعالم الواقعي:

أن للتليفزيون ميزات خاصة يتفوق بها على غيره بوصفه وسيلة لنقل الخبرات الواقعية كما ان له بعض العيوب. فمن ميزاته أنه يستطيع نقل الخبرة والمعرفة في سن مبكره وقبل غيره من الوسائل فليس من الضروري أن يتعلم الطفل القراءة قبل أن يكتسب المعرفة من التليفزيون وحتى بعد أن يتعلم القراءة يجد أن التليفزيون يمده بالمعرفة الخاصة بعالم الكبار، وسنوضح فيما بعد أن التليفزيون يعجل عملية التعلم في سن مبكرة ولم يعد من اللازم أن نقدم المعرفة للطفل شيئًا فشيئًا أو سنة بعد أخرى.

والسبب الثاني أن التليفزيون به كل مميزات الوسيلة السمعية البصرية وبهذا يمكن عن طريقه تقديم المعرفة التي يتعسر نقلها إلى ذهن الطفل عن طريق الكتابة أو الصورة أو الصوت إذا استعمل كل منها على حدة. فمثلًا يتفوق التليفزيون على غيره من الوسائل لو استعملناه في وصف دقائق عملية جراحية، أو عندما يقدم لنا وصفًا مصورًا لحياة

وأعمال شعوب أفريقيا.

ونضيف إلى هذا أن التليفزيون له ميزة خاصة هى تقديم المعرفة على صورة يمكن للذهن أن يستوعبها بسهولة ومثال المعونات التي تقدمها البرامج التعليمية في النواحي العملية كالتاريخ الطبيعي، أو الألعاب والمباريات الرياضية، والميزة الثالثة أن تنظيم العمل في هيئات التليفزيون يساعد على تبادل الشرائط المسجلة بين الهيئات المختلفة وبالتالي يزداد جمهور المشاهدين ويتسع مجال المشاهدة في البيئات المختلفة.

كما أن آلات التصوير التليفزيونية تستطيع أن تنتقل إلى مكان لايمكن للمشاهد العادي أن يصل إليه، وهكذا يرى الطفل على شاشة الجهاز، مناظر خارجية أبعد من حدود البيت والبيئة المحيطة به، وبالنسبة للأطفال الكبار في السن نسبيًا يفتح أمامهم نافذة على العالم الكبير فيكتشفون أعماق المحيط، ويستطلعون أركانًا بعيدة من الدنيا أو يرون عجائب ما وصل إليه الإنسان في السفر عبر الفضاء.

وإلى جانب هذه الميزات يبدو من التليفزيون بعض العجز فلو أننا قارناه بالوسائل المطبوعة مثلًا لوجدها المشاهد عاجز عن متابعة السرعة التي تعرض بها الصورة على الشاشة، كما اننا لا يمكن أن نرى البرنامج مرة أخرى إلا إذا تكررت إذاعته كما أنه لا يمكن أن يراجع برنامجًا سبقت إذاعته إلا أذيع مرة أخرى، وفي كلا الحالين لا تعاد البرامج إلا إذا كان هناك اتصال بين جمهور المشاهدين والمشرفين على الإذاعة.

فالمشاهد إذًا تحت رحمة البرامج الموضوعة لا يمكنه أن يرى برامج خاصة ذات طابع بناء على رغبة أبداها، وإنما عليه أن ينتظر إذاعتها لمدة أسابيع أو شهور، وهذه الخاصية تجعل من التليفزيون أداة ناجحة في عرض القصة وفي الانتقال بالطفل إلى عالم الخيال، لأن هذا يستتبع استسلام المشاهد لما يرى من المناظر وما يسمع من القصص، ولكن التعلم بالتليفزيون أصعب منه عن طريق الوسائل المطبوعة، ولعل هذا هو السبب في أن الطفل بعد أن يتعلم القراءة ويعرف كيف يستفيد من الكتب والمراجع في المكتبات، يقبل على طلب المعرفة من المطبوعات إذ يحس بقدرته على استخلاص ما بها من معلومات.

وهناك خاصية أخرى تجعل التعلم من التليفزيون صعبًا ألا وهى الواقعية البحتة المتبعة في طريقة العرض بالوسائل السمعية والبصرية، إن المستوى العالي من التفكير المجرد الذي ترتبط به الوسائل المطبوعة قد تكون أكثر نجاحًا في تركيز الانتباه على الأشياء المجردة والكليات مما يزيد فرص التعلم والحفظ وتساعد على تطبيق ما يتعلمه الإنسان في المواقف الجديدة التي تصادفه.

والميزة التي يختص بها التليفزيون ألا وهى إبرازه للمشاهد في صورة أقرب إلى الواقعية كما هو مألوف في العرض عن طريق الوسائل السمعية والبصرية هذه الميزة تصرف انتباه المشاهد عن الأفكار المجردة.

وهناك سبب آخر يجعل من التليفزيون أقل فاعلية مما نتوقع في مجال نقل المعرفة، ذلك أنه قد أحرز نجاحًا كبيرًا في ميدان الترفيه بعرض البرامج

المتصلة بالخيال حتى أن الجانب الأكبر من انتباه المشاهد واهتمامه يتركز على هذا الاتجاه وبذلك تبدو عملية طلب المعرفة عن طريق التليفزيون وكأنها استعمال غير طبيعي للوسيلة. ومع ذلك فلا يغيب عنا أن حصيلة المعرفة التي يسعى الإنسان لطلبها من التليفزيون ضئيلة الكمية، أما الجزء الأكبر من المعرفة فيكون نتيجة ثانوية عن طريق مشاهدة البرامج الخيالية ولا ينبغي هنا أن تحكم على هذه المعرفة "مقدمًا" فنحدد أيها يكون نافعًا للطفل.

فقد يتعلم الأطفال من التليفزيون الآداب الصالحة أو يلتقطون بعض العبارات اللغوية الخاطئة، دون قصد منهم[1] ، وقد يتعلمون زخرفة حجرة أو كيف يسطون على أحد المنازل للسرقة، فما يشاهدونه في التليفزيون وما يتعلمونه وكيف يفيدون منه يتوقف على الطفل كما يتوقف على طبيعة البرنامج.

فالأطفال إذًا لا يقبلون على التليفزيون بقصد اكتساب المعرفة وإنما هم يديرونه أساسًا لينسوا متاعبهم ويتخلصوا من الملل.

عالم الواقع وعالم الخيال:

بعد أن علمنا في الصفحات السابقة أن الطفل يقضي مع التليفزيون ساعتين يوميًا في المتوسط، لابد أن يكون قد خطر ببال القارئ أنه "أي الطفل" ينتقل مرات كثيرة بين عالمي الواقع والخيال، هذه هى الحقيقة التي

---

[1] – بسبب استعمال اللغة العامية في المسلسلات وحوار التمثيليات.

تقربنا من المفهوم الذي يعرفه الطفل عن التليفزيون.

والآن لننظر إلى بعض أوجه الخلاف بين هذين العالمين اللذين يتصل بهما الطفل.

إن عالم الخيال يبتعد كثيرًا عن عالم الواقع ولا يعترف بالحدود التي نعرفها في الحياة، فالبطل في القصة الخيالية يلتقي بفتاة أحلامه أسرع مما يستطيع الشاب العادي في الحياة التي ألفناها.

وكذلك "سوبرمان" قد يبدو للمشاهد رجلًا عاديًا في ملابس عادية، ولكنه في القصة قد يطير من مكان إلى مكان كما يفعل (الرجل الخفي – أو الشبح)، وأن واحدًا منا لو مرت به الأحداث التي تمر ببطل الجريمة في القصص البوليسية في التليفزيون لانتهى به الأمر إلى موت محقق، ولكن هذا البطل الجريء يعيش رغم ما يصادف من أخطار لأن كل ذلك يحدث في الخيال، كما أنه لا خوف أيضًا على المشاهد الذي يرى تلك الأحداث.

ولو أن المشاهد اضطر إلى السير في إحدى الطرقات المظلمة كتلك التي يراها في مشاهد التليفزيون لتحتم عليه أن يسير وفي جيبه وصيته وفي يده المسدس استعدادًا للطوارئ ولن يخلصه ذلك من مشاعر الخوف الشديد، ومع ذلك فإن هذا الشخص نفسه يستطيع أن يجلس في استرخاء أمام التليفزيون ويرى مشاهد الجريمة تحدث على بعد أقدام منه دون أن يتأثر بذلك.

وأن التنقل بين عالمي الواقع والخيال سلوك يصعب على الطفل أن

يفهمه، ولذا تمضي عليه سنوات طويلة والخيال في نظره حقيقة لا تقل عن عالم الواقع ونحن نعرف ذلك عندما يصدق الطفل أن برنامجًا ما قد "حدث فعلًا" وذلك بسبب عمق الانطباع الذي يتركه هذا البرنامج على تفكيره.

فما هى الخطوات التي يجب أن يمر بها تفكير الطفل قبل أن يستطيع التمييز بين الأحداث المزيفة والحقيقية ؟ وهناك سؤال يرد إلى الخاطر: ما هو التطور الذي يجري على الصورة النفسية التي يكونها الطفل حتى يعرف الحدود الفاصلة بين عالمي الخيال والواقع ؟

عالم الخيال وأهميته للطفل:

رغم أن الطفل يجد في التليفزيون لونين من البرامج يساعدانه على تحقيق رغباته بأن تستثير فيه ما سبق أن سميناه بالدوافع الواقعية والخيالية، من الواضح أن أولى وظائف التليفزيون بالنسبة للطفل أنه يسهم في خلق نوع من السلوك يعيش به في الخيال، وإذا كان يفيد الطفل ببعض المعرفة فإنه من ناحية أخرى يصرف انتباهه عن المشاكل التي يصادفها في حياته الواقعية فالأطفال يشاهدون التليفزيون سعيًا وراء البرامج التي تستثير فيهم ألوان النشاط الخيالي وهم يفعلون ذلك قبل أن يبحثوا عن البرامج الواقعية بفترة طويلة ... وهذا ليس بعجيب لأن من السهل على الطفل نسبيًا أن يجلس من أجل المتعة أمام الجهاز، أما أن يسعى الطفل إلى نوع من المعرفة تتطلب منه التخلي عن المتعة مع احتمال تعرضه للاجهاد النفسي بدلًا من تخفيف ما يعاني من توتر، وإن يبذل جهدًا عقليًا كبيرًا لاستيعاب تلك المعرفة على نفس الشاشة التي تغري على طلب المتعة والترفيه فهذا لون

من الوان السلوك الرفيع يصعب على الطفل اتخاذه وعندما يدرك الطفل أهمية البحث عن الحقائق للاسباب التي أوضحناها فإنه إلى الوسائل المطبوعة (الكتب والمجلات) أكثر مما يلجأ إلى التليفزيون بحثًا عن المواد التي تتصل بالحقائق.

اختبار وظيفة التليفزيون:

كيف نثبت صحة ما سبق أن قررناه عن التليفزيون من أن الأطفال يستعملونه بإسراف كبير من أجل المتعة الخيالية وأنه رغم وجود مجال كبير للبحث عن الحقائق في برامج التليفزيون فإن الطفل يستمد جانبًا كبيرًا من العلم عن طريق الوسائل المطبوعة.

وعندما يثير الأطفال إلى الفائدة التي تعود إليهم من التليفزيون فإنهم يذكرون في مقدمة ذلك كثيرًا من البرامج التي تتصل بعالم الخيال وعندما يتحدثون عن البرامج المفضلة نجد أن ما يتصل منها بالخيال يزيد بكثير عما يتصل بالواقع وهذه هى نفس النتائج العامة التي انتهت إليها الابحاث السابقة في هذا الميدان، ففي انجلترا وصلت السيدة "هيملوايت" إلى أن الأطفال يطلبون البرامج الخيالية، ووجدت السيدة "بيلين" في نيوانجلاد من البحث الذي قامت به على أطفال الصفين الخامس والسادس من المرحلة الأولى أن هدفهم الأساسي من مشاهدة برامج التليفزيون هو الهرب من الواقع، ووجدت السيدة "ماكوبي" أن الأطفال في أسر الطبقة المتوسطة الذين يحسون بالفشل الزائد في حياتهم العائلية (الذين لم يكونوا على علاقة حسنة مع والديهم أو الذين يخضعون لنظم قاسية في البيت) هؤلاء هم

الذين يقضون مع برامج التليفزيون ساعات أطول من نظرائهم الذين لا يقاسون الفشل.

وليس بعجيب أن هؤلاء الأطفال يختارون البرامج الخيالية بل أنهم يفضلون مشاهد العنف والجريمة التي يشعرون معها بالتنفيس عن ميلهم للاعتداء بطريقة تعويضية.

وأخيرًا:

لقد ناقشنا نظرية وجود الوسائل العامة ، لأنها تشبع الحاجات الانسانية وأن التليفزيون عندما ظهر أحدث تغييرًا كبيرًا في حياة الأطفال لأنه يحقق بعض حاجات الأطفال بطريقة أفضل من هذه الوسائل، وقد قدمنا بعض الأدلة على أن الحاجات التي يشبعها التليفزيون هى تلك التي تتصل بالخيال إذا قارناها بتلك التي تتصل بالواقع ، وبتعبير آخر يكون الدور الأساسي للتليفزيون في حياة الطفل هو استثارة البحث عن الخبرات الخيالية وممارسة السلوك الذي يتصل بالخيال ويجب ألا نتسرع هنا فنقول أن طلب الخبرة الخيالية أو الخبرة الواقعية تفيد الطفل أو تضره أو أن أحداهما تساعد على تأهيل الطفل اجتماعيًا والأخرى لا تؤدي هذا الغرض، فمن الواضح أن كلًا الاتجاهين قد يسهم أو يبطئ هذه العملية، وعلى سبيل المثال قد يؤدي السلوك المبني على الخيال الذي يشاهده الطفل في التليفزيون إلى ما يأتي:

١- امتصاص الشعور بالملل والضيق الذي يحس به الطفل طوال عملية

التكيف الاجتماعي.

٢- يكسب العقل معرفة وادراكًا يستطيع المشاهد اليقظ قياسًا عليهما أن يرى نفسه في صورة أوضح.

٣- يشجع الطفل على الانزواء بعيدًا عن عالم الواقع والخلط بين المواقف الخيالية والواقعية وبذلك يخلق له مشاكل أكثر مما يقدر له أن يصادف لو أنه اقتصر على اكتساب الخبرة من عالم الواقع.

٤- ينمي في الطفل الميل للاعتداء بدلًا من امتصاصه وهذا يجعل عملية التهيؤ الاجتماعي للطفل أصعب من ذي قبل أما السلوك المبني على الواقعية فيؤدي إلى:

١- تهيؤ اجتماعي مقبول عن طريق المعلومات واتقان المهارات والآراء العلمية المكتسبة أو.

٢- يثبت أن هذا السلوك لا يناسب الظروف التي يواجهها الطفل وبذلك تؤدي إلى شعوره بالحرمان أو ينحرف به إلى سلوك لا يرضى عنه المجتمع.

وأيا كانت النتائج ، فإنها تعتمد على ظروف الخبرة التي يستمدها الطفل، وهنا نكرر القول بأن ما يحدث من نتائج يعتمد على كل الظروف المحيطة بالطفل كما يعتمد على نوع البرامج التي يشاهدها الطفل، وعلى هذا فالمشاكل التي ستعنينا دراستها في فصول الكتاب القادمة هى عبارة

عن الظروف المختلفة المحيطة بالطفل والتي تؤدي إلى اختياره نوعًا ما من البرامج سواء كان متصلًا بالواقع أو بالخيال، ومدى ما يشاهده من هذه البرامج وكذلك الظروف التي تؤدي إلى ظهور نتائج ذات فائدة أو ضرر على الطفل بحسب وجهة نظر المجتمع.

الفصل الخامس

التعلم من التليفزيون

لا يحتاج الأمر إلى دليل يثبت أن الطفل يتعلم فعلًا من التليفزيون وعلى الأخص من جانب الآباء الذين يلاحظون أن أبناءهم يلتقطون من التليفزيون بعض العبارات اللغوية وبعض آداب السلوك ويذكرون أسماء بعض الوجوه التي يرونها، كل هذا ضمن البرامج التي لم يروها إلا في التليفزيون فلابد هنا أن نبين الظروف التي تتم خلالها عملية التعلم عن طريق التليفزيون.

طبيعة ما يتعلمه الطفل من التليفزيون:

أن الجانب الأكبر مما يتعلمه الطفل من التليفزيون – كما قلنا من قبل – يأتي عرضًا، ونعني أن الطفل يتعلم وهو جالس أمام الجهاز من أجل الترفيه وأنه يعي في ذاكرته المعرفة التي يكتسبها دون أن يكون ذلك قصده من البداية، فجميع استعمالات الطفل المبكرة للتليفزيون، هى من أجل الترفيه والمتعة فحسب، بل أنه يتعرف على كل الوسائل العامة على كل الوسائل العامة على أنها وسائل للترويح كأن يشاهد فيها قصة ممتعة أو يسمع فكاهة تدخل السرور على قلبه أو يشاهد نجمه المفضل في الغناء أو التمثيل .....إلخ.

أما أن يقصد الطفل إلى الوسيلة طلبًا للمعرفة فهذا لا يحدث إلا بعد دخوله المدرسة وغالبًا ما تكون الوسيلة هنا هى المطبوعات "الكتب والمجلات" إذا قابلناها بالوسائل السمعية والبصرية.

كما أن فكرة ذهاب الطفل إلى التليفزيون بالمنزل طلبًا للمعرفة يعتبر سلوكًا غير مألوف لا يقوم به إلا في سن متأخرة وهو لذلك محدود في نسبة ضئيلة من الأطفال أشير إليهم في الفصل السابق على أن لهم نشاطًا إيجابيًا في البحث عن الحقائق الواقعية، وهؤلاء الأطفال يعجبهم في برامج التليفزيون المؤتمرات الصحفية والبرامج التعليمية التي توضح كيفية أداء عمل ما، وهم قلة نادرة فمن بين ١١١ مائة وأحد عشر برنامجًا ذكرها أطفال سان فرانسسكو في الصفوف الستة من المرحلة الابتدائية على اعتبار أنها أفضل البرامج التي يحبون سماعها بانتظام، لم نجد إلا أربعة برامج فقط كان هدفها الرئيسي وما تضمنته مادتها الفنية أكثر اتجاهًا إلى الناحية التعليمية منها إلى الترفيه والترويح، وبذلك يكون من الواضح أن القسط الأكبر من المعرفة التي يحصلها الطفل في سنواته الأولى من التليفزيون يأتي عرضًا، وهذا يحتم علينا أن ندرس الظروف التي تتم فيها هذه المعرفة.

متى تكتسب هذه المعرفة ؟

من الطبيعي أن واضع البرنامج التليفزيوني يستطيع إلى حد ما أن يتحكم في القدر من المعرفة التي يمكن اكتسابه من البرنامج لأنه هو الذي يكتب هذه المادة، فمثلا يستطيع أن يبرز بعض الأفكار والآراء إذا جاءت على لسان شخصية محبوبة، غير أن الانطباعات العميقة التي تحدثها

البرامج في نفس الطفل تكون نتيجة لما بها من متعة وسرور أكثر مما بها من علم ومعرفة، يضاف إلى ذلك أن الأطفال حين يجلسون أمام التليفزيون لا يستسلمون للبرامج التي يرونها لأن لهم أذواقهم واتجاهاتهم المختلفة في اختيار البرنامج بل أنهم ازاء البرنامج الواحد يختلفون حسب الأشياء التي تسترعي انتباههم وأن الاختلاف بين الأطفال تبعًا للذوق في الاختيار ولما يلفت أنظارهم في البرامج المختلفة والانطباعات التي تحدثها في نفوسهم أكثر وضوحًا من الاختلاف بين مواد البرنامج المختلفة فإذا جعلنا عند اكتسابه المعرفة عرضًا من التليفزيون. ما الذي يجعل الطفل يتعلم شيئًا ما دون آخر أثناء مشاهدته البرامج المختلفة؟

ولنبدأ بذكر بعض الملاحظات:

إن تعلم تعلم الطفل من التليفزيون إذا كان بطريق المصادفة يتوقف على قدرته على التعلم، وعلى حاجاته النفسية في ذلك الوقت وأيضًا على ما يسترعي انتباهه في البرامج المذاعة.

أن القدرة على التعلم في الغالب مسألة تتعلق بالذكاء، بل هى إحدى الطرق المتبعة لاختبار الذكاء، فالأطفال النابهون يتعلمون من التليفزيون أكثر من غيرهم ممن دونهم في الذكاء وهم على الأخص يصلون إلى قمة المستوى الذي رسمناه لبيان المعرفة التي يكتسبها الطفل نتيجة لمشاهدة التليفزيون.

وبعد أن اتضح لنا أن الأطفال النابهين سيكتسبون معرفة أكثر من

غيرهم من أي برنامج يشاهدونه، نستطيع الآن أن نلقي بعض الأضواء على ما يسترعي انتباه الطفل من البرامج المختلفة ثم حاجاته من تلك البرامج.

إن الحقائق وأنماط السلوك الجديدة على الطفل هى التي يحتمل أن تستلفت انتباهه ويحتفظ بها على أنها نوع من المعرفة.

لقد جاء في بحث قام به أ ،ج برودبك "بعد أن عرض فيلمًا تعليميًا على مجموعة من الأطفال، أن هؤلاء الأطفال تعلموا منه الشيء الكثير لأنه أعطاهم خبرة جديدة أما الكبار في السن فقد قالوا إن مادته ليست بجديدة بالنسبة لهم ولذا فلم يسترعِ الفيلم انتباههم، وهذه هى النتيجة المتوقعة للخبرة التي يألفها الطفل، فهى لا تجتذب انتباهه مثل أول مرة، وبعد أن يعتاد الطفل على استعمال التليفزيون، يتعلم كيف يختار بين مواد البرامج المختلفة، فيبتعد عن البرامج المألوفة، لديه أما البرامج الأخرى الجديدة التي لم يرها من قبل فينتظرها ويتذكر موعد إذاعتها.

وعلى أساس هذه القاعدة نتوقع أن يكتسب الطفل أكبر جانب من المعرفة من التليفزيون في السنوات الأولى لاستعماله، ففي مرحلة السن بين الثالثة والثامنة يكون للتليفزيون أكبر الأثر في حياة الطفل دون أدنى منافسة من جانب الوسائل الأخرى، ويكون ذهن الطفل خاليًا من الخبرات والمعارف، فكل ما هو جديد عليه يسترعي انتباهه وكما نعرف من خواص التليفزيون أنه يجذب الانتباه ويشجع على الاستغراق.

وعندما يذهب الطفل إلى المدرسة يجد التليفزيون منافسة قوية في الدراسة المنتظمة التي تستأثر بانتباه الطفل واهتمامه، أما قبل ذلك عندما يكون مجال خبرته ضيقًا وحب الاستطلاع لديه قويًا وبلا حدود، حيث كل شيء خارج حدود البيت ومحيط الأسرة يعتبر جديدًا عليه فهذا هو الوقت الذي تتاح فيه فرص كثيرة لكي يسهم التليفزيون في إعطاء الطفل أكبر قسط من المعرفة والمهارة اللغوية.

وهناك سبب آخر يجعل من التليفزيون عاملًا له فاعلية كبيرة في التعلم عن طريقة وخاصة في المرحلة المبكرة للطفولة، ذلك أن البرامج التي يشاهدها الطفل على شاشته تبدو في صورة قوية من الواقعية، وقد قال كثير من المعلقين أن البرامج المذاعة بالوسائل الجماهيرية تكون أبلغ أثرًا وتحدث انطباعات أعمق في نفوس الأطفال إذا اعتقدوا أنها "حدثت فعلًا" ففي السنوات الأولى من حياة الطفل يكون الفاصل بين الجو الخيالي في القصة وعالم الواقع، رقيقًا لا يكاد يبين، حتى أن الحوادث التي يراها على شاشة التليفزيون أو يسمعها في القصة التي تحكى له قبل النوم، تبدو له حقيقية بكل معنى الكلمة.

وعندما تتقدم السن بالطفل ينظر إلى الوسيلة نظرة أخرى فيعرف أن هذه تمثيلية، وتلك قصة وبذلك يستطيع أن يفصل شخصيته عن حوادث القصة التي يراها.

أي أن الطفل يبدأ في عمل ما يسمى "فصل الحقيقة عن الخيال" وهذا يحدث في سن المراهقة عندما يرى المشاهد في القصة السينمائية أو

برنامج التليفزيون نوعًا من التعبير الفني أكثر منه حقيقة واقعة.

أما الأطفال الصغار فيستسلمون تمامًا لما يرونه على شاشة التليفزيون لأنهم لم يتعلموا بعد عملية الفصل بين الحقيقة والخيال وعندما ينقدون البرامج، لا يكون النقد موجهًا للناحية الفنية وإنما يتركز على الشخصيات وأدوارها وما صادفها من أحداث، وعلى ذلك فالمتوقع أن يكون مجال التعليم من المادة التي يراها الطفل على أنها حقيقة واقعة يمكن أن تدب فيها الحياة يكون هذا المجال أوسع منه فيما لو كانت المادة التي يراها خيالية وهو يعلم أنها كذلك مثل مشاهدته للتمثيليات. علمًا بأن الواقعية قد تبدو واضحة حتى في (التمثيلية) وهذا يفسر كيف تقتبس الفتاة بعض الأفكار المتصلة بملابسها وشئون زينتها مما ترى في التليفزيون.

وعامل آخر يؤثر في كمية المعرفة التي تتم عرضها عن طريق التليفزيون هو قدرة الشخصيات المفضلة على استهواء المشاهد فكثير من الآباء يلاحظون أن أبناءهم يركبون خيولًا وهمية ويقلدون أبطال الأفلام الغربية أو يقومون بمغامرة رأوا أحد الأبطال يقوم بها، وقد كتبت السيدة "ماكوبي" عن مدى الاستهواء الذي يستولي على الأطفال نتيجة لمشاهدة البرامج، فمما لا شك فيه أن الطفل يتذكر نوع السلوك والآراء التي يعيش فيها بوجدانه مع الشخصية التي تستهويه.

ومن الممكن أيضًا أن يلتقط الطفل فكرة ما من أحد برامج الترفيه إذا اتضح له أنها ذات فائدة له وهنا نصل إلى أهمية حاجات الطفل بوصفها عاملًا في اكتساب المعرفة من التليفزيون، فالفتاة تكون أكثر

استعدادًا من الصبي لتعلم كيف تصفف شعرها، والصبي بدوره يكون أكثر منها قابلية لتعلم كيف يقوم لاعب البيسي بول بالهجوم أثناء المباراة. وإذا رأى الطفل برنامجًا فكاهيًا وأراد أن يحكيه فيما بعد لأصحابه ليشاركوه في الضحك يكون لديه حافز قوي لتذكر مثل هذا البرنامج.

فالطفل لا يجلس أمام التليفزيون وهو يقصد أن يتعلم مثل هذه الأشياء بل أنها تكون بمثابة كسب يأتي ضمن البرامج المعدة للترفيه، والتي كانت السبب الأول في اجتذاب الطفل للتليفزيون، وأثناء مشاهدته لهذه البرامج يسترعي انتباهه بعض عناصر المعرفة والخبرة، يختزنها ويعيها في ذاكرته لأنه يدرك فائدتها له.

ويوجد دافع قوي لأن يتعلم الطفل من التليفزيون الشيء الذي يعتقد بفاعليته وفائدته له، فإن رأى شخصية قصصية لا تعجبه فإنه لا يدعها تعلق بذاكرته، أما إذا شاهد لونًا من السلوك فبدا له ذا قيمة وفائدة فإنه يتذكره ويحاول تجربته في الظرف المناسب.

القدرة العقلية وسلوك الطفل نحو التليفزيون:

القدرة العقلية هى إحدى الدعامات التي يقوم عليها الطابع المميز لما يشاهده الطفل في التليفزيون وذلك بإضافة إلى علاقاته الشخصية ومعاييره الاجتماعية والسن والجنس.

وإذا نظرنا إلى سلوك الأطفال نحو التليفزيون حسب قدراتهم العقلية نجد أن لكل منهم طابعًا مميزًا، وفي هذا الطابع نقطة تحول هامة تبدأ عادة

من سن ١٠، ١٣ حيث يتبادل الأطفال الأذكياء والأقل ذكاء أدوارهم بالنسبة لمدى مشاهدتهم للتليفزيون.

إن الأطفال النابهين هم عادة الذين يبدأون باستعمال الوسائل في وقت مبكر فيشاهدون التليفزيون ويقرأون المجلات والكتب، وفي السنوات الأولي للمدرسة يقضي هؤلاء الأطفال مدة أطول من غيرهم أمام التليفزيون.

وقد أتيحت لنا الفرصة في إحدى المدارس لدراسة مجموعة من أطفال الصفين الرابع والخامس الابتدائي جمعوا معًا بسبب ارتفاع معامل الذكاء عندهم، فكانوا يدرسون الطبيعة النووية باهتمام كبير ويفرقون بين خواص الذرات المختلفة وأوزانها النوعية، كما أنهم أقبلوا على الرياضيات بنفس الاهتمام الذي تشاهده على طلاب المدارس الثانوية أو الجامعة، وإلى جانب هذا، لاحظنا شدة إقبالهم على القراءة وتوقعنا أن اتساع المجال أمام نشاطهم العقلي وكثرة قراءاتهم سوف تؤثر على المدة المخصصة لمشاهدة التليفزيون، ولكن الأمر كان على عكس ذلك، لقد وجدنا أن المدة المخصصة للتليفزيون ضمن أوقاتهم تعادل مدة القراءة.

وقد بدوا وكأن لديهم طاقة لا تنفذ من النشاط العقلي فكانوا يقومون بكل شيء، (مشاهدة التليفزيون، القراءة، المناقشات، أبحاث خاصة) لقد كان هؤلاء مثالًا فذًا ولكن الطابع العام يكون سائدًا بين الأطفال فالأذكياء منهم في السنوات الست أو الثماني الأولى من مشاهدتهم للتليفزيون يعتبرون ضمن المجموعة التي تشاهد التليفزيون مدة

طويلة، ثم يحدث تغيير مفاجئ في حوالي سن العاشرة، فالأطفال النابهون يقللون من ساعات مشاهدة التليفزيون رغم أن الفروق تكون ضئيلة بين المجموعات الثلاثة التي تمثل المستويات المختلفة لمعامل الذكاء. والاختلاف بين المجموعات يبدأ من الصف الثاني الإعدادي والصف الأول الثانوي ونلاحظ أن الأطفال النابهين يقللون من ساعات المشاهدة حتى تصل إلى نصف المدة التي يقضيها نظراؤهم الأقل ذكاء.

فما الذي يسبب هذا التغيير؟

أن أول ما يلفت في هذا التغيير أنه يحدث مع بداية المراهقة عندما يكتشف الطفل حاجات اجتماعية جديدة، فإن التغيير يحدث عندما يواجه الطفل موضوعات تتحدى تفكيره كما أن الأعمال الدراسية يصبح أصعب ويكون استعمال الجرائد أكثر من مجرد قراءة خفيفة – ومع رفقائه في السن يبدأ المراهق الحديث في السياسة والدين وغيرها من الموضوعات الجدلية، وهكذا نرى أن الطفل يتجه إلى استعمال الوسائل العامة لهدف أكثر فائدة له بدلًا من مجرد الاستمتاع بمحتواها الترفيهي فيطلب منها معرفة ذات طابع خاص وكذلك يميل الطفل إلى الوسيلة التي تمده برصيد ثابت من المعرفة يستطيع أن يرجع إليه – إذا أراد – أو بتعبير آخر "الوسيلة المطبوعة" وفي فترة المراهقة نلاحظ انخفاضًا عامًا في استعمال الوسائل الجماهيرية بسبب اتجاه المراهق إلى اكتساب الخبرات عن طريق الاختلاط بالناس أكثر من الانفراد بنفسه وبذا ينشغل المراهق بشتى أنواع النشاط فيضعف إقباله على قراءة الكتب الثقافية، ولو أن ذلك يكون أقل مما

يحدث للتليفزيون.

فتوزيع الأوقات بين الوسائل المختلفة يكون توزيعًا نسبيًا ورغم انخفاض المجموع العام للساعات التي يقضيها الطفل مع الوسائل المختلفة في سنوات المراهقة، نرى أن الأطفال الاذكياء يخصصون ساعات طويلة لقراءة المطبوعات وللخبرات الواقعية.

والأطفال ذوو الذكاء المتوسط والأقل من المتوسط يمرون بمثل هذا التغيير فمن الإحصائيات والبيانات الي حصلنا عليها اتضح أن اهتمامهم بمشاهدة التليفزيون يقل خلال سنوات المراهقة بينما يزيد الزمن المخصص للقراءة والبحث عن الحقائق ولكن هذا التغيير يسير بطيئًا.

وقد نسأل: لماذا يحدث هذا التغيير عند الأطفال النبهاء أسرع مما يحدث عند غيرهم وبهذه الكيفية.

والجواب أن لديهم القدرة على القيام بكثير من النشاط العقلي قبل غيرهم فيتحولون عن البرامج الخيالية عندما يحسون أن لديهم القدرة على مواجهة التحدي من قبل الموضوعات المتصلة بالواقع، وهذا يفسر ما سنراه في البيان الآتي من أن الأطفال النبهاء بعد الصفين الخامس والسادس الابتدائي يزيدون من الاستماع للراديو ومشاهدة التليفزيون والذهاب إلى السينما، وسنرى أن الأرقام الخاصة باستعمال الراديو غير واضحة الدلالة لأن من المتعذر الحكم إذا ما كان مع الوسائل السمعية والبصرية أو مع الكتابة، فالراديو يستعمل في سن المراهقة، ليؤنس الطفل

بصوته أثناء المذاكرة والقراءة، ولأن الزمن المخصص للراديو قد يزيد على ذلك المخصص للقراءة، لذلك يبدو أن له ارتباطًا بالوسائل المطبوعة، ولكن الحقيقة أنه يستعمل كمصدر للموسيقى الشعبية أي الخبرات الخيالية غير الواقعية، والرسم الآتي يوضح هذه الصورة جيدًا ، فالأطفال الأذكياء هم أول من يتجهون إلى الموضوعات الواقعية على جميع الوسائل وأول من يهتمون بقراءة الأنباء الخارجية والمحلية والمقالات الافتتاحية في الصحف اليومية وهم كذلك الذين يشاهدون في التليفزيون البرامج المتصلة بالشئون العامة والبرامج التعليمية، فإذا كان هناك طفل ذكي لا يتخذ هذا الاتجاه، فمن المحتمل جدًا أن يكون على غير وفاق مع أسرته أو مع رفقاء سنه والمتوقع أنه في هذه الحالة يقبل على البرامج الخيالية كوسيلة للهرب من متاعبه.

ولكن ما رأي الأطفال الأذكياء في الوسائل العامة ؟

إنهم ينظرون إليها بعين الناقد فينقدون برامجها ويدققون كثيرًا في اختيار تلك البرامج، ويعتبرون الكتب والصحف في المركز الأول من الأهمية ويقللون من اهتمامهم بالتليفزيون والسينما، وعمومًا يركزون اهتمامهم بالبرامج الواقعية باعتبار أنها مختلفة عن البرامج الخيالية ، ومع هذا فإن الرسم التوضيحي الآتي يفيد في تصحيح ما قد يحدث من سوء الفهم لما ذكر هنا ، فالرسم يبين رأي الأطفال فيما يختص بالوسائل التي يحسون بوحشة لغيابهم عنها، فرغم ابتعاد الأطفال عن التليفزيون في سنوات المراهقة إلا أن هذا الجهاز الساحر يظل الوسيلة التي يرتبطون بها

في جميع المستويات العقلية والتي يحسون بوحشة عظيمة لغيابهم عنها ، فالأطفال النابهون قد لا يهتمون بالتليفزيون إلا أنهم يحسون بوحشة لغيابهم عنه، ذلك أن اهتمامهم يكون قد تركز على الكتب والصحف.

أما متوسطو الذكاء والأقل منهم فتكون وحشتهم للتليفزيون أكبر من الأذكياء لأنهم لا يكونون قد اعتادوا الكتب والصحف، وهذه هى الوسائل التي لا يفتقدها من الأطفال إلا الذين وصلوا إلى قمة الذكاء، وبعد هذه الفترة ترتفع النسبة المئوية لأولئك الذين يفتقدون السينما وفي نفس الوقت تهبط نسبة الإقبال على الكتب الخفيفة إلى الصفر.

المعرفة التي ننتظرها من التليفزيون

على أساس ما قدمناه يمكن افتراض أن التليفزيون يحقق للطفل بداية سريعة في

التعلم ولكن هذه الميزة لا تستمر مدة طويلة، اننا نتوقع على سبيل المثال أن يذهب الأطفال إلى المدرسة ومعهم حصيلة لغوية أمير أكبر من نظرائهم من الأطفال في عصر ما قبل التليفزيون كما أننا نتوقع أن تكون مدارك هؤلاء الأطفال أوسع وأن يكون في إمكانهم ربط ما يتلقونه في المدرسة بما اكتسبوه من خبرات من التليفزيون كما أننا سوف نجدهم أكثر علمًا من غيرهم بحياة الكبار وبمسائل الجنس والجريمة والمشاكل الاجتماعية، كل هذا لأن الطفل في عصر التليفزيون يشاهد ألوانًا من البرامج تكسبه علمًا ومعرفة بالعالم الكبير خارج حدود بيته وبيئته، أكثر

من الطفل في عصر ما قبل التليفزيون.

ان الطفل الذي ليس لديه تليفزيون ولا يستطيع القراءة بعد، لابد أن يعتمد على اتصاله المباشر بالعالم الذي حوله وكذلك يعتمد على غيره من الناس الذين يقرأون له أو يقصون عليه القصص، أما الطفل الذي بيته جهاز تلفزيون فأمامه عالم كبير مفتوح على مصراعيه، فهذا الجهاز على استعداد دائم لأن يقدم للطفل قصة أو يعرض عليه صورًا من الناس والأماكن لم تكن لتخطر له على بال.

وما يكاد الطفل يعرف استعمال الجهاز بنفسه حتى يجد على شاشته نافذة على عالم كبير ملئ بالمعرفة والروعة، ولذلك فالمعرفة التي يكتسبها الطفل "عرضًا" من أحد البرامج التليفزيونية تستغرق وقتًا أطول مما يحدث عندما يقرأ له والده موضوعًا أو يحكي له قصة.

وهكذا، من المتوقع أن البطل إذا بلغ السادسة من عمره يذهب إلى المدرسة ومعه حصيلة من المعرفة أكثر مما لدى طفل آخر في نفس السن قبل ظهور التليفزيون، ولكن عندما يصل الاثنان إلى سن الثانية عشرة لا يكون بينهما إلا فارق بسيط في مجال المعرفة لأن الطفل عندما يتعلم القراءة ويجد في الكتب وسيلة للتعرف على العالم من حوله، يفقد التليفزيون ما كان له من سبق في ميدان المعرفة ولو أنه يظل كسالف العهد به مدخلًا إلى عالم الخيال.

كما أن هناك سببًا آخر يجعلنا نتوقع أن جملة ما يحصله الطفل من

معرفة في السنوات الأولى من حياته عن طريق التليفزيون لا تختلف أساسًا عما كان يمكن تحصيله قبل ظهور التليفزيون لأن محتويات البرامج من المواد الفنية في الوسائل المختلفة تكاد تكون واحدة تقريبًا، والمعرفة الزائدة التي يستمدها الطفل من التليفزيون في سنواته الأولى تأتي من طول المدة التي يخصصها الطفل لمشاهدة برامج التليفزيون، ومن ناحية أخرى نلاحظ أن الطفل الذي يتعلم من الراديو والسينما والمجلات يمكنه أن يلحق بنظيره الذي يشاهد برامج كثيرة على شاشة التليفزيون، وهذا هو المتوقع دائمًا عند الدراسة المقارنة؛ الأطفال الذين يعاصرون التليفزيون يكون لهم التفوق والسبق على غيرهم من الذين لم يعاصروه، وبعد فترة ما يتساوى الجميع في المعرفة.

وهناك وجه آخر للمقارنة بين الأطفال الذين يشاهدون التليفزيون لساعات طويلة والذين لا يرونه إلا لمدة قصيرة، فالبنسبة للأطفال الصغار (سن ٦ سنوات) الذين لم يتعلموا بعد استعمال الوسائل الأخرى ولم يتعلموا القراءة، هؤلاء يستطيعون مشاهدة التليفزيون مدة طويلة وبذلك يكتسبون معرفة أكثر من الذين لا يشاهدونه إلا مدة قصيرة، أما بعد تعلم القراءة فإن الأطفال الذين يقضون مع الجهاز مدة طويلة يتعلمون أقل من نظرائهم الذين يقللون من ساعات المشاهدة ويتجهون إلى وسائل أكثر فاعلية في اكتساب المعرفة وتفسير هذا أن مشاهدة التليفزيون لمدة طويلة اثناء السنوات الأولى للدراسة يصرف انتباههم بعيدًا عن التعلم ويضعف مستواهم العلمي.

كما أن من المتوقع أن نرى اختلافًا بين الأطفال الذين يشاهدون التليفزيون مدة طويلة وغيرهم الذين لا يرونه إلا قليلًا، من حيث نوع المعرفة التي تستمدها كل مجموعة منهم فالذين يرون كثيرًا من البرامج في التليفزيون تكون معرفتهم من نفس طبيعة المادة التي يشاهدونها فهم مثلًا يعرفون كثيرًا عن المراعي، وركوب الخيل لكثرة ما يروون من أفلام المغامرات، وكذلك يتذكرون وجوه الأبطال في القصص التي تنال إعجابهم، وفي مقابل هذا نرى هؤلاء الأطفال أقل علمًا من غيرهم فيما يتصل بالموضوعات الواقعية التي يمكن تحصيلها من الوسائل الأخرى كالأدب والشئون العامة، أما فيما يختص بالمواد التي يتعلمونها بالمدرسة فليس هناك فرق يذكر بين مجموعتي الأطفال.

ويكون للقدرة العقلية أثر في الفوارق بين الأطفال، فالأطفال الأذكياء يتعلمون أكثر من غيرهم كل أنواع المعرفة التي يمكن تحصيلها من مختلف المصادر وكذلك يكون الاذكياء أكثر نسبيًا من متوسطي الذكاء قابلية لاكتساب الخبرات الجديدة من التليفزيون، وعلى سبيل المثال في السنوات الأولى من المدرسة يذهب الأطفال الأذكياء إلى المدرسة ولديهم حصيلة من التعبيرات أكبر نسبيًا من غيرهم الذين لم يعاصروا والسر في ذلك أن هؤلاء الأطفال لديهم قدرة أكبر ودافع أقوى على التعلم واكتساب المعرفة.

وعلى هذا الأساس نتوقع أيضًا أن يفيد الأطفال المتخلفون في الذكاء أكثر من متوسطي الذكاء في ميدان الخبرة الجديدة التي تكتسب من

التليفزيون لأن مواصلة مشاهدة البرامج المختلفة تستغرق وقتًا طويلًا وبذلك تكون الفرص المتاحة للتعلم أكثر مما هى أمام متوسطي الذكاء.

والآن نلخص ما سبق:

لقد افترضنا أن التليفزيون يمنح الأطفال فرصة للسبق بتعلم مفردات اللغة، والمعارف العامة عن بيئاتهم أكبر مما كان متاحًا لهم قبل ظهوره ولكن هذه الميزة تنتهي بعد سنوات قليلة، كما أنه في بداية استعمال التليفزيون يكتسب الأطفال النابهون والمتخلفون في الذكاء معرفة أكثر من متوسطي الذكاء، ولو أن السبب في الحالين مختلف [1] .

وفي أيامنا هذه بعد ظهور التليفزيون يلاحظ أن الأطفال الذين يشاهدونه مدة طويلة، يكتسبون معرفة بالموضوعات المتصلة بالبرامج الخيالية أكثر من تلك التي تتصل بالخبرات الواقعية والتي يمكن اكتسابها من الوسائل الأخرى ولكن يشغلهم عنها التفوق الساحق للتليفزيون في هذا المجال ، ولكن كثرة مشاهدة التليفزيون لا تؤثر بالزيادة أو النقصان على المادة العلمية التي يتلقاها الأطفال في المدرسة.

وليس من السهل إثبات صحة كل هذه الفروض السابقة ولكن يمكننا أن نعرض هذه الفروض على ضوء ما لدينا من بيانات:

---

[1] – النابهون يكتسبون معرفة في المجالات الواقعية والمتخلفون يكتسبون معرفة في موضوعات الترفيه وخبرة في عالم الخيال.

التليفزيون حالياً وقبل ظهوره:

نعود إلى بلدتي راديو تاون وتليتاون ولعلنا نذكر أن التليفزيون دخل البلدة الثانية دون الأولى، فإن كان ما افترضنا صحيحًا سنجد أن التليفزيون في تليتاون يتيح للأطفال فرصة أسرع للتعلم وخاصة إذا كانوا من النابهين أو ذوي المستوى المنخفض في الذكاء، وقد كانت أفضل الوسائل التي قمنا بها لتحقيق الغرض هى اختبارات المفردات.

لقد قدمنا لأطفال الصف الأول الابتدائي في البلدتين اختبارات في القدرات اللغوية خلال أسبوع واحد من السنة الدراسية ، فوجدنا أن الأطفال الاذكياء في تليتاون هم الذين أحرزوا الدرجات العليا عن نظرائهم في راديو تاون.

وكانت نفس النتيجة بين الأطفال الأقل من المتوسط في الذكاء وفي كلا الحالين وجدنا أن مستوى القدرة اللغوية في تليتاون يسبق نظيره في راديو تاون بحوالي سنة (أي أن التليفزيون زاد من الحصيلة اللغوية لأطفال تليتاون ما يعدل تحصيله في سنة دراسية)، أما الأطفال متوسطو الذكاء في البلدين فلم نجد فرقًا يذكر في الحصيلة اللغوية بينهم.

وبالإضافة إلى اختبارات القدرة اللغوية قدمنا لأطفال البلدتين اختبارًا آخر يتضمن أسئلة في المفردات المستعملة في الموضوعات السائدة في ذلك الوقت مثل: كوكب، حرب، سرطان، وهنا وجدنا أن المجموعات الثلاثة التي تمثل مستويات الذكاء (عالي ومتوسط وأقل من المتوسط) في

تليتاون كانت كلها متفوقة على نظائرها في راديو تاون.

وأردنا أن نتأكد إلى أحد يكون للتليفزيون دخل في إحداث هذه الفروق فقسمنا نتائج الاختبارات التي أجريت في تليتاون إلى مجموعتين حسب الزمن الذي تقتضيه كل مجموعة في مشاهدة التليفزيون.

فوجدنا في الاختبار الخاص بالمفردات السائد استعمالها في ذلك الوقت أن الأطفال الذين يشاهدون التليفزيون لمدة طويلة، من جميع المستويات العقلية سجلوا أرقامًا أعلى من الذين يرون التليفزيون مدة أقصر.

أما في اختبار القدرات العامة اللغوية وجدنا أن الأطفال الذين يشاهدون التليفزيون لمدة طويلة من مستوى الاذكياء ومتوسطي الذكاء سجلوا أرقامًا أعلى بكثير من أمثالهم الذين لا يشاهدون التليفزيون كثيرًا، ولكننا بالنسبة لمستوى الذكاء الأقل من المتوسط لم نجد فرقًا بين الأطفال الذين يشاهدون التليفزيون مدة طويلة والذين يشاهدونه لمدة قصيرة.

والنتائج العامة للاختبارات تشير إلى أن وجود التليفزيون بالمنزل هو الذي يكسب الطفل تلك الخبرات اللغوية التي يتفوق بها على غيره ممن ليس لديه تلفزيون وهذا هو سبب الفوارق بين نتائج الاختبارات في كلا البلدين.

وإليك النتائج الإجمالية.

(١)اختبارات المفردات العامة	نتيجة الدراسة المقارنة بين البلدين	النتيجة في تليتاون

أ–أعلى من المتوسط معامل الذكاء ب–متوسط ج–أقل من المتوسط	تفوق أطفال تليتاون لم يوجد فرق كبير بين البلدين تفوق أطفال تليتاون	–الأطفال الذين يشاهدون كثيرًا أظهروا تفوقًا كبيرًا – " " " " " –يوجد فارق صغير بين مستويات الذكاء.

(١) اختبار خاص في المفردات اللغوية الخاصة

أ–أعلى من المتوسط معامل الذكاء ب–متوسط ج–أقل من المتوسط	تفوق أطفال تليتاون " " " " " " بنسبة كبيرة	الأطفال الذين يشاهدون كثيرًا أظهروا تفوقًا كبيرًا " " " " " " " "

وطالما كانت الحصيلة اللغوية متصلة بالمعلومات العامة فمن المؤكد أن التليفزيون يعطي الأطفال الفرص للتعلم بخطوات سريعة منذ البداية.

ولكن هل يستمر هذا السبق أو ينتهي– كما توقعنا – أن المسألة تبدو غير واضحة فقد قمنا ببعض الاختبارات والقياسات على أطفال الصفين السادس الابتدائي والأول الثانوي في بلدتي تليتاون وراديو تاون، وذلك في محاولة لقياس معلوماتهم العامة وفي العلوم والقدرة على ذكر أسماء بعض قواد الفرق الموسيقية والمغنين المشهورين ومعرفتهم بالأدب والبلاد الخارجية ورجال السياسة والحكام.

ولم نجد في النتائج العامة للدراسة فروقًا كبيرة بين تلاميذ البلدتين في

مستوى الصف السادس الابتدائي أو الأول الثانوي، وحتى عندما قسمنا الأطفال إلى مجموعات حسب مدة المشاهدة وكان ذلك هو نفس ما وصل إليه هيملوايت واوبنهايم وفنس مؤلفو الكتاب الانجليزي "التليفزيون والطفل" حيث قالوا:

"لم نجد اختلافًا كبيرًا بين الأطفال الذين لديهم أجهزة تلفزيونية والآخرين الذين يستعملون الوسائل الأخرى فقد كانت حصيلة المعلومات العامة عند المجموعتين تغطي كثيرًا من مسميات الأشياء الملموسة والحيوية ويمكن القول بعد الاختبارات التي قمنا بها على المستويات المختلفة للأطفال في تليتاون وراديو تاون أنه ليس هناك ما يدل على تفوق الأطفال الذين يشاهدون التليفزيون على غيرهم من الذين لم يستعملوه بعد، وعلى ذلك فالأدلة التي وصلنا إليها تؤكد صحة الغرض الذي قلنا به وهو أن التليفزيون يخطو بالطفل سريعًا في مجال اكتساب الخبرات والمعلومات العامة ولكن هذه الميزة لا تستمر طويلًا وعادة ما تكون أعظم فائدة للأطفال الذين هم فوق المتوسط أو أقل من المتوسط في الذكاء.

مشاهدة التليفزيون لمدة طويلة أو قصيرة:

عند المقارنة بين الأطفال الذين يشاهدون التليفزيون لمدة طويلة والاخرين الذين يشاهدونه لمدة قصيرة تنبأنا أن أطفال المجموعة الأولى تكون معلوماتهم العامة متصلة بالبرامج الاذاعية، بينما الآخرون تكون معلوماتهم مستمدة من الوسائل الأخرى، وأنه لا يوجد فرق واضح بين المجوعتين إذا كانت المقارنة في مجال المعلومات التي تستمد بطرق غير

الوسائل العامة.

وأما بالنسبة لاختبارات المعلومات العامة في العلوم وذكر أسماء بلاد بعيدة عن البيئة فلم نجد فارقًا كبيرًا بين الذين يشاهدون التليفزيون لمدة قصيرة، وقد جاءت النتائج العامة متفقة مع ما تنبأنا به.

إن القدرة على ذكر أسماء المطربين وقواد الأوركسترا "الفرق الموسيقية" تتصل بالبرامج الترفيهية ولذا فالمتوقع أن من يشاهدون التليفزيون مدة طويلة هم الذين يعرفون مثل هذه الموضوعات وهذا هو ما وصلنا إليه فعلًا من الدراسة.

والقدرة على ذكر أسماء الكتاب والسياسين تكون أوثق صلة بالكتب والمجلات والصحف منها بالتليفزيون ولذا نتوقع أن الذين يشاهدون التليفزيون مدة طويلة يكون لديهم معلومات قليلة في هذه الموضوعات، وهذا الذي أثبته البحث.

أما الموضوعات العلمية فهى أقرب صلة بالمدرسة من الوسائل العامة، ولذا فطول المشاهدة لا يكون له أثر في هذا الميدان من المعرفة، أما معرفة أسماء، بلاد خارج الوطن فيأتي عن طريق مختلف الوسائل ولذا لا يؤثر طول المشاهدة أو قصرها في هذا المجال.

يتضح من كل هذه الدلائل، أن مشاهدة التليفزيون لمدة طويلة تساعد على زيادة المعروفة في مجال الموضوعات المتصلة بالبرامج المذاعة وأغلبها برامج خيالية وترفيهية، ومن ناحية أخرى يكون من أثر هذه

المشاهدة الطويلة نقص في معرفة الطفل بالموضوعات المتصلة بالواقع وقد افترضنا حدوث هذا لأن الوقت الزائد الذي يضيعه الطفل في مشاهدة التليفزيون يمكنه أن يستغله في اكتساب المعرفة الجديد من الكتب والمجلات.

كيف يكتسب الأطفال الذوق ؟

ويدعونا هذا أيضًا إلى السؤال: كيف يتعلم الطفل اختيار البرامج المختلفة من التليفزيون ؟

الواضح أن الطفل لا يولد وعنده هذا الذوق، وإنما يتعلمه نتيجة لتفاعل معقد من حاجاته الفردية وعمليات المحاولة والخطأ عندما يسعى لتحقيق رغباته، وكذلك نتيجة للمثل الذي يتخذه الطفل لنفسه ويسير على نمطه.

لقد سجلت هيملوايت وفنس وأوبنهايم ظاهرة هامة تتصل بتكوين ذوق الأطفال الانجليز في اختيار برامج التليفزيون، فعندما تظهر على الشاشة برامج تعليمية مذاعة من محطة (ب. ب . س) مثل: استعراض العلوم، في الغابات الاستوائية، هل لديك آلة تصوير، فإن الأطفال الذين يمكنهم التحويل إلى قناة أخرى تذيع لمحطة تجارية، يفعلون ذلك دون استثناء وهناك يجدون مختارات من الصور المتحركة، وأفلام الغرب وما إليها من البرامج التي تشبه إلى حد بعيد البرامج الأمريكية.

وقد جاء في نتائج الباحثين الإنجليز أن في مثل هذه الظروف

الأخيرة، كان الأطفال يفضلون رؤية البرامج الثقافية ويجدون فيها متعة حقة. فاختيار البرامج المختلفة – على عكس المتوقع – يؤدي إلى قلة التنوع في الأذواق عند المشاهدة.

وتسطرد هيملوايت وأوبنهايم وفنس: "إن الأطفال الذين ليس أمامهم إلا محطة واحدة للإذاعة تتاح لهم الفرصة لاكتشاف تلك البرامج التعليمية، أما الذين لديهم مجال الاختيار بين محطات الإذاعة قد لا تتاح لهم تلك الفرصة إلا نادرًا جدًا ، فكلما كان الاختيار بين المحطات مفتوحًا أمام الطفل، كلما ضعف الاحتمال في أن يقع على برنامج تعليمي يعد من وجهة نظر رجال التربية ذا أثر فعال في معرفة الطفل إذ يمده بخبرات جديدة ويوسع المجال أمام ذوقه.

إن في كل مدينة أمريكية كبيرة بالطبع ثلاث أو أربع محطات تجارية تذيع على قنوات مختلفة ولكنها جميعًا متشابهة في أنها تركز إذاعاتها على البرامج الخيالية لدرجة أنها تستبعد تمامًا كل ما ينفع الأطفال من مواد واقعية. وعلى ذلك ذا لم يجد الطفل الترفيه الخفيف من إحدى المحطات فإنه يجده في محطة أخرى ونتيجة لذلك يعجز ذوق الطفل عن التطور والاتساع ويتركز حول مواد خيالية ذات طابع موحد.

فإذا بلغ الطفل السن التي يدرك فيها حاجاته من عالم الواقع ويعرف الفرق بينها وبين حاجاته من عالم الخيال فإن مفهومه عن التليفزيون، وذوقه في اختيارالبرامج يكون قد نما وتبلور، وعلى أية حال يكون أسهل على الطفل أن يجد الخبرات الواقعية في الوسائل المطبوع، لقد

ناقش "ايثيل بول" مع اللجنة الاتحادية للوسائل النتائج التي وصل إليها مؤلفو الكتاب الإنجليزي "التليفزيون والطفل" ورغم أن الدلائل تشير إلى أن اتساع المجال للاختيار بين البرامج المنوعة، لا تساعد على تنمية الذوق العام فقد قال "بول" إن عرض البرامج الضعيفة ضمن البرامج المختلفة لا يترتب عليه تدهور الذوق، أما إذا كانت البرامج الضعيفة متعادلة مع البرامج القوية فالمفروض أنه إذا لم يوجد إلا البرامج الضعيفة فإن الناس يشاهدونها مضطرين لعدم وجود برامج أفضل فإذا فعلوا ذلك قد يترتب عليه اكتسابهم الذوق غير السليم.

واذا أمكن تعميم النتائج التي وصلت إليها هيملوايت فإنه إذا وجد أمام الناس مجال للاختيار حسب مستوى البرامج فإن الناس يختارون البرامج المناسبة لمستوياتهم وعندئذ لا يكون هناك ضرر ما نتيجة لرؤية بعض البرامج الضعيفة، لأن المشاهدين الذين يرونها لن يتأثروا بها، ومع هذا فإذا فشل التليفزيون في إنماء أذواق الأطفال في اختيار البرامج، يكون مرجع ذلك إلى أن الأقلية الضئيلة منهم هم الدين يكتشفون البرامج الجديدة ذات الطابع الممتاز.

وجه المقارنة:

يجدر بنا ونحن نلخص هذا الفصل أن نعيد إلى الأذهان ما قررته هيملوايت وفنس وأوبنهايم فيما يختص بالتعلم عن طريق التليفزيون.

عند عقد المقارنة بين الأطفال الذين لديهم أجهزة تلفزيون وأولئك

الذين لم يكن لديهم أجهزة بعد، (في الوقت الذي امتدت فيه شبكة الإذاعة التليفزيونية في المملكة المتحدة) اتضح للباحثين أن الذين يفيدون من التليفزيون هم الأطفال الأصغر سنًا والأقل ذكاءً، وكذلك لاحظوا أن الأطفال الذين في بيوتهم أجهزة تلفزيونية يكونون متخلفين قليلًا في دراستهم عن الذين من نفس المستوى وليس ببيوتهم أجهزة، ومع ذلك فقد انتهى البحث إلى أن التليفزيون لا يترتب عليه أن يحقق الطفل تفوقًا ملحوظًا في التعلم، كما أنه لا يعتبر عقبة أكثر منه عاملًا مساعدًا بالنسبة لتعلم الأطفال الأكثر ذكاء، وقرروا كذلك أن التليفزيون لا يستثير في الطفل الاهتمام بالمسائل الثقافية والعقلية والابتكارية، وأن التليفزيون ليس أكثر فاعلية من الوسائل الأخرى، في توسيع مدارك الطفل.

وخلاصة ما انتهت إليه دراستهم أن ما يكتسبه الطفل من التليفزيون لا يوجد فروقًا كبيرة بينه وبين غيره، ومع ذلك فهم يتساءلون إذا كان ما يتعلمه الطفل يمكن أن يعوضه عن الزمن الذي يقضيه في المشاهد فيصرفه عن القراءة والاستماع للراديو واستعمال الوسائل الأخرى للمعرفة.

وإن ما توصلنا إليه من النتائج يتفق مع نتائج أبحاث المؤلفين الإنجليز ولكن بحثنا يزيد على ما قاموا به في بعض النقاط.

ومن الأمور التي تبدو لنا على جانب كبير من الأهمية أن غالبية ما يتعلمه الطفل من التليفزيون يحدث اتفاقًا، عن طريق مشاهدة البرامج الخيالية ، وعلى أساس ما افترضنا بالنسبة لطبيعة هذه المعرفة عرضنا بعض

ما يمكن التنبؤ به عن تعلم الأطفال في الظروف الآتية:

١- إذا كان لديهم جهاز تلفزيوني أو لم يكن.

٢- إذا كانوا ممن يشاهدون التليفزيون مدة طويلة أو قصيرة.

٣- حسب المستويات المختلفة لقدراتهم العقلية.

وعندما قابلنا هذه الافتراضات بما توصلنا إليه من حقائق في الدراسة جاءت النتائج مشجعة إذ أثبتت صحة الفروض التي بدأنا بها.

وقد وصلنا إلى نفس النتائج التي توصل إليها الباحثون الإنجليز من أن الأطفال الصغار يفيدون من التليفزيون بوصفه مصدرًا للمعرفة، ولكن بداية السن يجب أن تكون مبكرة قليلًا عما جاء في البحث الذي قامت به هيملوايت بانجلترا.

ويبدو أن الطفل يكتسب أكبر قدر ممكن من التعلم في المرحلة التي تسبق تعلم القراءة لدرجة الاعتماد على نفسه، ففي عصرنا هذا (عصر التليفزيون) يذهب الطفل إلى المدرسة ومعه حصيلة من المفردات والتعبيرات اللغوية وكذلك مجموعة كبيرة من المعلومات العامة مختلف النواحي، أكثر مما عهدنا في الأطفال في السنوات التي سبقت ظهور التليفزيون.

ولهذا فإننا نعتقد أن الأطفال في أيامنا هذه بسبب وجود التليفزيون تتاح لهم فرصة أكبر للتعلم والإدراك من العالم الذي حولهم ولكن هذا الكسب يكون لمدة محدودة.

فمثلًا ليس لدينا على تفوق الأطفال الذين لديهم أجهزة تلفزيون على أولئك الذين ليس لديهم ابتداء من الصف السادس الابتدائي إلى الثالث الثانوي، أما إن كان التليفزيون يحقق سبقًا في المعرفة على سبيل المثال: الأدب والشئون العامة.

وهذا يدعونا إلى التساؤل عما إذا كانت معرفة الطفل المكتسبة من التليفزيون من حيث الكم والكيف تعدل ما يفقده من الوقت أثناء مشاهدتها، ذلك الوقت الذي يقتطعه من وسائل أخرى يمكن أن يستمد منها الخبرات.

ووجدنا أيضًا أن التليفزيون يفيد الأطفال الأقل ذكاء بدرجة أكبر مما يفيد متوسطي الذكاء – على الأقل في سن مبكرة – كما أن الطفل الذكي يفيد منه بدرجة أفضل من الطفل المتوسط الذكاء، بل لقد تأكد لنا أن الأطفال الأذكياء هم الذين يحصلون على أعظم فائدة من أي خبرة تعليمية جديدة تتصل بالتليفزيون.

وفي بحثنا لم نتوصل إلى اكتشاف أدلة أكثر مما جاء في دراسة الباحثين الإنجليز تشير إلى أن التليفزيون يحسن أحوال الطفل في دراسته، قد يقول كثير من الأطفال أن التليفزيون يساعدهم ولكن آراء المعلمين في هذا الموضوع كانت متضادة.

ولم نجد ما يناقص النتيجة التي وصلت إليها هيملوايت وزملاؤها من أن التليفزيون (بعد السنوات المبكرة في حياة الطفل) لا يوسع مدارك الطفل إلى درجة ملحوظة ولا يستثيره إلى القيام بنشاط عقلي أو ثقافي، وليس معنى ذلك أن ننفي فائدة التليفزيون في توسيع المدارك أو زيادة المعرفة، بل كل ما يعنينا

هنا أن التليفزيون لا يؤدي إلى هذه النتيجة بدرجة أكبر مما كان يحدث لو لم يكن التليفزيون موجودًا وأن الجانب الأكبر من المعرفة التي تحدثنا عنها يكتسبها الطفل عرضًا من برامج الترفيه، ومع هذا فإن التليفزيون يسهم بمحاولتين لخدمة المجتمع عندما يستعمل كمصدر مباشر لتقديم المعرفة الهادفة في برامج ذات صبغة جديدة تتصل بالحقائق ومعالم الواقع بذلك:-

١- التليفزيون التعليمي الذي يقوم على برامج يتعلمها الأطفال في حجرات الدراسة.

٢- التليفزيون الثقافي وهو مجموعة البرامج غير التجارية التي تذاع على المشاهدين بالمنازل.

وقد أثبتت المحاولة الأولى جدارتها وقدرتها على تعليم الأطفال، وأما المحاولة الثانية فهى من أعظم الأسباب التي تدعو للأمل في أن يصبح التليفزيون مصدرًا فعالًا للخبرة الواقعية للأطفال كما هو مصدر لخبراتهم في عالم الخيال.

الفصل السادس

البحث عن المعرفة والطابع الاجتماعي

يضح من الدراسة التي مرت بنا في الفصلين السابقين أن هناك قاعدة معينة لسلوك الطفل عند مشاهدته لبرامج التليفزيون، ونستطيع أن نطلق عليها "قاعدة النضوج" وتبعًا لهذه القاعدة عندما يصل الأطفال إلى مرحلة معينة من النضوج الفكري فإن التليفزيون يصبح في نظرهم أقل جاذبية من ذي قبل، ويزيد اهتمامهم بالمواد التي تصدر من وسائل اكتساب المعرفة الواقعية، ونقصد بها المواد التي تحتوي على قدر من المعرفة الواقعية، ونقصد بها المواد التي تحتوي على قدر من المعرفة يتساوى على الأقل مع ما بها من عناصر الترفية والمتعة إن لم يزد عليه. وتنطبق هذه القاعدة على غالبية الأطفال.

ورغم أن الغالبية العظمى من الأطفال يقللون من ساعات مشاهدتهم للتليفزيون إلى درجة كبيرة أثناء الدراسة الثانوية ، فإن آخرين ينقصون هذه الساعات بدرجة أقل أو لا ينقصونها أبدًا، ففي بداية مرحلة المراهقة ينصرف أكثر الأطفال عن قراءة الكتب والمجلات المصورة، ولكن هذا لا يسري عليهم جميعًا، ومعظم الأطفال في المرحلة الابتدائية يهتمون اهتمامًا كبيرًا بالوسائل العامة، ومع ذلك فمن بينهم من يستعمل هذه الوسائل بشيء من الاعتدال والزهد.

ولكن هل جاء هذا التقسيم على غير هدي أم أن هناك مؤثرات غير واضحة تتحكم في أنماط السلوك المختلفة للأطفال وهم يشاهدون التليفزيون؟ وفي محاولة الإجابة على هذا السؤال توصلنا إلى التحليل الذي سنورده هنا.

الفرق بين التليفزيون والوسائل المطبوعة.

نرى من الأفضل أن نشير هنا إلى الخبرات المختلفة التي يمكن اكتسابها من التليفزيون والمطبوعات أو من أية وسيلة أخرى، وعلى سبيل المثال هناك عدد كبير من قصص الجريمة تذاع تلفزيونيًا وفي كل منها لون من الخبرة يختلف إلى حد ما عما في غيرها وحتى البرامج المختلفة التي تتفرع من نوع واحد، لا يوجد منها برنامج يشبه الآخر تمام الشبه.

وعلى ذلك فعندنا نتحدث عن السلوك المتعلق بمشاهدة التليفزيون أو المتصل بقراءة المطبوعات، فإنما نعني العلاقة بين طفل من طراز خاص وألوان لاحصر لها من المواد الفنية التي تأتي عن طريق الوسائل العامة، ومن الممكن بالطبع أن نتعرف على السلوك المتصل بمشاهدة التليفزيون أو قراءة الكتب، أو سماع أية عينة من برامج الوسائل العامة، ويكون ذلك بدراسة تلك الخبرة على انفراد، ومع هذا فمن رأينا أن نتحدث عن الوسائل المختلفة ومحتوى برامجها بشيء من التجريد حتى نستطيع أن نتفهم مجموعات من الخبرات بدلًا من خبرات فردية منفصلة.

وإذن ففي حديثنا عن التليفزيون والمطبوعات على صفحات هذا

الكتاب كنا نعلم بما يقدمه كل منهما من خبرات مختلفة، وبالمثل عندما نتحدث عن المحتوى والخبرات المتصلة بالواقع أو بالخيال، كنا نعرف تمام المعرفة أن هناك ألوانًا شتى من الخبرات الخيالية والخبرات الواقعية، وبهذه الطريقة سوف نتعرض لعلاقات متصلة تنتهي إلى علاقات أخرى محددة نتعرف عليها خلال الدراسة.

لقد رأينا في أبحاثنا على المراهقين أن الذين يقرأون منهم أكثر من المعدل المتوسط (وقد أطلقنا عليهم كثيري القراءة) كانوا يميلون إلى استعمال الوسائل العامة من أجل المعرفة أكثر من غيرهم وبالعكس فإن الذين يشاهدون التليفزيون أكثر من المتوسط كانوا يميلون إلى استعمال الوسائل الأخرى من أجل الترفيه ولاكتساب الخبرة الخيالية ، ولكي يكون الأمر أكثر وضوحًا قمنا بعمل تقسيم لأنواع السلوك المختلفة عند مشاهدة التليفزيون وعند القراءة أيضًا ، فقد قسمنا عينات الأطفال حسب مستويات الدراسية إلى فئتين.

(أ) الأطفال الذين يشاهدون التليفزيون مدة طويلة.

(ب) الأطفال الذين يشاهدون التليفزيون مدة قصيرة.

وجعلنا المعدل المتوسط للمشاهدة والحد الفاصل بين الفئتين

(ساعتين و ١٥ دقيقة) للمشاهدة اليومية [1].

ولكي نفرق بين كثيري القراءة وقليليها، طبقنا الاختبار على قراءة الكتب والمجلات فحسب لأن عدد الذين لا يقرأون الجرائد في الصف الأول الثانوي قليلون جدًا، وقد اعتبرنا التلميذ من فئة كثيري القراءة إذا كان يقرأ ثلاثة كتب أو أربع مجلات أو أكثر خلال الشهر السابق على التجربة، ومن هذه التقسيمات حصلنا على المجموعات الآتية:

(أ) الأطفال الذين يشاهدون التليفزيون كثيرًا ويقرأون قليلًا ويطلق عليهم مجموعة الباحثين عن الخبرات الخيالية.

(ب) الأطفال الذين يقرأون كثيرًا ويشاهدون التليفزيون قليلًا ويطلق عليهم مجموعة الباحثين عن الخبرات الواقعية.

(ج) الأطفال الذين يشاهدون التليفزيون كثيرًا ويقرأون كثيرًا من الكتب وسميناهم مجموعة كثيري المشاهدة وكثيري القراءة.

(د) الأطفال الذين يشاهدون التليفزيون قليلًا ويقرأون قليلًا وسميناهم مجموعة قليلي المشاهدة وقليلي القراءة.

وأول ما نلاحظه أن هذه التقسيمات تتمثل في كل العينات التي

---

[1] – هذه المدة هى معدل زمن المشاهدة بالنسبة لتلاميذ السنة الأولى الثانوية وهى أقل بكثير من متوسط زمن المشاهدة لتلاميذ السادسة الابتدائية الذين يشاهدون لمدة أطول بكثير من الذين أكبر منهم سنًا.

أجرينا البحث عليها وأنها متقاربة نسبيًا في أحجامها وزيادة على ذلك لاحظنا أن ما يطرأ على هذه المجموعات من تغير يستمر في نفس الاتجاه مع تقدم الأطفال في السن، ووجدنا في عينات الأطفال من الصفين السادس الابتدائي والأول الثانوي في "روكي ماونتين" وكندا" والعينات الأخرى من الصف الثاني الإعدادي والثالث الثانوي من سان فرانسسكو أن التغيير يسير في نفس الاتجاه، أي أن مجموعة الباحثين عن الخبرات الخيالية تقل بينما تزيد مجموعة الباحثين عن الخبرات الواقعية.

كما أن مجموعة كثيري المشاهدة وكثيري القراءة تقل بينما تزيد مجموعة قليلي المشاهدة وقليلي القراءة، وهذه التغييرات تحدث على أعداد كبيرة من الأطفال ولها أهمية من الناحية الإحصائية، والسؤال الذي يخطر ببالنا الآن هو: هل تساعد هذه التقسيمات على التفرقة بين الأطفال الذين يبحثون عن خبرات الخيال وأولئك الذين يبحثون عن خبرات الواقع؟

وللإجابة على هذا السؤال نعرض لبعض الاختبارات التي أجريناها.

تطبيق الاختيار على أطفال راديو تاون:

إذا كانت هناك فروق أساسية فعلًا بين مجموعات الباحثين عن الخبرات الخيالية ومجموعات الباحثين عن الخبرات الواقعية، فإن من المحتم أن نجد مثل هذه التقسيمات والتغيرات في "راديو تاون" وهى البيئة التي اخترناها في كندا لإجراء اختباراتنا بوصفها مجتمعًا لم يدخله التليفزيون بعد.

وقد وجدنا إحصائيات راديو تاون تقل بكثير عنها في تليتاون بالنسبة للأعداد الدالة على قراءة القصص المصورة والذهاب إلى السينما مما دعانا إلى توجيه الاهتمام لها باعتبارها مقياسًا لدراسة مدى الإقبال على الخبرات الخيالية بدلًا من التليفزيون، وسرنا على الخطوات الآتية:

إذا كان الطفل قد رأى أكثر من ثلاثة أفلام أو قرأ أكثر من تسعة كتب مصورة خلال الشهر السابق لإجراء البحث، اعتبرناه ضمن مجموعة كثيري التردد على السينما فإن لم يكن كذلك كان ضمن مجموعة قليلي القراءة وقليلي التردد على السينما.

وعندما نقسم هاتين المجموعتين حسب إقبالهم على المطبوعات نحصل على أربع مجموعات كتلك التي سبقت الإشارة إليها بالنسبة للتليفزيون. ورغم أن عدد الحالات في بعض المجموعات كان أصغر من أن عن بيانات إحصائية فقد وجدنا نفس التغيرات في النسبة واضحة بين الصفوف المختلفة، وبتعبير آخر: قبل ظهور التليفزيون يفترض أن كثيرًا من الأطفال يمر عليهم نفس التغيير (أي التحول من الاتجاه للخيال إلى الاتجاه للواقع).

وهو التغير الذي يحدث اليوم على سلوك الأطفال في عصر التليفزيون.

الاختبار على الوسائل الأخرى:

وهناك اختبار آخر لنتبين منه إذا كانت هذه التقسيمات التي تفرق

بين الباحثين عن الخيال والباحثين عن الواقع تتمثل في سلوك الأطفال الذي يرتبط بطول المشاهدة أو القراءة الكثيرة.

وقد وجدنا أن مشاهدة التليفزيون لمدة طويلة ترتبط بالتردد على السينما مرات كثيرة وكذلك بقراءة الكتب المصورة كما هو المتوقع.

أما المجموعات التي تقرأ كثيرًا من الكتب، فهى أيضًا تقرأ الجرائد وأهم من ذلك، أن هذه المجموعات تقبل على قراءة الأنباء الجافة.

والملاحظ أن المجموعات التي تشاهد التليفزيون مدة طويلة، تميل إلى قراءة مجلات القصص العاطفية ويقل إقبالها على قراءة المجلات العامة والمجلات الإخبارية والمجلات المتخصصة.

ولكي نختبر مدى الإقبال على قراءة المجلات، دون تأثر بسلوك الأطفال تجاه المجلات كعامل من عوامل التفرقة بين الذين يقرأون كثيرًا والذين يقرأون قليلًا فكرنا في عمل قائمة جديدة راعينا أن يكون بها تقييم لمختلف أنواع المجلات، على الوجه التالي:

القيمة	نوع المجلة
١	مجلات القصص العاطفية
٢	مجلات الرياضة والهوايات
٣	المجلات العامة
٤	المجلات الإخبارية
٥	المجلات المتخصصة

وعن طريق هذه القيم استطعنا أن نحسب المتوسط الذي يحصل عليه الفرد نظير قراءته للمجلات المختلفة وهكذا نحصل على صورة تقريبية لأثر المجلات المقروءة وبذلك أيضًا أمكن عمل دراسة مقارنة لمن يقرأون كثيرًا ومن يقرأون قليلًا من المجلات التي تستمد منها الخبرات الخيالية أو الواقعية.

ورغم أن الفروق كانت بسيطة إلا أنها أوضحت أن البيانات الواردة في الرسم السابق كانت نتيجة للقراءة الكثيرة من جانب الذين يقبلون على الكتب والمجلات إقبالًا زائدًا ولكن هذه الفروق جميعها تسير في نفس الاتجاه المتوقع وهو أن مجموعة الذين يقرأون كثيرًا، يفضلون أنواع المجلات التي يستمدون منها ما يشبع حاجاتهم من الخبرات الواقعية.

وقد استرعى انتباهنا شيء آخر هو أن الأفراد في مجموعة الذين يشاهدون التليفزيون مدة طويلة، لايرون من الأخبار أو برامج الشئون العامة أكثر مما يرى أفراد المجموعة التي تهتم بالبرامج الواقعية وعندما يصل هؤلاء إلى الصف الأول الثانوي تقل مشاهدتهم لمثل هذه البرامج.

اختبار مدى اعتماد الأطفال على الوسائل المختلفة:

وإذا كانت هذه المجموعات المشار إليها تسير حسب المقاييس التي أوردناها فالمتوقع أن مجموعة الأطفال الذين يتجهون إلى خبرات الواقع ينظرون إلى الوسائل التي تصلهم بالخيال على أنها أقل في الأهمية من غيرها، ولذا فهم يتذكرون الخبرات الواقعية من الوسائل المختلفة عند

الأطفال وجهنا لهم هذا السؤال:

إذا قدر لك ألا تستعمل الوسائل العامة (الكتب، الصحف، المجلات والكتب المصورة الراديو، التليفزيون، السينما فأي هذه الوسائل تفتقد أكثر من غيرها ؟

ففي الصف السادس الابتدائي جاءت غالبية إجابات الأطفال بأنهم يحسون بوحشة شديدة إلى جهاز التليفزيون.

وأما حسب تقسيم الأطفال إلى مجموعات فكانت النتائج كما يلي:

٨١% من مجموعة الاتجاه الخيالي، قالوا أنهم يفتقدون التليفزيون مقابل

٥٤% من مجموعة الاتجاه الواقعي.

وفي الصف الأول من المرحلة الثانوية

٢% من مجموعة الاتجاه الواقعي يفتقدون التليفزيون مقابل

٦٩% من مجموعة الاتجاه الخيالي

وكما نتوقع حصلت الكتب والصحف عند مجموعات المهتمين بالواقع على نسب مئوية أعلى منها عند مجموعات الذين يهتمون بالخبرات الخيالية.

الاختبارات الخاصة بالبرامج التعليمية في التليفزيون:

لاشك أن مشاهدة البرامج التعليمية في التليفزيون هي نوع من السلوك يختلف كثيرًا عن مشاهدة البرامج الأخرى التي تذيعها المحطات التجارية فقد لاحظنا أن الطفل الذي يفتح الجهاز على محطة تذيع برامج تعليمية، هو طفل يبحث عن الحقائق وأن عمله هذا يعتبر مخالفًا للتقليد السائد بين الأطفال وهو مشاهدة التليفزيون من أجل الترفيه وكنوع من الهروب من مشاكل الواقع.

وهكذا عندما درسنا سلوك المجموعات الأربع لاحظنا باهتمام ما يفعله الأطفال الذين يتميزون بالقراءة الكثيرة، أو بالمشاهدة لمدة طويلة إذا أمكنهم التقاط برامج ثقافية من محطة تلفزيون تعليمية.

لقد وجدنا أن النسبة المئوية لمن يقرأون كثيرًا ويشاهدون البرامج التعليمية تبلغ مرتين ونصف قدر النسبة المئوية للذين يشاهدون التليفزيون كثيرًا بما في ذلك البرامج التعليمية.

وعلى أساس هذه الحقائق استنتجنا أن هذه المجموعات توجد بنسب كبيرة وأنها تساعد على تفهم سلوك الأطفال بالنسبة للوسائل، وهذه المجموعات لها صلة بالبحث عن الخبرات الخيالية أو الواقعية، وبعد هذا بدأنا ندرس الفوارق بين الأطفال حسب العوامل الآتية:-

فروق الجنس:

في مجموعة الأطفال ذات الاتجاه الواقعي في مستوى الصف السادس الابتدائي نجد أن عدد الإناث أكبر بكثير من عدد الذكور، ولكن هذا الفرق يختفي عندما يصلون إلى الصف الأول الثانوي كما نتوقع، والملاحظ بصفة دائمة أن أذواق الفتيات تجاه التليفزيون تتغير قبل تغير أذواق الفتيان، ونتيجة لهذا يتحولن إلى الواقعية قبل الصبيان بوقت قصير.

الفروق الاجتماعية والاقتصادية:

هناك أيضًا علاقة بين مشاهدة التليفزيون والمستوى الاجتماعي والاقتصادي للأسرة، لقد أعددنا قائمة بالمستويات الاجتماعية والاقتصادية على أساس مهنة والد الطفل ومدى الثقافة التي اكتسبها.وقد ظهر من الأبحاث السابقة ، أهمية العمل والمهنة لبيان المركز الاجتماعي الطبقي، وعن طريق الجمع بين المهنة والثقافة، استطعنا أن نكسب البحث مزيدًا من الدقة، وقد جعلنا في أعلى القائمة التي أعددناها مهن الأساتذة، ومديري الأعمال والفنيين والخبراء، وغيرهم من الذين يصلون إلى درجة عالية من الثقافة وإذا اجتمعت المهنة العالية مع الثقافة الرفعية كان ذلك أعلى المستويات الاجتماعية والاقتصاية.

وقد جاء التقسيم الاجتماعي في القائمة على أساس أن تكون المستويات الآتية في القمة:

الأساتذة، مديرو الأعمال، الملاك، رجال الأعمال، رجال الدين

الفنيون (طبقة متوسطة عليا) ويلي هؤلاء: غير الفنيين، رجال الخدمات، العاملون في الزراعة (طبقة متوسطة دنيا) وقسمنا مستويات الثقافة والتعليم إلى ثلاث درجات: الدراسة الابتدائية، الدراسة الثانوية، الدراسة الجامعية.

ويعد الجمع بين العمل الذي يمارسه الفرد والثقافة التي وصل إليها حصلنا على أربع مستويات اجتماعية اقتصادية هى:

١- مهن عليا وثقافة جامعية.

٢- مهن دنيا وثقافة جامعية أو (مهن عليا وثقافة متوسطة).

٣- مهن دنيا وثقافة متوسطة، أو مهن عليا وثقافة أقل من المتوسط.

٤- مهن دنيا وثقافة بسيطة.

وعندما طبقنا هذه المستويات الاجتماعية والثقافية على التقسيمات السابقة للأطفال حسب سلوكهم نحو التليفزيون والوسائل المطبوعة، وجدنا فروقًا صارخة تدعو إلى الاهتمام.

في الصف السادس الابتدائي وجدنا فروقًا بسيطة في النسب بين المجموعات التي تمثل المستويات الاجتماعية والاقتصادية فيما يختص بالبحث عن الحقائق أثناء مشاهدة التليفزيون ولكن النسبة الخاصة بأطفال الطبقة العاملة للاقبال على الخبرات الخيالية وصلت إلى الضعف عند أطفال الأسر من الطبقة المتوسطة ومن وجهة نظر أخرى نرى أن:

٧٥% من أطفال الطبقة المتوسطة العليا يقرأون كثيرًا في مقابل

٥٥% من أطفال الطبقة العاملة.

وبخصوص مشاهدة التليفزيون لمدة طويلة يوجد فرق بسيط بين أعلى المستويات الاجتماعية وأدناها **٦٩%**، مقابل **٧٣%** واتضح أن الأطفال من الطبقة العليا الذين يشاهدون التليفزيون مدة طويلة، هم أيضًا الذين يقرأون كثيرًا من الكتب أما الأطفال من الطبقة الدنيا فمن المحتمل أنهم يعتمدون على التليفزيون فقط.

وفي الصف الأول الثانوي تبدو الفروق أكثر وضوحًا، فالذين يستعملون الوسائل العامة طلبًا للمعرفة من بين أبناء الطبقة العليا بلغوا ما يقرب من نصف المجموعة **٤٤%** – في مقابل **١٥%** من أطفال الطبقة العاملة.وعكس هذا بين أطفال الطبقة فكان هناك **٨%** من الباحثين عن الخبرات الخيالية مقابل **٣٢%** من أبناء الطبقة العاملة.

ويتضح من هذا أن التغيير على نطاق أكبر يحدث بين أبناء الطبقة المتوسطة أما أبناء الطبقة العاملة فيتغيرون بدرجة أقل، ومعظم الذين يتغيرون منهم يتحولون إلى الاستعمال لمدة قصيرة فيما يختص بالتليفزيون والقراءة معًا، أما أبناء الطبقة المتوسطة، فيما بين الصفين السادس الابتدائي والأول الثانوي فإنهم يقللون من استعمالهم للتليفزيون ويتوجهون إلى الخبرات الواقعية.

وثمة ملاحظة أخرى تسترعي الاهتمام:

في الصف الأول الثانوي نرى أن التوزيع متعادل بين التلاميذ الذين يستعملون التليفزيون مدة قصيرة، والذين يستعملونه لمدة طويلة حسب الأوضاع الاجتماعية والاقتصادية والأسرة أما الفروق الظاهرة على أساس الوضع الاجتماعي فتبدو في اتجاهات التلاميذ إلى الخبرات الخيالية والخبرات الواقعية ففي كلا الحالين تكون الفروق عظيمة وكلما ارتفع المركز الاجتماعي للأسرة كلما كان الاتجاه ناحية الخبرات الواقعية أكبر وأوضح وعكس ذلك إذا انخفض هذا المركز فيكون اتجاه الطفل ناحية الخبرات الخيالية.

هكذا يتبين أن ما يطرأ من تغيير على الاتجاه العام للأطفال في الفترة التي أطلقنا عليها "نقطة التحول" في بداية مرحلة المراهقة، مرجعه أساسًا إلى الاتجاه السائد للطبقة التي ينتمون إليها وكذلك إلى المقاييس السائدة فيها، وهدفنا هنا أن نكتشف السر الكامن من وراء هذه العلاقة.

إن مؤلفات أمثال "و. لويد وارنر، و ا. ب هولتجشيد" لا تترك مجالًا للشك في أن الأمريكين يعرفون الطبقة التي ينتمون إليها في الكيان الاجتماعي، وهم يميلون إلى إقامة الصلات بينهم وبين من يقاربونهم في المركز الاجتماعي، ولو أن هناك ميلًا كبيرًا نحو التطور إلى أعلى في البناء الاجتماعي.

والأمريكيون يعترفون بالفوارق في المستويات حسب الملكية أو

الغنى، وحسب العادات وأنماط السلوك، والمقاييس والمعتقدات، وقد وجدنا بين الأفراد الذين قسمناهم لمجموعات حسب المستويات الاجتماعية السابق الإشارة إليها، فوارق كبيرة في السلوك والعقائد، وهذا يؤكد لنا بشكل قاطع أننا في الحقيقة نفرق بين مستويات اجتماعية سواء أكانت طبقات أم لم تكن.

وعلى كل حال لاحظنا أن معظم الناس من المستويات الاجتماعية العالية، أي الذين يجمعون بين المهن الراقية والثقافة الرفيعة تتوفر لديهم المميزات التي قال "والنروهولتجشيد" أنها تنطبق على الطبقة المتوسطه كما أن الأفراد الذين يأتون في المستويات الدنيا لهم المميزات التي تنطبق على أفراد الطبقة العاملة ، لذا سيكون حديثنا عن المستويات الاجتماعية العليا على أنها الطبقة المتوسطة والمستويات الدنيا على أنها الطبقة العاملة.

ولكننا بصفة خاصة نود أن نلفت نظر القراء الذين يمثلون ثقافات أخرى أن الطبقات الاجتماعية في أمريكا الشمالية ليست هى المعروفة في البلاد الأخرى[1]، فهناك قليلون يمكن اعتبارهم ضمن الطبقة العليا، وقليلون أيضًا أولئك الذين ضمن الطبقة الدنيا، والحروب الفاصلة بين الطبقات المختلفة يمكن اجتيازها بسهولة وهناك نسبة كبيرة من الناس، يتطورون إلى أعلى ثقافيًا واجتماعيًا، وعلى أساس المقدرة الشرائية للفرد نجد أن الفروق الطبقية في أمريكا أقل بكثير منها في معظم بلاد العالم ، فمن الممكن مثلًا لفرد من الطبقة الدنيا أن يمتلك سيارة "كاديلاك" بينما

---

[1] – يقصد القراء من البلاد الاجنبية.

نرى رجلًا آخر من الطبقة المتوسطة يذهب إلى عمله في سيارة من طراز عتيق.

ولذا فعندما نتحدث في الصفحات التالية عن الطبقة الاجتماعية لن يكون ذلك للدلالة على مفهوم سيء ولن نقصد به تفرقة طبقية كما هو مألوف في البلاد الأخرى، كما قد يكون بين الطبقة المتوسطة وطبقة الفلاحين أو بين طبقة المستأجرين والنبلاء أو الملاك، إن المجموعات التي نفرق بينها هنا تحت عنوان الطبقة المتوسطة أو طبقة العمال تمثل في الواقع طبقتين اجتماعيتين تتميز كل منهما عن الأخرى بالمظهر الخارجي أقل مما تتميز بالثقافة التي حصل عليها أفرادها، ونوع العمل الذي يمارسون وكذلك ببعض المعتقدات وأنماط السلوك.

المقاييس الطبقية والبحث عن الخبرات الخيالية:

هناك نظريات كثيرة ظهرت في المؤلفات التي تناولت العلاقات بين المقاييس الطبقية وسلوك الافراد تجاه التليفزيون ، فمنذ سنوات تقدم أكبر مؤلفي هذا الكتاب سنًا بنظرية أطلق عليها الإرضاء العاجل(1) والمؤجل(2) وذلك كوسيلة لتفسير اختيار الطفل لمشاهدة القصص الإخبارية.

وقد اكتشف المؤلف أن الأفراد ذوي الثقافة العالية والذين في

(1) – هو سرعة استجابة الفرد لدوافعه واشباع رغبته في المتعة والترفيه من الوسائل العامة.

(2) – أي التحكم في الدوافع والاقبال على الوسائل العامة من أجل الثقافة والمعرفة مع قليل من الترفيه والاهتمام بتحسين المستوى الاجتماعي.

مستوى أعلى من حيث المهنة من المحتمل أن يبحثوا في الصف عن المواد التي تكسبهم معرفة بالحقائق بدلًا من مجرد الهرب من المشاكل الواقعية ومع أنه أطلق على هذين النوعين من السلوك: الاشباع العاجل والمؤجل للرغبات الإنسانية فإن هناك علاقة واضحة بين هذا النوع من السلوك وما أشرنا إليه من البحث عن الخبرات الخيالية والواقعية.

وبعد ذلك بسنوات قليلة قال "شنيدر وليز جارد" إن هذه الفروق مرجعها إلى الطبقة الاجتماعية.

وقد قال المؤلفان: إن أفراد الطبقة المتوسطة يسيرون وفق طابع من السلوك يمكن أن يطلق عليه "الارضاء المؤجل للحاجات" وهم يشعرون أن أمامهم التزامًا أدبيًا نحو أنفسهم فيقتصدون بعض المال ويرسمون الخطوط العريضة لحياتهم ويؤجلون أو يزهدون في تحقيق الاستجابات لنزعاتهم.

أما الطبقة العاملة فإن أفرادها يتميزون بلون من السلوك يمكن أن نطلق عليه "تلبية الدوافع"، وهم أكثر من أفراد الطبقة المتوسطة استعدادًا للقيام بأعمال العنف الجسمانية "الصفع واللكم والضرب بالأرجل" وأن يعبروا عن مشاعرهم بصراحة في مسائل الجنس وأهدافهم الثقافية أن يحصلوا على أقل قدر ممكن من التعليم، ولديهم حافز ضعيف على الرقي إلى المستويات الاجتماعية الأعلى، وباختصار يكون اتجاههم العام نحو الاستجابة لدوافعهم بينما أفراد الطبقة المتوسطة يزهدون في تلبية ما لديهم من ميول ورغبات.

وقد ذكر "جيجر وسوكول" في تقرير لمركز التليفزيون والراديو التعليمي بعض الآراء التي تتصل بالتليفزيون، فقالا: إن التليفزيون دخل في معركة مع تقاليد أفراد الطبقة المتوسطة وإقبالهم على النشاط الاجتماعي والإنتاج الهادف المستمر.

وقال المؤلفان: "إن التليفزيون رمز للترفيه السلبي والانزواء بعيدًا عن النشاط الاجتماعي والتهرب من المسئوليات للاستغراق في عمل مثمر، وقد وجدا من بحثهما أن مشاهدة التليفزيون أدعى إلى الاهتمام عند الطبقة العاملة منها عند الطبقة المتوسطة واستطاعا أن يثبتا أن هذه الاتجاهات نحو التليفزيون لها قيمة قياسية أي يمكن اعتبارها ذات دلالة على المستويات الاجتماعية، وفي أثناء هذه الفترة اكتشفت كثير من الباحثين أن هناك ارتباطًا بين المستوى الاجتماعي للطفل وسلوكه تجاه التليفزيون، ففي انجلترا وجدت "هيملوايت وأوبنهايم وفنس" إن أطفال الطبقة العاملة بين سن العاشرة والحادية عشر يشاهدون التليفزيون لمدة أطوال من نظرائهم أطفال الطبقة المتوسطة في نفس السن أما في سن ما بين الثالثة عشر والرابعة عشر فلم يكن هناك فرق بين أطفال الطبقة العاملة ونظرائهم من الطبقة المتوسطة في مدة المشاهدة، وقد فسروا ذلك بما يلي:

إن الآباء من الطبقة المتوسطة يستطيعون فرض السيطرة على أبنائهم أكثر مما يستطيع الآباء من الطبقة العاملة على أطفالهم ، فلو أن الأطفال من الطبقة المتوسطة في السن بين ١٠ – ١١ تركوا على هواهم

لاستمروا في مدة المشاهدة مع نظرائهم من أطفال الطبقة العاملة وأن هذا هو ما يحدث فعلًا عندما يكبرون ويصلون إلى سن ١٣ – ١٤ ويستمتعون بقسط أكبر من الحرية والاستقلال في الرأي وعندئذ يشاهدون التليفزيون مثل ما يفعل نظرائهم أبناء الطبقة العاملة.

ولكنهم في سن ١٠ – ١١ يكونون خاضعين تحت رقابة والديهم ويفهم من هذا أن الآباء من الطبقة المتوسطة لديهم من الأسباب ما يدعوهم إلى فرض القيود للحد من مشاهدة أطفالهم للتليفزيون.

وقد وجدت اليانور ماكوبي أن أطفال الطبقة المتوسطة الذين نشأوا في ظروف تشعرهم بالإحباط، لهم طراز من السلوك عند مشاهدة التليفزيون يختلف عن سلوك نظرائهم أبناء الطبقة العاملة والذين يعيشون في نفس الظروف مثلهم.

إن الأطفال أبناء الطبقة المتوسطة يتجهون نتيجة للإحباط وعدم تحقيق الرغبات إلى زيادة مدة مشاهدتهم للتليفزيون، أما أبناء الطبقة العاملة فلا يفعلون ذلك والتفسير المعقول لذلك أن أطفال الطبقة المتوسطة يزيدون مدة المشاهدة كوسيلة للهرب من الواقع ولامتصاص الإحساس بالضيق من حياتهم بالبيت ولكن لم لا يفعل أطفال الطبقة العاملة مثل هذا ؟

لقد أوضحت السيد ماكوبي أن الطفل إذا كان على علاقة طيبة مع والديه فإنه يلازمهما وبما أنهما لا يهتمان كثيرًا بمشاهدة التليفزيون فإنه

بالتالي يميل إلى الانصراف عن التليفزيون، ولكن إذا كان الطفل على غير وفاق مع والديه فمن المحتمل أن يلجأ إلى التليفزيون، ولكن إذا كان الطفل على غير وفاق مع والديه فمن المحتمل أن يلجأ إلى التليفزيون حيث يجد فيه فائدة مزدوجة للهرب من والديه وفي نفس الوقت "للانتقام" منهما خلسة بالإقبال على سلوك لا يرضيهما (لوعلمنا به) والطفل من الطبقة العاملة إذا كان على وفاق مع والديه فهو قريب منهما غالبًا وحيث أنهما يشاهدان التليفزيون مدة طويلة فهو الآخر سيفعل بالمثل، فإذا كان على غير وفاق معهما لن يزيد ذلك مدة المشاهد (لأنها طويلة بطبيعتها) ويفهم من هذا بالطبع أن الطبقة المتوسطة تختلف عن الطبقة العاملة في وجهة النظر نحو التليفزيون ولأن أفراد كل من الطبقتين عندما يشاهدون برامج التليفزيون يفعلون ذلك تطبيقًا لمستويات مختلفة في التفكير وحسب الاتجاه العام في كل طبقة.

وقد قام "جيجر وسوكول" – السابق الإشارة إليهما – باختبار نظريتهما عن الطبقات الاجتماعية عندما قاما بدراسة على مشاهدة البرامج الثقافية في التليفزيون بمدينة بوسطون وإحدى ضواحيها.

وقد وجدا هناك – كما وجدنا نحن في أماكن أخرى – أن مشاهدة البرامج التعليمية يعتبر سلوكًا منسوبًا إلى أفراد الطبقة المتوسطة ذوي الثقافة العالية، والذين لهم نشاط اجتماعي على نطاق أوسع مما يفعل أفراد الطبقة العاملة، وعكس هذا يقال بالنسبة لمشاهدة برامج الترفيه فإن إقبال الطبقة العاملة عليها أكثر من غيرها من الطبقات.

واستخلصا من ذلك نتيجة عبرا عنها بما يلي:-

نستطيع أن نقول بأن الصفة الغالبة على مشاهدة التليفزيون هى الترفيه وأنها لذلك تكون أكثر تجانسًا مع اتجاهات الطبقة العاملة نحو "الإرضاء الفوري" للرغبات، منها عند الطبقة المتوسطة التي تميل إلى "الارضاء المؤجل" وهذه السلسلة من النظريات والاستنتاجات لها علاقة بالنظرية التي قدمناها في الفصل الرابع الخاصة بأنواع السلوك التي تصدر الأطفال عندما يشاهدون التليفزيون طلبًا للخبرات الواقعية والخيالية ونحن الآن بصدد اختبار الغرض الذي قلنا به وهو أن أفراد الطبقة المتوسطة يستعملون التليفزيون لاكتساب الخبرات والحقائق بينما أفراد الطبقة العاملة يفضلون استعماله للترفيه والحصول على متعة خيالية نتيجة للاتجاه السائد في كل طبقة.

طابعان مميزان للمجتمعات:

سنحاول أولًا أن نحدد أوصاف الطابعين اللذين يميزان المجتمعات كما صورهما الباحثون الاجتماعيون.

لنفرض أن هناك فردين يمثل كل منهما طابعًا خاصًا سبق أن أشرنا إليه وسنرمز لأحدهما بحرف " أ " وللآخر بحرف " ب " ونتحدث عن الاتجاهات العامة لكل منهما.

الفرد أ الفرد ب

يمثل الطبقة العامة يمثل الطبقة المتوسطة

يمثل الطبقة العامة	يمثل الطبقة المتوسطة
١- يعمل بالطاقة العضلية طول النهار فإذا جاء المساء، يفضل أن يخلو للراحة في البيت.	يؤدي عملًا مكتبيًا طول اليوم وفي المساء يسره أن يروح عن نفسه خارج البيت
٢- أمضى سنتين في المدرسة الثانوية ويجد صعوبة في قراءة المقالات المتعمقة والكتب ويمل سريعًا موضوعات التفكير المجرد	أتم دراسته العالية، يقرأ بسهولة وله معرفة بالعلوم الحديثة والعلاقات الخارجية وقد اعتاد على التفكير النظري
٣- دخله إلى حد ما أقل من دخل ب وعندما يشتري سيارة جديدة كل عامين، لا يتبقى لديه من الدخل ما يكفي للترويح خارج البيت، لذا يفضل الترفيه عن نفسه داخل البيت.	ميزانيته أكبر نسبيًا من ميزانية (أ) ولذا يجد بها ما يكفي لتذاكر الحفلات الخارجية ولا يعتمد على الترفيه بالبيت مثل أ
٤- اتجاه العام أن يعيش ليومه ويستمتع به بقدر الإمكان	اتجاهه إلى التفكير في المستقبل أكثر من أ ويميل إلى رسم الخطط للغد.
٥- قليلًا ما يحس بالرغبة في تحسين حاله في العمل أو المركز	يجد دافعًا قويًا لتحسين مركزه ليرتقي إلى مستوى أعلى اقتصاديًا واجتماعيًا.
٦- يعتقد أن ثقافته البسيطة تكيفه وأنه يحتاج لأن يعمل كي يعيش ويحصل على حاجاته.	يقدر التعليم حق قدره ويجب أن يأخذ أولاده، من العلم أكبر قسط ممكن.
٧- يعتقد في الإنفاق عن سعة.	يعتقد في الاقتصاد.
٨- يعتقد في الانقياد للنزعات والرغبات	يعتقد في التحكم في النفس ويرى أن من واجب الفرد مقاومة نزعاته وأن تكون

	تصرفاته مبنية على التفكير المنطقي لا على النزعات والميول.
٩- يعتقد أن من المفيد للفرد الراحة بالمنزل والترفيه عن النفس.	يعتقد أن النشاط الإيجابي مفيد ويشك في أن الناس قد يضرونه لو بقى ساكنًا دون عمل إيجابي.
١٠- يحكم على النشاط بقدر ما به من فكاهة ولهو وترويح	يحكم على النشاط بقدر ما به من معرفة وما له من قيمة علمية للشخص
١١- لا يرى خطأ في محاولة الهرب من مشاكله ويشعر أن لديه ما يكفيه من المشاكل.	يرى أن من الخطأ تجنب المشاكل بل يرى من المحتم مواجهتها.
١٢- يشعر أن المشاكل في العصر الحاضر وحتى مشاكله الخاصة أكبر من أن يحلها بنفسه	يشعر أن من واجبه محاولة حل مشاكله الخاصة وأن يبذل ما في وسعه لتفهم مشاكل الناس الذين حوله.

وليس هناك بالطبع فردان تنطبق عليهما هذه الأوصاف تمام الانطباق وإنما معظم الأفراد يجمعون بين خواص هذين الشخصين اللذين افترضنا وجودهما ولكن بوجه عام، نرى أن هذه الأوصاف تمثل المعايير "المقاييس" والاتجاهات في السلوك التي تميز أكبر المجتمعات في أمريكا.

فالفرد الذي ينتمي إلى الطبقة العاملة سيكون قريبًا من أ.

والفرد الذي ينتمي للطبقة المتوسطة سيكون أقرب إلى ب.

هل يسير الأطفال هذه المقاييس ؟

ليس هناك شك في أن الكبار لديهم الاتجاهات التي تميز طبقتهم ولكن هل يتشرب الأطفال هذه الاتجاهات بحيث تؤثر على سلوكهم تجاه الوسائل المختلفة؟

يمكننا أن نختبر صحة هذا السؤال بالرجوع إلى ما لدينا من بيانات فمثلًا أننا نعلم بعض الشيء عن آمال الطفل وعلاقتها بالظروف المحيطة به، لقد وجدنا ارتباطًا وثيقًا بين المركز الذي تشغله أسرة الطفل اقتصاديًا واجتماعيًا ومدى ما يريد أن يحققه الطفل من التعليم.

ففي أعلى المستويات الاجتماعية والاقتصادية نرى أن:

٨٠% من الأطفال يقولون بأنهم سيكملون التعليم إلى نهاية المرحلة الجامعية

و ٩٠% من الأطفال يقولون بأنهم على الأقل سيلتحقون بالجامعة.

وفي أدنى المستويات الاجتماعية وجدنا أن:

٣٦% من الأطفال سيكملون التعليم إلى نهاية المرحلة الجامعية.

و ٤٩% من الأطفال لا يرون أنهم سيذهبون إلى الجامعة.

وقد تتبعنا العلاقة بين الآمال نحو التعليم وسلوك الطفل تجاه التليفزيون ففي الطبقة المتوسطة كانت هذه العلاقة واضحة المعالم، فالذين

لهم آمال كبيرة في التعليم كانوا دون المعدل المتوسط في زمن المشاهدة والذين لهم آمال بسيطة في التعليم كانوا أعلى من المتوسط في المشاهدة.

وفي حالة الطبقة العاملة لم نجد مثل العلاقة الواضحة كما توقعنا من بحث السيدة ماكوبي.

وبقدر ما يمكن الاعتماد على أقوال الأطفال بخصوص أهدافهم المستقبلية في العمل، يتضح أن الذين يتطلعون إلى الاشتغال بمهن عالية ينتمون إلى أسر ذات مراكز عالية من الوجهة الاقتصادية والاجتماعية كما أن هؤلاء الأطفال كانوا ممن يشاهدون التليفزيون قليلًا وقد قمنا باختبار آخر لقيمة التعليم في نظر الأطفال وجهنا لهم سؤالًا عما إذا كانوا يجدون في المدرسة ما يدعو للملل.

ومع أن غالبية الأطفال أجابوا بالإيجاب فإن الأطفال من الأسر ذات المستوى الاجتماعي العالي، والذين يشاهدون التليفزيون مدة قصيرة لم يكونوا على استعداد لإبداء مثل هذا الرأي.

وكان العدد الأكبر من الذين أجابوا بالإيجاب على هذا السؤال بين الصفين السادس الابتدائي والأول الثانوي.

وأردنا أن نتبين بطريقة غير مباشرة ما إذا كان للأطفال اهتمام جدي بالمشاكل الواقعية كما توقعنا لو أنهم كانوا متأثرين بالطابع العام للطبقة المتوسطة.

لذلك فحصنا إجابات الأطفال عن الأسئلة التي قدمنا لهم فيما يتعلق

بعدد المرات التي يناقشون فيها الأخبار مع الناس، فالذين قالوا إنهم يناقشون الأخبار مع الناس بين مجموعة المهتمين بالخيال، ولكن هذه كانت حقائق توصلنا لها بطرق غير مباشرة، إنما أردنا أن نعرف على سبيل اليقين إذا كان الأطفال يتمسكون حقًا بالمقاييس التي وضعناها حسب الطبقة التي ينتمون إليها وكذلك إذا كان لهذه المقاييس صلة بسلوكهم عند مشاهدة التليفزيون.

الخلاصة:

نستطيع الآن أن نفسر ما يحدث في مرحلة الانتقال أو نقطة التحول "وذلك قبل بداية سنوات المراهقة عندما تحل الاتجاهات الخاصة بحياة الكبار محل نظيراتها من اتجاهات الطفولة وتظهر تطورات وتغيرات هامة على السلوك عند استعمال الوسائل المختلفة.

وقد لاحظنا أن معظم ما يحدث من تغيير يكون بين مجموعات الأطفال التي تمثل المستويات العليا في المجتمع، وعمومًا يتحول الأطفال عن الطابع العام المميز للطفولة وهو الاستجابة للدوافع "إشباع الرغبات" إلى إرجاء تحقيق الرغبة وهو الطابع الذي تغرسه في نفوسهم الطبقة التي ينتمون إليها.

وفي حالة المستويات الاجتماعية الدنيا يكون مدى التغيير أقل للانتقال من طابع الطفولة إلى طابع الكبار، أما الأطفال أبناء الطبقة المتوسطة فينقصهم الطابع الخاص بتحسين مستوى العيش والنشاط، وانتظار ما يأتي به المستقبل، فإذا كانت قدرتهم العقلية متساوية مع آمالهم التي تراودهم نتيجة للطابع العام للطبقة، فإن ميلهم يكون كبيرًا إلى كثرة القراءة وقلة مشاهدة التليفزيون فإن كان الأمر عكس ذلك فإنهم يتحولون إلى استعمال الوسائل بكثرة.

التليفزيون والعلاقات الاجتماعية

لقد تحققنا إلى الآن من عاملين نستطيع بهما أن نقرر كيف يستعمل الطفل جهاز التليفزيون وهذان العاملان هما: القدرة العقلية، والاتجاه العام للمجتمع الذي يعيش فيه، ذلك إلى جانب السن والجنس، ولكن ليست هذه هي كل العوامل الهامة لأنها تترك كثيرًا من المسائل دون إيضاح وعلى سبيل المثال:

هذه العوامل لا تفسر لنا السبب في أن بعض الأطفال في سن المراهقة، يشاهدون التليفزيون لمدة طويلة ولدرجة غير طبيعية رغم أنهم من ذوي القدرة العقلية العالية ومن الذين يسيطر عليهم الطابع العام للطبقة المتوسطة، فمن الواضح أن العوامل المشار إليها ينقصها على الأقل عامل آخر يجدر بنا أن نفتش عنه في محيط علاقات الطفل الاجتماعية ومشاكله.

فلابد للطفل أن يتعلم الحياة في أسرة يتحكم فيها والداه اللذان قد يبدو له غير ثابتين على حال، أو غير عادلين في معاملتهم له وقد [1] تمر بالمراهق بعض المراحل يحس فيها بعدم الأمن، وبأن الناس ينفرون منه أو يصدون عنه، ولابد له أن يؤدي الدور المتوقع منه بوصفه طفلًا، وأن يطوع

---

[1] – من وجهة نظر الطفل نفسه.

سلوكه للاتجاهات العامة التي اكتسبها كجزء من عملية تكيفه الاجتماعي.

وعليه أيضًا أن يساير غيره ممن هم في سنه، وأن يندمج في مجتمع المدرسة مجتمع اللعب وعندما يصل إلى سن المراهقة، تصبح مثل هذه العلاقات مع رفقائه في السن من الأهمية بمكان بسبب ما يحصل عليه من حرية ولأنه لم يعد بعد في حاجة إلى الشعور بالحماية داخل البيت وبين أسرته،[1] ويتعلم بعض المهارات التي تتصل بالزواج وبالعمل، وتكون المنافسة بين المراهق ورفقاء سنه عاملًا هامًا في حياته وعلى ذلك ففي سنوات النضوج يصادف المراهق مشاكل كثيرة وصعبة، منها ما يتصل بعلاقته مع غيره من الناس، ومنها ما يتعلق بطابع المجتمع الذي يعيش فيه ولا غرابة أيضًا أن تكون هذه المشاكل على صورة ما مرتبطة بطريقة استعمال الطفل للوسائل العامة.

مشاكل العلاقات مع الأفراد وعلاقتها بمشاهدة التليفزيون:

هناك دراسات كثيرة تتصل بموضوع العلاقة بين المشاكل الاجتماعية للطفل ومشاهدته للتليفزيون.

وإحدى هذه الدراسات المتعمقة المستنيرة للسيدة "لوت بيلين" التي اكتشفت بعد دراسة قامت بها على أطفال الصفين الخامس والسادس الابتدائي أن هناك علاقة بين الذكاء، والطبقة الاجتماعية والدين، ومدى

[1] – عندما يصل الطفل إلى سن المراهقة في الولايات المتحدة يصبح مسئولًا عن نفسه مسئولية كاملة ويعتمد على نفسه في كسب عيشه.

مشاهدة التليفزيون.

أما المشاكل الشخصية كأن يكون الطفل سمينًا إلى حد مفرط أو تكون الطفلة دميمة الوجه، أو يكون الطفل قليل الأصدقاء فقد وجدت الباحثة أن لها علاقة بمحتوى البرامج التي يشاهدها الطفل، فالمشاكل التي يترتب عليها قبول الفرد كعضو ناجح له قيمته في مجتمع الرفقاء تعتبر مشاكل اجتماعية.

وقد اكتشفت السيدة "بيلين" أن الطفل الذي يعاني من هذه المشاكل يميل إلى قضاء زمن طويل في مشاهدة القصص التي يقوم البطل فيها بأعمال عدائية وقد جاء في الدراسة التي قامت بها هيملوايت وأوبنهايم وفنس في انجلترا على عينة من أطفال الصف الثالث الابتدائي ذوي الذكاء فوق المتوسط.

"لقد وجدنا عكس ما كنا ننتظر، فإن الطفل الذي يكثر من مشاهدة التليفزيون ليس هو وحيد والديه أو الطفل الذي تذهب أمه إلى العمل وتتركه مع التليفزيون وإنما كان الطفل الذي لا يشعر بالأمن وعلى الأخص الطفل الذي يجد صعوبة في مصادقة غيره من الأطفال"

ووجدوا أيضًا أن الأطفال الذين يلاقون صدًا من رفقائهم في السن والذين يشعرون بالقلق والخوف عندما يقتربون من مرحلة النضوج يحتمل أن يكونوا من الذين يشاهدون التليفزيون مدة طويلة.

إن الأطفال الذين لهم هذه الصفات، ويشاهدون التليفزيون أكثر

من الشخص العادي، يذهبون إلى السينما أيضًا مرات أكثر من الفرد العادي ولذا فالدراسة التي أجريت عليهم تشير إلى أن المشاكل المتصلة برفقاء السن لها علاقة واضحة بسلوك الطفل حين يلتمس الخبرات الخيالية.

وقد وجدت "اليانور ماكوبي" في سلسلة المقابلات مع أمهات الأطفال في مدارس الرياض بمدينة نيوانجلاند أن الأطفال من الطبقة المتوسطة الذين يحسون بالحرمان في حياتهم العائلية بمعنى أنهم يخضعون لقيود كثيرة يفرضها عليهم الآباء ولا يلقون منهم المعاملة السمحة التي يتجلى فيها الحنان، هؤلاء الأطفال يميلون إلى مشاهدة التليفزيون أكثر من نظرائهم في السن. ولكن هذه العلاقة بين مشاكل الطفل ومشاهدته للتليفزيون، لم تكن واضحة بالنسبة للأطفال أبناء الطبقة العاملة.

وإذا كانت العقوبات البدنية والقسوة في المعاملة فيما يختص بالسلوك الجنسي تدفع أطفال الطبقة المتوسطة إلى مشاهدة التليفزيون مدة طويلة نجد أن مثل هذه المؤثرات لا يكون لها نفس النتائج على أطفال الطبقة العاملة.

وعلى سبيل المثال نرى أن أبناء الطبقة العاملة الذين يحسون بالاحباط نتيجة للقيود الصارمة التي تحدد مواعيد نومهم أو الأوامر بمراعاة النظافة أو التزام السلوك الطيب، هؤلاء الأطفال يشاهدون التليفزيون لمدة أقصر من غيرهم الذين تتاح لهم حرية أكبر في مثل هذه المناسبات، وأن غالبية المقاييس التي طبقتها السيدة "ماكوبي" لدراسة الشعور بالاحباط

عند أبناء الطبقة العاملة أوضحت أنه لا توجد علاقة ما بينه وبين مشاهدة التليفزيون، وقد سبق لنا مناقشة السبب في هذه الفروق بين الأطفال حسب الطبقة التي ينتمون إليها، والنقطة التي يهمنا إبرازها هنا أن بعض المشاكل المترتبة على علاقات الطفل بأسرته هى التي ترتبط بمدى ما يشاهده في التليفزيون، وهذا واضح على الأقل في أسر الطبقة المتوسطة.

وفي دراسة تالية تعمدت السيدة "ماكوبي" أن تثير في مجموعة من الأطفال الشعور بالاحباط قبل أن تعرض عليهم قصة سينمائية.

لقد أعطت للأطفال اختبارًا في المفردات أصعب مما كانوا يتوقعون، واستدلت في البحث أن هؤلاء الأطفال تذكروا أعمال العنف في القصة أكثر من نظرائهم الذين قدم لهم قبل مشاهدة الفيلم اختبار سهل المفردات، وبذلك كانوا على سبيل الفرض أقل شعورًا بالإحباط من المجموعة الأولى.

وعند تقديم اختبار مماثل لم تكن النتائج هى نفسها كما في المرة الأولى.

ورغم ذلك فالسؤال الذي يخطر بالبال هنا هو:

عما إذا كان الطفل – الذي يحس بالفشل نتيجة لعلاقاته مع الأسرة – لا يبحث في برامج التليفزيون عن أعمال العنف لينفس بها بطريقة تعويضية عن الرغبة المحرمة في الاعتداء على والديه وكذلك إذا كان لا يحاول عن طريق التليفزيون إشباع بعض الرغبات التي لا يمكنه تحقيقها في

واقع الحياة.

وأخيرًا هناك دراسة هامة قام بها "جون وماتيلدا رايلي" اتضح منها أن الأطفال يختلفون في طرق استعمالهم للوسائل العامة وما بها من خبرات تبعًا لعلاقاتهم بمجموعات الأطفال من نظرائهم في السن.

فالذين ليسوا على علاقة طيبة مع غيرهم من الأطفال هم أولئك الذين يتذكرون الخبرات الخيالية ويمارسونها في اللعب ويعيشونها في أحلام اليقظة، وبعبارة أخرى نقول إن انطباع الخبرة الخيالية يطول أثره وتستمر فاعليته كبديل للعلاقات الاجتماعية التي تنقص الطفل مدة طويلة بعد المشاهدة.

يتضح إذًا أن هناك ارتباطًا وثيقًا بين علاقات الطفل الاجتماعية ومشاهدته لبرامج التليفزيون، فالطفل يجلس أمام جهاز التليفزيون متهربًا من حدة المشاكل الاجتماعية على نفسه ويترك المجال الذي يحس فيه بالفشل وبالاحباط ليحصل بوسيلة تعويضية على بعض ما لم يستطع الحصول عليه عن طريق العلاقات الشخصية مع الناس ، ومع ذلك فهذا السلوك معقد من حيث اتصاله باتجاهات الطبقة الاجتماعية والذكاء، وطبيعة المشاكل التي يعانيها الطفل، وسوف نعرض فيما بقى من الفصل حقائق جديدة نتبين على ضوئها تلك العلاقة بشكل أوضح.

معنى الأعمال العدائية عند الأطفال:

لما كان "الإحباط" نتيجة لسوء العلاقات الشخصية مع الناس يبدو

أنه الدافع لمعظم أنواع السلوك المشار إليه، ولما كان الإحباط في العادة يفهم على أنه نوع من الاعتداء، فسنبدأ بالحديث عن أنواع الأعمال العدائية ودرجاتها عند الأطفال.

لقد قدمنا إلى عينات الأطفال الذين اختبرناهم للبحث في "روكي ماونتين" من تلاميذ الصفين السادس الابتدائي والأول الثانوي مجموعة من المقاييس التي ابتكرها "روبرت سيرز" ليختبر بها مختلف أنواع الاعتداء التي يقوم بها الأطفال.

وكانت أنواع العمل العدائي والعبارات التي قدمت للأطفال ليبدوا فيها آراءهم بالموافقة أو المعارضة على الوجه التالي:

صورة الاعتداء	مثال الرأي الذي أريد معرفة موافقة الأطفال عليه أو رفضهم له
١-القلق من حدوث الاعتداء	إنني أشعر بعدم الراحة إذا رأيت صديقين لي يتشاجران.
٢-الاعتداء من جانب الغير (اعتداء)	من الواجب أن أكون حريصًا عندما أحادث الناس لأنهم يغضبون سريعًا.
٣-الاعتداء قتال في صورة مخففة	إن مباراة نظيفة في كرة القدم هى من أحسن أنواع الرياضة.
٤-الاعتداء على النفس	قد تمر عليّ بعض الأحيان أشعر بغضب شديد لدرجة أن أريد قتل نفسي.
٥-اعتداء لصالح المجتمع	في كل ناد توجد مجموعة من القوانين لتنظيم العلاقة بين الأعضاء ولابد من اختيار أحد لتنفيذها

٦–اعتداء ضد المجتمع	لا أري أي خطأ في حدوث معركة بين مجموعتين من الشباب المراهق فهى مسألة تخصهم ويحسن بالكبار أن لا يتدخلوا فيها.

وبعد تنسيق هذه المقاييس قسمنا الأطفال في "روكي ماونتين" إلى مجموعات حسب مشاهدتهم للتليفزيون وإقبالهم على الوسائل المطبوعة كما سبق شرحه في الفصل السابق، وأحصينا ما حصلت عليه كل مجموعة منها من درجات في اختبار "مقاييس الاعتداء"، وهكذا توصلنا إلى معدل لكل مستوى من مستويات الاعتداء الستة لثمان مجموعات كبيرة من الأطفال (٤ مجموعات لكل من الصفين السادس الابتدائي والأول الثانوي).

الصور المختلفة للاعتداء ومجموعات الأطفال الذين اختبرنا ميولهم للاعتداء.

نوع الاعتداء	مجموعات الأطفال حسب مشاهدتهم للتليفزيون وإقبالهم على المطبوعات
القلق من الاعتداء	الذين يشاهدون التليفزيون كثيرًا ويقرأون كثيرًا
الاعتداء من جانب الغير	ذوو الاتجاه الخيالي (يشاهدون كثيرًا ويقرأون قليلًا)
العتداء المخفف	ذوو الاتجاه الواقعي (يشاهدون قليلًا ويقرأون كثيرًا)
الاعتداء على النفس	الذين يشاهدون التليفزيون قليلًا ويقرأون قليلَا
الاعتداء لصالح المجتمع	
اعتداء على المجتمع	

وكانت النتائج هامة للغاية.

لم تكن هناك فروقات ذات دلالة خاصة بين المجموعات الأربع للأطفال عند مقابلتها بأنواع الاعتداء المختلفة بالنسبة لمستوى الصف السادس الابتدائي أما بخصوص الصف الأول الثانوي فكان هناك فارقان يستحقان العناية ، فمجموعة ذوي الاتجاه الخيالي أكبر من باقي المجموعات في بند "الاعتداء على المجتمع" ومجموعة ذوي الاتجاه الواقعي كانت أقل من باقي المجموعات في "الاعتداء على المجتمع" وأكثر من باقي المجموعات في بند "القلق من الاعتداء".

وإذا اعتبرنا المستويات الاجتماعية أساسًا للمقارنة نجد أن الفوارق واضحة في الطبقات العليا من المجتمع كما هو متوقع.

فما معنى هذه النتائج ؟

إن حقيقة ارتباط المعدلات العالية للاعتداء على المجتمع بالميل نحو الخبرات الخيالية تتفق مع ما ذهبنا إليه في دراستنا ، فالأطفال الذين يشعرون بالإحباط يميلون إلى التنفيس عن مشاعرهم بطريقة تعويضية بمشاهدتهم البرامج الخيالية.

والنتائج الخاصة بالقلق من الاعتداء هى الأخرى لا تثير الدهشة ، فإحساس الإنسان بالقلق عند حدوث اعتداء على آخر وعدم موافقته على هذا الاعتداء من النتائج المتوقعة لعملية التكييف الاجتماعي، إن قواعد الأداب التي غرسها في نفوس النشء تدعو إلى النهي عن العنف

وتعلم أفراد المجتمع أن يقللوا من قيمة كثير من الأعمال العدائية ولذا فإن الذين يبحثون عن الخبرات الواقعية هم أكثر الناس قابلية للاندماج في المجتمع والتكيف معه ، وما معنى الحقيقة التي تشير إلى أنه لا توجد فوارق هامة بين أطفال الصف السادس الابتدائي بينما هناك فوارق ملحوظة بين تلاميذ الصف الأول الثانوي ؟

كما أوضحنا في الفصل السابق تبدأ الفوارق الخاصة باستعمال الأطفال للتليفزيون في الظهور بعد الصف السادس الابتدائي وقد رأينا إن كثيرًا من أطفال الصف السادس ذوي الذكاء المرتفع استمروا على مشاهدتهم للتليفزيون مدة طويلة ولكن بالمقارنة وجدنا أن قليلًا من هؤلاء يظلون هكذا في الصف الأول الثانوي. كما أن أثر الطابع العام للطبقة المتوسطة تكون فاعليته على أطفال الصف السادس عندما يشاهدون التليفزيون أقل منها على أطفال الصف الأول الثانوي كما اتضح من حجم المجموعة ذات الاتجاه الواقعي.

ونتيجة لذلك يجب أن نتوقع فروقًا من هذا القبيل عند دراسة الأعمال العدائية بين الأطفال في الصف الأول الثانوي.

بالإضافة إلى هذا يحتمل أن تكون المشاكل الاجتماعية وما يترتب عليها من شعور بالاحباط أكثر حدة في الصف الأول الثانوي منها في الصف السادس الابتدائي ففي هذه المرحلة تبدأ العلاقات بين الشباب استعدادًا للزواج وتبدأ المنافسات في المجالات الاجتماعية ومجالات العلم، وتكون حاجة الفرد كبيرة للتأهب نحو حياة الكبار.وإن عدم وجود فوارق

واضحة بين تلاميذ الصف الأول الثانوي في مدينتي (تليتاون وراديو تاون) في مقاييس "أعمال الاعتداء" تنفي احتمال ارتفاع معدلات الاعتداء نتيجة لكثرة مشاهدة الأطفال للتليفزيون.

ويمكن أن نلم بمعلومات أكثر من الأعمال العدائية عند الأطفال إذا درسنا إحدى المجموعات التي رأينا في الفصل السابق أنها خالفت الاتجاه العام.

ولعلنا نذكر أن من بين الأطفال المنتمين إلى أعلى المستويات الاجتماعية وجدنا ١٧% فقط في الصف السادس الابتدائي، ٨٠% في الصف الأول الثانوي من ذوي الاتجاه الخيالي بالنسبة لمشاهدتهم للتليفزيون.

وقد افترضنا أن هذه المجموعات صغيرة جدًا لأن البحث عن الخبرات الخيالية يعتبر "مروقًا" على الطابع السائد من الاتجاه للعمل وتحسين المركز وارجاء تحقيق الرغبات إلى المستقبل، ذلك الاتجاه الذي يتأثر به الأطفال.فهؤلاء الأطفال إذًا لم يعبأوا بالاتجاه العام لطبقتهم الاجتماعية ولابد أن نتوقع وجود عامل آخر يؤثر على حاجاتهم بحيث يكون له مثل هذه النتائج.

وعندما نتفحص الأرقام الدالة على الأعمال العدائية عند هذه المجموعة المخالفة للاتجاه العام نرى أنها أعلى من أرقام المجموعات الأخرى.

وأفراد هذه المجموعة أيضًا يتميزون بأنهم أقل من غيرهم شعورًا

بالقلق من الاعتداء وأقل من غيرهم ميلًا إلى ما من شأنه إصلاح نظم المجتمع وعلى العكس من ذلك أكثر من غيرهم ميلًا إلى الاعتداء على الغير، علمًا بأن العدد الضئيل الذي أجرى عليهم البحث من تلاميذ الصف الصف الأول الثانوي يجعل من الصعب اعتبار الفروق الاحصائية ذات دلالة هامة.

وعلى ذلك فمهما كان الدافع الذي يؤدي بهؤلاء الأطفال إلى عدم الاكتراث بالطابع الاجتماعي والالتجاء إلى خبرات الخيال فإنه على سبيل الاحتمال يرتبط بأعمال الاعتداء التي يرونها في التليفزيون، كما أن الدراسات التي قمنا بها قد تشير إلى أن ما يقومون به من اعتداءات هو نتيجة لما يشعرون به من إحباط اجتماعي.

وإننا لا نملك أن نقدم البيانات عن كل صور الاحباط التي يلاقيها هؤلاء الأطفال ولكننا استطعنا أن نجد قائمة ببعض الأسباب التي قد تساعدنا على التعرف على أنواع الصراع بينهم من آبائهم أو رفقائهم في السن.

لقد قدمنا إلى جميع الأطفال مجموعة من الأسئلة عن آمالهم المستقبلة في مجال التعليم، والوظيفة، وعن رأيهم في الزمن الواجب قضاؤه لاداء الواجبات المدرسية بالمنزل، وكذلك سألناهم إذا كانوا يظنون آباءهم وأقرب الناس إليهم (نظرائهم في السن) على اتفاق معهم في هذه الآراء، وهل هم أعلى أو أدنى بالنسبة لهذه الآمال المستقبلة، وبهذه الوسيلة حصلنا على ما يلي:

- رأى الطفل فيما يختص بآمال والديه نحو مستقبله إذا كانت هذه الآمال أكبر مما يراوده هو من أمل.

- رأيه في تلك الآمال إذا كانت أدنى مما يتطلع إليه الطفل.

- رأيه في آمال رفقائه إن كانت أكبر من آماله هو.

- آمال رفقاء الطفل في السن إذا كانت أقل من آمال الطفل نفسه.

في الصف السادس الابتدائي كانت الفروق قليلة نسبيًا بين المعدلات الخاصة بمجموعة الأطفال الذين خالفوا الاتجاه العام وبقية الأطفال.

وبعبارة أخرى:

إذا كان هناك صراع حقيقي بين آمال هؤلاء الأطفال وآمال آبائهم أو بين آمالهم وآمال رفقائهم في السن، فإن هذه الفروق لا تبدو واضحة بين الأطفال في ذلك الوقت، وهذا هو ما كان متوقعًا على أساس ما افترضناه في موضوع الاحباط وعلاقته بالأعمال العدائية، فإن المعدلات الدالة على الاعتداء في ذلك الصف، لم يظهر بها فروق مثل تلك الفروق بين مجموعة الأطفال الذين خالفوا الطابع العام للمجتمع وباقي مجموعات الأطفال.

ومعظم أطفال الصف السادس الابتدائي من الأسر ذات المركز الاجتماعي الكبير والذين لهم اتجاه خيالي، لم يكونوا مدفوعين إلى الهرب

من المشاكل الاجتماعية بل كانوا بالأحرى أطفالًا لم تتشرب نفوسهم الاتجاه الاجتماعي لطبقتهم ولم يتعدوا "نقطة التحول" بالنسبة لمشاهدتهم للتليفزيون.

وفي الصف الأول الثانوي توجد فروق كبيرة.

فالأطفال الذين يخالفون الاتجاه العام هم الذين يحسون أكثر من غيرهم بأن آمال آبائهم نحوهم أكبر مما يتصورون هم لأنفسهم وكذلك يختلف هؤلاء الأبطال في آمالهم عن رفقائهم في السن.

أما الحالات التي يعتبر الطفل فيها أن آمال والديه نحوه أقل مما يقدر لنفسه لا نرى هناك فوارق ملحوظة بين الذين يخالفون الطابع العام والأخرين.

من هذا نستطيع أن نقول بشيء من اليقين إن التماس الخبرات الخيالية في سنوات المراهقة يرتبط بنوع من الصراع ينشأ بين الطفل ووالديه، أو بينه وبين رفقائه من الأطفال الذين في سنه، ذلك الصراع الذي تحققنا من وجوده من اختلاف الآراء بين الطفل ووالديه وأصدقائه بالنسبة لتطلعاته المستقبلة.

ولما كان أحد الأعداد الدالة عن المجموعات المخالفة للاتجاه العام صغيرًا (٨٪ من أطفال الصف الأول الثانوي في الطبقة الاجتماعية العالية) ويجعل من العسير المضي في هذا التحليل فإنه يلزمنا أن ندرس أحد أنواع الصراع في جميع العينات بمنطقة "روكي ماونتين" حيث توجد

أعداد مناسبة من الأطفال.

الصراع بين الطفل ووالديه وأثره على سلوك الطفل تجاه الوسائل العامة:

هناك لون خاص من الصراع نريد أن ندرسه بشيء من التفصيل وهو عندما يشعر الطفل أن آمال والديه نحو أكبر مما يقدر هو نفسه وذلك اللون هو كما يبدو أعظم أنواع الصراع انتشارًا بين الأطفال، ولابد أن قراء الكتاب ومعظمهم من الآباء سوف يولونه شيئًا من الأهتمام. لذا يحسن أن ندرس عن قرب خواص وسلوك الأطفال الذين يجدون المتاعب في علاقاتهم مع آبائهم.

كما نرى من الشكل الآتي إن الصراع أكثر وضوحًا بين التلاميذ في الصف الأول الثانوي منه في الصف السادس الابتدائي، ففي الصف الأول الثانوي يكون التلميذ متأهبًا لمرحلة من الحياة يقرر فيها نوع العمل الذي سيتخصص له والتعليم العالي الذي سيختار لنفسه.

ولذا فالمشاكل في هذه المرحلة تكون أكثر بروزًا ومن المحتمل أن يكون الطفل واقعًا تحت ضغط من والديه أكبر منه في أي مرحلة أخرى.

وفي هذا الشكل نرى أن هذا النوع من الصراع أوضح عند الأطفال الذكور منه عند الفتيات وهذا هو المتوقع لأن ما يقرره المراهق بخصوص اتجاهه في التعليم والعمل يرتبط بنجاحه في الحياة وكسبه للعيش ولذا فهناك احتمال كبير لأن يكون خاضعًا لرقابة دقيقة من الوالدين، والذكاء أيضًا

يرتبط بذلك النوع من الصراع فيتكرر حدوث (الصراع) في حالة الأطفال ذوي القدرة العقلية المنخفضة فهؤلاء الأطفال هم الذين يجدون صعوبة كبرى في تحقيق الآمال العظيمة التي يكتبها الآباء نحوهم.

والآن لنرى العلاقة بين هذا النوع من الصراع وسلوك الطفل تجاه الوسائل العامة

وبعبارة أخرى إن تتبع هذا اللون من الصراع يساعدنا على التمييز بين الأطفال وسلوكهم نحو التليفزيون والمطبوعات، مما يوضح اتجاه هؤلاء الأطفال إلى الخبرات الخيالية أكثرمن اتجاههم إلى خبرات الواقع وكل الفوارق الموضحة في الشكل الآتي تعتبر ذات أهمية من الناحية الإحصائية، أما الاختلاف بين الأطفال في عدد المجلات الخفيفة والصحف التي يقرأونها وعلاقاتها بما يقوم بينهم وبين آبائهم من مشاكل فلم اختلافًا كبيرًا.

وعندما نحلل قراءة الأطفال لمختلف أنواع المجلات على اعتبار اتصالها بدرجة الصراع بين الطفل ووالديه نجد أن عدد مجلات القصص العاطفية ومجلات السينما يزداد كلما ازدادت حدة الصراع مع والديه بينما يقل إقباله على المجلات الإخبارية ومجلات التخصص والمجلات العامة، وليس هناك شك في أن الأطفال الذين يعانون هذا الصراع يتجهون إلى الخيرات الخيالية.

وكلما زادت المشاكل بين الطفل ووالديه كلما مال إلى الهرب من ميدان المشاكل ملتمسًا إرضاء نفسه والتنفيس عن متاعبه بالخبرات الخيالية

ويلاحظ أنه يفضل المتعة عن طريق الوسائل السمعية والبصرية بدلاً من القراءة.

المشاكل بين الطفل ووالديه ومعدلات الأعمال العدائية:

نعود الآن إلى المقاييس الست للأعمال العدائية لنرى كيف تتأثر بما يكون بين الوالدين والطفل من خلاف في موضوع مستقبل حياته والرسم الآتي يوضح ذلك.

مقاييس الميل للاعتداء في صوره المختلفة حسب حدة الصراع بين الطفل ووالديه.

صورة الصراع	درجات (مقاييس) الميل للاعتداء عند الأطفال حسب حدة الصراع			
	إذا لم يوجد صراع	صراع بسيط	صراع متوسط	صراع حاد
القلق من الاعتداء	١١	١٠،٧	١٠،٤	٩,٩
عداء مخفف (رياضة)	٩،٤	٩،٦	٩،٦	٩،٧
اعتداء من قبل الغير	٧،٤	٧،٤	٧،٩	٨
اعتداء لصالح الجماعة	١٠،١	٩،٨	٩،٦	٩،٦
اعتداء على	٧،٥	٧،٩	٨،٢	٧،٩

النفس				
اعتداء ضد المجتمع	٦،١	٦،٢	٧،١	٨،١

ففي خمسة من هذه المقاييس الست تبدو فروق واضحة في البيانات الاحصائية أما المقياس الوحيد الذي لا توجد به فوارق وتستحق الذكر تهو الخاص بصورة الصراع المخفف، "التنافس الرياضي".

ولكن كلما زادت حدة الصراع بين الطفل ووالديه يزداد ميله العدائي ضد المجتمع، ويزداد ميله للاعتداء على نفسه، ويزداد ميله للاعتداء على الغير ويقل ميله لاحترام قواعد تنظيم المجتمع ويقل شعوره بالقلق عند حدوث اعتداء على غيره ، وإن أشد ما بلغت النظر من الفوارق يظهر في مقياس الاعتداء على المجتمع حيث يزيد المعدل ٣٠% من أدنى درجات الصراع إلى اقصاها، وهذا يدلنا على مدى ما يحدثه الخلاف بين الطفل ووالديه من أثر في الطفل ، فكلما ازداد شعور الطفل بالصراع مع والديه فإنه يتخلص من الشعور بالقلق لحدوث إعتداء على غيره، كما أنه لا يكترث بالقواعد التي وضعت لحماية أفراد المجتمع.

ويزيد ميله للقيام بعمل عدائي ضد المجتمع إلى درجة كبيرة، وقد يتحول بعض الميل للعداء إلى نفس الطفل أو قد يقوم ببعض الأعمال العدائية ضد الآخرين فإذا لم يجد الطفل وسيلة أفضل للتغلب على هذه الميول العدائية فإنه يلتمس التنفيس عن ذلك بالاقبال على رؤية البرامج الخيالية في التليفزيون.

ألوان من الصراع ومدى حدتها:

لن ندرس هنا مختلف أنواع الصراع الذي يعانيه الطفل بالتفصيل وإنما سنهتم بحالات الصراع بين الطفل ووالديه ورفقائه في السن إذا اجتمعوا معًا.. وكما يتضح من الشكل الآتي عندما تزيد وطأة الصراع على نفس الطفل يزداد الاحتمال في اتجاهه نحو التماس الخبرات الخيالية.

فإذا كان الطفل على غير وفاق مع والديه أو رفقائه في السن فاحتمال إقباله على البرامج الخيالية يكون أكبر منه في الأحوال العادية، وإذا كان الطفل على غير اتفاق مع والديه ورفقائه في السن في وقت واحد فإن الاحتمال يزداد "يتضاعف" في أن ينضم إلى المجموعة ذات الاتجاهات الخيالية.

وبالمثل كلما ازدادت حدة الصراع في نفس الطفل نتيجة للخلاف بينه وبين والديه ورفقائه في السن كلما ازداد ميله للقيام بالأعمال العدائية ضد المجتمع وتكون الزيادة بمقدار ٤٠% عما لو كان عدم الوفاق من جانب واحد وتبلغ ٦٠% عما لو كان الطفل في حالاته العادية أي على أتم وفاق مع والديه وأصدقائه.

وقد أجرينا عددًا من الدراسات التحليلية الدقيقة لكي نتحقق من تأثر الطفل بغيره من الناس على اعتبار أن بعض العوامل ثابتة لا تتغير، ونلخص هنا بعد ما وصلنا إليه من نتائج.

فعلى أساس أن المستوى الاجتماعي ثابت نرى أنه كلما ازداد

الصراع تزداد النسبة المئوية للأطفال الذين يميلون للقيام بأعمال عدائية ضد المجتمع وتكون الزيادة في الطبقات الاجتماعية العليا أكثر منها في الطبقات الدنيا.

مع ملاحظة أن هناك أعمالًا عدائية ضد المجتمع من الطبقات الدنيا قائمة حتى مع عدم وجود الصراع المشار إليه، ولذا فليس هناك فارق نسبي كبير بين الأطفال من الطبقة الاجتماعية الأعلى والأدنى فيما يختص بالأعمال العدائية ضد المجتمع إذا كان لديهم إحساس بالصراع ضد الوالدين أو رفقائهم في السن والجدول الآتي يوضح ذلك.

	النسبة المئوية للقيام بالعداء ضد المجتمع حسب الطبقة الاجتماعية	
	طبقة اجتماعية عليا	طبقة اجتماعية دنيا
أطفال يعانون من الصراع ضد والديهم ورفقائهم في السن لدرجة كبيرة	٧٨%	٧٥%
أطفال يعانون من الصراع ضد والديهم ورفقائهم في السن لدرجة قليلة	٣٧%	٦٣%

وإذا قمنا بالمقارنة على أساس الذكاء نحصل تقريبًا على نفس النتائج.

فازدياد الشعور بالصراع يزيد من الميل للعداء ضد المجتمع في نفوس الأطفال الأذكياء، وتزداد النسبة المئوية قليلًا في حالة الأطفال الذين يمثلون أعلى مستويات الذكاء، ولكن بين الأطفال الذين يمثلون مستوى الذكاء المنخفض تكون النسبة المئوية للميل لعداء المجتمع أقرب إلى الضعف عند الأطفال الآخرين دون أن يكون هناك أي نوع من الصراع، وعلى هذا فالمنتظر ارتفاع نسبة الميل للاعتداء إذا كان صراع قائم فعلًا.

والجدول الآتي يبين ذلك:

	النسبة المئوية للأطفال شديدي الميل للاعتداء على المجتمع (حسب الذكاء)	
	نسبة ذكاء عليا	نسبة ذكاء دنيا
صراع مع الآباء ورفقاء السن بدرجة كبيرة	٥٦%	٧٦%
صراع مع الآباء ورفقاء السن بدرجة قليلة	٣١%	٥٩%

وقد يسأل إنسان:

لماذا يزداد الميل للاعتداء على المجتمع من الأطفال المنتمين للمستوى الاجتماعي الأدنى ومن ذوي الذكاء الأقل من المتوسط، حتى ولو لم يكن هناك مجال للصراع بينهم وبين والديهم أو رفقائهم في السن؟

أيكون هذا بسبب عوامل أخرى للإحباط ؟

يمكن أن نفترض أن كثيرًا من أسباب الشعور بالإحباط عند الأطفال ذوي الذكاء المنخفض تأتي من المدرسة. أما الأطفال الذين ينتمون إلى طبقة اجتماعية منخفضة فالشعور بالإحباط عندهم مرجعه إلى عوامل اقتصادية.

وفي أي من الحالين يكون سبب الإحباط هو فشل خططهم التي يرسمونها للعمل في المستقبل، وهنا نذكر أننا لم نقم إلا بدراسة صور قليلة من العلاقات الاجتماعية التي تسبب الشعور بالإحباط عند الطفل.

ويترتب على ذلك أن الميل للقيام بأعمال عدائية ضد المجتمع يزيد من إقبال الطفل على التماس الخبرات الخيالية وخاصة من التليفزيون، ومن الصعب أن نتأكد من ذلك لأنه يتطلب عمل جدول به تقسيمات كثيرة إلى درجة أن البيانات لن تكون كافية للوصول إلى نتائج يوثق بها.

وهذا هو ما وجدناه في المجموعات التي يرتفع عددها إلى درجة لا يمكن إجراء الدراسة عليها.

وأن الأثر الناتج عن معدل الصراع بين الطفل ووالديه يكمن وراءه فيما يبدو أثر آخر لمعدل الميل العدائي عند الطفل، ويشير ذلك إلى وجود عوامل أخرى للإحباط.

وإذا اعتبرنا كل العوامل الأخرى ثابتة يمكننا ان نختبر على وجه

التقريب صحة ملاحظات السيدة ماكوبي من أن الشعور بالإحباط في المنزل يدفع الأطفال المنتمين للطبقة الاجتماعية العالية إلى مشاهدة التليفزيون، ولكن يكون له أثر ضعيف على الأطفال إذا كانوا من طبقة اجتماعية أدنى، ولكنا نجد أن عدد الأطفال الموزعين في أقسام الجدول يكون صغيرًا لدرجة لا يعتمد عليها من الناحية الإحصائية.

ورغم هذا فالنتائج تدل على الاتجاه العام الذي متوقعًا تمامًا ففي الطبقات الاجتماعية العالية يزداد الإقبال على التليفزيون بازدياد الإحساس بالصراع عند الطفل بعكس ما يحدث لأطفال الطبقة الأقل حيث يقل إقبالهم نسبيًا مع وجود الصراع ، ففي المستويات الاجتماعية العالية، يكون أكثر الأطفال إقبالًا على مشاهدة التليفزيون، هم أولئك الذين يعانون من شدة الصراع مع آبائهم ورفقائهم ويشعرون في نفس الوقت بميل عدائي ضد المجتمع.

أما بالنسبة للمستويات الاجتماعية الأدنى من ذلك فأكثر الأطفال مشاهدة للتليفزيون هم مجموعة الذين يحسون إحساسًا ضعيفًا بعدم الوفاق مع آبائهم ويميلون قليلًا للعداء ضد المجتمع.

وإذًا فقد جاءت النتائج مؤيدة لما ذهبت إليه السيدة ماكوبي في افتراضاتها ،

متى يعمل التليفزيون على تخفيف الميل للاعتداء ؟

ما زلنا في هذا الفصل نتعرض لتحليل حالة بسيطة هى الشعور

النفسي للطفل عندما يذهب إلى التليفزيون ليشاهد بعض البرامج هربًا من المشاكل الاجتماعية وما تسببه له من إحساس بالجهد والإحباط.

وعلى وجه الخصوص تعرضنا لسلوك الطفل الذي يشاهد التليفزيون وهو واقع تحت تأثير الشعور بالإحباط في علاقاته مع أسرته أو رفقائه في السن، وأن ذلك ربما يؤدي إلى تكوين ميول عدائية شديدة في نفس الطفل قد لا يستطيع التخلص منها في حياته الواقعية ولذا فهو يجد في برامج التليفزيون تنفيسًا لما في نفسه من دوافع.

وقد افترضنا حدوث بعض "المضاعفات" التي تطرأ على المشكلة عندما لا تتساوى بعض العوامل الأخرى مثل السن، والذكاء والطابع الاجتماعي التي ننظر إليها جانب العلاقات الاجتماعية.

ولكننا لم نجب على هذا السؤال بالذات : هل من المحتمل أن يجد الطفل في برامج التليفزيون ما يمتص الشعور بالمرارة من نفسه وفي أي الظروف يحدث ذلك ؟

هذه هى النتيجة التي عرفها "فشياخ" في التجربة التي قام بها. لقد عرض أربع صور موضوعية على مجموعة من الأطفال بعد أن أخضع نصفهم لظروف تجريبية سببت لهم الشعور بالفشل، ثم طلب إليهم أن يدون كل منهم انطباعاته بعد رؤية الصور بأن يكتب قصة خيالية عنها، فاكتشف أن الذين ظهر عندهم الاتجاه للخبرات الخيالية كانوا من الذين لديهم ميول ضعيفة للاعتداء.

من هذا يمكن افتراض أنه في بعض الظروف "على الأقل" تعمل الخبرات الخيالية في التليفزيون على تخفيف حدة الميول العدائية.وفي البيانات التي حصلنا عليها من "راديو تاون، وتليتاون" قرائن قليلة للدلالة على أن برامج التليفزيون تخفف من الميل للاعتداء على المجتمع، لأن معدل القيام بأعمال عدائية ضد المجتمع بين أطفال الصف السادس الابتدائي في راديو تاون كان أكبر من نفس المعدل في تليتاون، وهذه النتيجة على أقل تقدير لا تعتبر سندًا للرأي بأن التليفزيون يعمل على زيادة الميل للعمل ضد المجتمع.

ومن جهة أخرى قام "سيجل" بتجربة على أطفال في سن الرابعة اتضح منها أنهم بعد رؤية فيلم ما يميلون إلى القيام بأعمال عدائية أثناء اللعب والنتائج العامة التي وصل إليها "إيمري" على أساس الأعمال العدائية على الغير قبل وبعد مشاهدة الأفلام الغربية "أفلام المغامرات" تفيد أنه لا يوجد طابع محدد للسلوك، ففي بعض الأحيان يبدو أن الميل للاعتداء يخف وأحيانًا أخرى يزداد.

كما أن "ألبرت" قام بدراسة على ٢٢٠ طفلًا بين سن الثامنة والعاشرة، وكانت المشكلة التي تعرض لها هى الأثر الذي تحدثه النهاية في الأفلام الغربية، فكان يقارن بين الخاتمة التقليدية للفيلم الغربي وخاتمة فيلم آخر أجرى عليه تعديل بحيث ينتصر البطل الشرير، ثم قارن هذين النوعين بنوع ثالث من القصص ليس لها نهاية بالمرة وإنما يترك للمشاهد أن يتخيل حل المشكلة كما يشاء وقد وجد أنه لا توجد فروق كبيرة في معدلات الميل

للاعتداء قبل مشاهدة الفيلم وبعده، بالنسبة للأفلام التقليدية التي ينتصر فيها البطل المدافع عن الخير، والأفلام التي لا تخضع لذلك الاتجاه عندما ينتصر البطل الشرير.

ولكنه وجد انخفاضًا في الميل للاعتداء بالنسبة للأطفال الذين شاهدوا الأفلام التي ليس لها نهاية محددة.

كان هناك فارق كبير بين الأطفال الذين تأثروا بالأفلام التقليدية، والآخرين الذين تأثروا بالأفلام التي لا نهاية لها فيما يختص بما يطرأ على معدلات الميل للاعتداء من تغير، حيث ظهرت زيارة كبيرة في عدد الأطفال الذين يميلون للاعتداء متأثرين بالأفلام ذات النهاية التقليدية.

وكان الفيلم الذي استعمله "البرت" في تجربته من نوع "هوبالونج كاسيدي" وهو من الأفلام الشائع عرضها في التليفزيون. وهناك أشياء كثيرة لا نعرفها عن الانطباع الذي وصفه في تلك التجربة التي قام بها ألبرت، مثلًا لا نعلم كم من الزمن تستمر الزيادة أو الانخفاض في الميل للاعتداء، وليس لدينا شك في أن مشاهدة الأطفال لهذا النوع من الأفلام لا يختلف كثيرًا عن مشاهدتهم لأغلب الأفلام التي يرونها في التليفزيون.

وبسبب عدم استكمال الدلائل يمكن افتراض أن البرامج ذات الاتجاه الخيالي يمكن أن تؤدي إلى تخفيف حدة الميل للاعتداء، وفي حالات أخرى تزيد من هذا الميل وقد تؤدي إلى تكوين بعض الدوافع السلبية أو لا يكون لها مثل هذا الأثر. وهى أيضًا قد توجه الطفل إلى حل مؤقت لمشكلة ما، وأحيانًا أخرى

قد تزيد المشكلة تعقيدًا والسؤال هنا هو:

ما هى الظروف التي تحدث فيها مشاهدة الطفل للتليفزيون هذا الأثر أو ذاك ؟

أولًا : من الواضح أن التليفزيون لا يؤدي إلى تخفيف الميل النفسي تمامًا كما أن صورة اللحم المشوي لا يقلل من شعور الجوعان بالجوع.

وكذلك لا يمكن للتليفزيون أن يخفف الشعور العاطفي للمراهق بل على العكس قد يعمل على زيادة هذا الشعور عنده.

ثانيًا : لا يحتمل أن يؤدي التليفزيون إلى تخفيف أو زيادة في الجهد النفسي ما لم يقدم للطفل برنامجًا يستهويه.

فطالما أن الطفل يشاهد البرنامج دون أن يتأثر به أو كما عبر عنه "ديسنجر" "ركميك" أنه طالما يستطيع الطفل يفصل ذاته عن حوادث القصة فإنه لن يستمد من البرنامج أية خبرة عاطفية، وإذًا فما دام الطفل لم يجرب مواقف الأعمال العدائية التي قام بها البطل في الفيلم أو شخصيته المفضلة في إحدى قصص الجريمة فلا يحتمل أن يتأثر الطفل بما يرى أم تتغير حالته النفسية.

وقد ثبت من النتائج التجريبية الأولى للدراسات التي قامت في استراليا عن أثر الأنواع المختلفة للبرامج أن شخصية البطل الشرير التي تستهوى الطفل يمكن أن تثير في نفسه القلق والإحساس بالجريمة إذا نال

المجرم جزاءه من العقاب وتكون النتيجة أنه يكبت الميل العدائي الذي يرتبط بتلك الشخصية الشريرة، ولكن ذلك لم تثبت صحته بعد، ولاشك أن الحالات تتفاوت حسب الظروف الفردية للأطفال ونوع العمل العدائي الذي يصدر عن كل منهم.. كما أن هناك افتراضًا في هذه الدراسة: أن الطفل في بعض الظروف حين تستهويه أعمال البطل في أحد الأفلام الغربية قد يتخلص من بعض الميول العدائية ويكون لديه مفهوم أكمل عن العدالة الاجتماعية.

وعلى أية حال، اتضح أن طبيعة الطفل حين تستهويه شخصية البطل في قصة ما، هى تحدث بعض الاختلاف في أثر هذه الشخصية على ما يقوم به من أعمال عدائية.

وأن ما يحدث في حالة الطفل الذي يحس بالإحباط تتوقف على شخصية البطل الذي يستهويه، وكذلك ما تعوده بالمنزل من التعبير عن ميله للعداء أو الاحتفاظ به مكبوتًا في نفسه.

ففي الحالة الأولى يحتمل أن يتخلص من الميل للاعتداء بطريقة تعويضية (غير مباشرة) حين تستهويه إحدى شخصيات التليفزيون، وفي الحالة الأخرى يكون الاحتمال أكبر في أن تزداد حدة الشعور بالإحباط في نفسه.

وأخيرًا قد يكون هناك "نقطة حرجة" يصبح بعدها من الصعب تخفيف حدة الإجهاد بطريقة تعويضية، أي أن الطفل الذي لديه ميل قليل

للاعتداء قد يجد سهولة في استماع البرامج الخيالية كصمام للأمن ينفس به "عن الضغط المكبوت" أما الطفل الذي يعاني من ميل شديد للاعتداء قد يكون غارقًا في مشاكله لدرجة أنه لا يستطيع التخلص منها.

وليس لدينا علم على وجه التحديد بتلك الظروف التي تترتب عليها هذه النتائج أو تلك فهى تحتاج إلى بحث، ولكننا نعلم أن التليفزيون لا يستطيع أن يخلص الطفل من الميول العدائية بطريقة تلقائية، ونعلم كذلك أن التليفزيون يمكنه أن يكون في نفس الطفل ميلًا للاعتداء، أو شعورًا بالأحباط، وأيضًا يستطيع تخفيف هذا الشعور.

الهرب إلى الميدان

ويحسن هنا أن نعيد إلى الأذهان النتائج التي وصل إليها "رايلي" من أن الأطفال الذين ليسوا على علاقات اجتماعية طيبة مع الأسرة واأصدقاء يميلون إلى تذكر الخبرات الخيالية واسترجاعها في أحلام اليقظة لمدة طويلة وأن النتيجة التي تترتب على مشاهدة الطفل للبرامج الخيالية في التليفزيون ليست هى تخفيف حدة الشعور بالمشاكل في عالم الواقع بقدر ما هى مجرد انتقال من عالم الواقع إلى دنيا الخيال.

فالطفل يهرب من الميدان إذا زادت عليه مشاعر الإحباط وعدم الرضا بالواقع وينتقل إلى عالم آخر ينسى فيه بعض متاعبه ويتحاشاها.. وهناك يشاهد البرامج الخيالية المليئة بالعنف بوصفها نوعًا من اللعب المثير لا على أنها وسيلة لامتصاص ميوله العدائية.. وقد يستشعر نفس الإحساس إذا هبط بدراجة على منحدر أو قفز من سلم الغطس في أحد حمامات السباحة أو أطلق احدى

القذائف النارية التي تستعمل في اللعب، فكل من هذه الأعمال تولد عند الطفل حالة شديدة من الجهد ثم لاتلبث أن تخففها بسرعة، وكل من هذه الأعمال قد تنسيه مؤقتًا ألمًا يحس به في أسنانه أو نتيجة غير مشرفة في الامتحان الفتري بالمدرسة أو شعورًا بالمرارة لاحتقار إحدى الفتيات له أو متاعب من معاملة والديه له.

وكلما استطاع الطفل أن يطيل الساعات التي يقضيها في عالم الخيال وكلما أمكنه أن يشاهد التليفزيون طويلًا، وأن يستعيد خبراته منه بعد المشاهدة كلما شغله ذلك عن المشاكل الاجتماعية التي تنغص عليه حياته.ولكن عندما يعود إلى عالم الواقع بمشاكله فلا شك أنه سيعود ثانية إلى الإحساس بالمرارة إذا كانت المشاكل مستحكمة.

وهنا أيضًا يمكن أن نجد نقطة حرجة فإذا يستطيع أن ينشغل عنه باللعب المثير وقد يستمر هذا الانشغال لمدة طويلة أو قد ينفس عن ميوله العدائية بمشاهدة أعمال العنف التي تتعرض لها الشخصيات في البرامج التليفزيونية التي يراها، وهكذا يمكنه أن ينسى متاعبه بالانصراف إلى مسائل أخرى.

أما إن كانت المشاكل جدية ومستمرة، فلا نظن أن اللعب المثير المؤقت، يستطيع أن يخفف من حدة الجهد إذا عاد الطفل إلى عالم الواقع، بل على العكس سيجد الطفل نفسه منساقًا إلى مواصلة الحياة في خبراته الخيالية وأحلام اليقظة حتى يؤجل التفكير في مشاكله وهذا الخلط بين عالمي الخيال والواقع ليس الوسيلة التي ينصح بها لعلاج مشاكل الطفل.

الفصل الثامن

التليفزيون وتأثيره الايجابي والسلبي

لا يمكننا أن نفهم الرابطة بين الطفل والصورة التي يراها في التليفزيون إلا إذا تعرفنا على خصائص كل منها، ومن هنا يلزمنا أن نضيف بعض الشيء إلى ما قلناه في طبيعة التليفزيون وطبيعة الطفل.

الطابع العام لما يحدثه التليفزيون في الطفل من أثر:

إن من خواص التليفزيون المميزة أن له قدرة كبيرة تجذب الانتباه وتدعو إلى الاستغراق، وهذا شيء يتصل بتركيب الجهاز فهو يسيطر على العينين والأذنين معًا، ويركز انتباه المشاهد على الحركة في مساحة صغيرة وهى شاشة الجهاز، الذي يضعه الإنسان في حجرة المعيشة أو قريبًا من مائدة الطعام أو في أي مكان مناسب من البيت، والذي يشاهد برامج التليفزيون في المنزل، ليس به حاجة إلى أن يذهب إلى السينما أو المسرح ويشتري تذكرة للدخول، وإنما يستطيع وهو على مقعده بالبيت أن ينتقل ببصره وأذنيه إلى الاستديوهات والمسارح وإلى أماكن بعيدة يرى أخبارها، فالاذاعة التليفزيونية تملك جميع الامكانيات والظروف التي تستطيع بها أن تأسر انتباه المشاهد وتشجعه على الاستغراق مع البرامج.

ولكن التليفزيون في حاجة زائدة إلى المواهب والمواد الفنية الجديدة،

فهناك ثلاث شبكات للإذاعة التليفزيونية في الولايات المتحدة عليها أن تذيع ساعات طويلة كل أسبوع، ومحطات التليفزيون الكثيرة تذيع طوال ست عشرة ساعة يوميًا.

يضاف إلى هذا أن هذه البرامج لابد أن تعتمد في التمويل على أصحاب الاعلانات التجارية – فيما عدا المحطات التعليمية ، فهؤلاء المعلنون يدفعون قيمة الاعلان نيابة عن الجماهير الذين يبيعونهم بضائعهم ويقدمون لهم خدماتهم.

يترتب على ذلك أن يكون البرنامج الناجح في التليفزيون التجاري هو أولًا وقبل كل شيء ذلك البرنامج الذي يجتذب جمهورًا كبيرًا.

ومن نتائج هذا أيضًا أن المحطات وشبكات الاذاعة التليفزيونية لا نستطيع أن تخاطر بتجارب على البرامج إلا في حدود ضيقة من أجل امتاع الجماهير.

إن محطات التليفزيون التجارية تميل إلى تكرار اذاعة ما يثبت نجاحه بدلًا من البرامج الجديدة ، مثال ذلك عندما نجح برنامج مسابقات الأسئلة الذي كانت جائزته ٦٤ دولارًا تطور بالتدريج حتى أصبحت الجائزة ٦٤ ألف دولار ثم تضاعف النجاح حتى أصبح في امكان المنافس الناجح أن يكسب ربع مليون دولار، وكما رأينا زاد اهتمام منظمي هذه البرامج وأصبح من اللازم كي ينتصروا في معركة المنافسة لاجتذاب الجماهير أن بعيدوا صياغة الأسئلة وأن يعملوا المتنافسين تأدية أدوارهم كأنهم ممثلون.

وليس معنى هذا أن التليفزيون التجاري لا يستطيع في كثير من الأحيان أن يقدم بعد تجربة التجربة برامج خاصة للجماهير وإنما الاتجاه العام للتليفزيون – على أساس الاعتماد على الاعلان – أن لايترك الأمور للصدفة وألا يجرب ما هو جديد، وألا يقدم من البرامج إلا ما ينتظر أن ينال إعجاب عدد كبير من الجمهور، وبالتالي يقدم التليفزيون البرامج التي ثبتت فاعليتها.

ومما يساعد على تأكيد هذا الاتجاه أن المواهب أصبحت نادرة فلا يوجد الآن مواهب جديدة خلافة تستطيع أن يبتكر من البرامج الجديدة ما يكفي لشغل الساعات الطويلة التي يذيعها التليفزيون.

قبل ظهور الراديو كان الممثل الكوميدي – على مسرح يستعمل فن المكياج دون تغيير – مدة سنوات متتالية، فلما ظهر الراديو لم يحدث تغيير كبير على مظهر الممثل وأصبح التعديل المطلوب بسيطًا، لأن مستمع الراديو يمكنه تخيل الشيء الكثير أما في التليفزيون فإن تغيير المناظر لا يستتبع مؤاثرات صوتية جديدة فقط إنما يتطلب إعداد استديو كامل بمعدات المناظر والأزياء اللازمة، لأن الممثل يقف أمام الجمهور ولا يستطيع أن يخفي عنهم شيئًا ..

وفي أيام التمثيل المسرحي كان الممثل يواجه جمهورًا جديدًا كل ليلة، أما في الراديو فكان الجمهور لا يتغير في ليلة عن أخرى ولكن جمهور الراديو له حرية تخيل التفاصيل.

وفي التليفزيون لا يستعمل الممثل فن المكياج إلا مرة واحدة، ولابد أن يقدم المنظر كاملًا للمشاهدين.

فالتليفزيون التجاري إذًا وسيلة من طبيعتها أن تكون جذابة ولكن تبعًا لخضوعها إلى جهاز بشرى ينظمها تضطر إلى إعادة إذاعة البرامج ذات الموضوعات الخفيفة والتي تكاد تكون من نفس النوع.

وقوة الجاذبية في التليفزيون تمكنه من أن يشغل معظم وقت الفراغ عند الناس ولكن الجهاز البشري الذي يتولى الإشراف على الإذاعة التليفزيونية يميل إلى التحفظ والحرص فيما يختص بتجديد البرامج وتغييرها.

وفي الواقع أن أعظم ما يقال عن الأثر الاجتماعي للتليفزيون أنه لا يحدث أي أثر ، وقد قام "بول لازارفيلد" و "روبرت ميرتون" "ببحث جاءا فيه بالدليل المقنع تأييدًا للرأي الذي يقول بأن الوسائل العامة بطبيعتها لابد أن تحافظ على الوضع القائم فيما يختص بالمجتمع والذوق السائد فيه، فهذه الوسائل تستثمر رءوس أموال ضخمة وهى ممرضة للخسائر إذا حدث تغيير كبير على أذواق البرامج المقدمة أو مستوياتها.

لقد أصبحت محطات الإذاعة التليفزيونية بمثابة أعمال تجارية واسعة النطاق فلا عجب أن المسئولين عنها يميلون إلى المحافظة على طابعها واتجاهها العام.. إنهم يواجهون مطالب كثيرة للمتعة والترويح أكبر مما يستطيعون تلبيته ، ولذلك فإن أكثر الإذاعات والبرامج تتكرر، ولما كان رصيد البرامج الجديدة غير كاف فإن المشرفين على الإذاعة يعارضون

إحداث تغيير في البرامج التي ثبت نجاحها، أي أنهم لا يجرؤون على اتباع سياسة من شأنها إبعاد قطاعات الجماهير عنهم، وهكذا لا يقومون إلا بالتغييرات غير الأساسية، وكل جهودهم وطاقاتهم تتجه إلى المحافظة على الأوضاع الراهنة عدم التشجيع على التغيير.

والنفوذ الذي يدعو إلى روح المحافظة ويقف في وجه التغيير هو بالطبع نفوذ له أهمية ومصدره الجهات الإدارية وفي هذا إشارة إلى حقيقة هامة هي:

إن الانطباعات التي تحدث نتيجة للتليفزيون يحتمل أن تكون على المدى الطويل، فهى انطباعات بطيئة تترك آثارها على القيم والوعي، وعلى استجابة المشاهد للبرامج المختلفة، ثم على الثقافة وكذلك على السلوك الفردي وكل هذه من الصعب التحقق منها عن طريق البحث القصير المدى، بل من الصعب دراستها على الإطلاق، لأنها تكون نتيجة لاتحاد قوي ومؤثرات مختلفة.

البرامج التي يقدمها التليفزيون للطفل:

ولكي يكون البحث دقيقًا، وأقرب إلى الواقع بقدر الإمكان بالنسبة لمحتوى البرامج التليفزيونية قمنا بمتابعة وتحليل البرامج التليفزيونية المختلفة خلال أسبوع من أواخر أكتوبر ١٩٦٠ وسوف نلخص هنا البرامج التي عرضتها المحطات المختلفة بين الساعة ٤.٩ مساء فيما بين يومي الاثنين والجمعة وهذه هى الفترة المخصصة لاذاعات الأطفال، والجدول الآتي يبين

البرامج المختلفة المذاعة في تلك الفترة.

في أحد أيام الأربعاء من أكتوبر ١٩٦٠ بإحدى مدن الولايات المتحدة.

الساعة	محطات تجارية				محطة تعليمية هـ
	أ	ب	جـ	د	
٤ مساء	فيلم عن الجريمة صور متحركة	استعراض للرقص	استعراض رقص	صور متحركة	.... لورد،وتتجومري قائد معركة المعلمين
٥ مساء	صور متحركة وأفلام جريمة	أفلام عن الحرب	صور متحركة صور متحركة	أفلام الضرب والعنف	برامج الأطفال ألحان شعبية
٦	اخبار تمثيليات	صور متحركة	تمثيليات	تمثيليات	أفلام عن الأعمال المهنية
٧	أفلام جريمة	اخبار	اخبار أفلام غريبة	افلام غريبة افلام سياحية	موسيقى كلاسيكية

٨	أفلام غريبة	أفلام عن الجريمة	تمثيليات	أفلام عن الجريمة	دروس على المسجل موسيقى كلاسيكية
٩	أفلام غريبة	تسجيلات	تمثيليات " "	أفلام عن الجريمة " " " " " "	حديث عن القومية الإفريقية

ملحوظة:

وهناك أيضًا برامج كثيرة للأطفال يشاهدونها في يومي السبت والأحد ففي السبت يرون مزيدًا من البرامج الرياضية (مباريات الموسم في كرة القدم والسلة والجولف والبولنج، وفيما عدا ذلك فباقي البرامج هى نفس برامج الأيام الأخرى، وفي يوم الأحد يرون برامج منوعة، وفي الساعات التي تخلو من البرامج المفضلة يمكن مشاهدة المؤتمرات الصحفية أو برامج الشئون العامة ولكن عدد من يشاهدها من الأطفال صغير.

الطفل والأثر الذي يحدثه التليفزيون:

لقد تحدثنا عن التليفزيون بعض الشيء ، فماذا عن الطفل ؟

الطفل كائن حي في مرحلة التعلم ليكون إنسانًا، فهو اذًا مخلوق

بشري صغير يتدرب اجتماعيًا على يد من هم أكبر منه حتى يأخذ مكانه اللائق في المجتمع، فالطفل في بداية حياته يكون كالصفحة البيضاء، ويتلقي الخبرات المختلفة من البئية المحيطة به وتكون له قدرة ضخمة على التعلم طوال سنوات عديدة، وهذا التعلم لا يقاس في جميع الأحوال بالعمل المدرسي وفي مرحلة الطفولة يتغير الطفل أسرع مما يتغير في أية مرحلة أخرى[1] فبعد أن ينتهي من مرحلة الطفولة، يبدأ في دور المراهقة ويتعرف على الرفقاء من الجنس الآخر، ويبدأ اهتمامه بالمهنة التي سيتخصص لها.

والمراهقة مرحلة تتميز بتقلب الأحاسيس والمشاعر، فالمراهق قد يشعر بالاحتقار نحو الجنس الآخر وأحيانًا يحس بالحنين والحب كأنه عاشق وخلال هذا الدور يمر بخبرات اجتماعية عنيفة قاسية على نفسه، فقد يستولى عليه الشعور بعدم الأمن أوالطمأنينة، فهو يخضع لللنظام داخل أسرته ولكن نفس تمتلئ بالثورة على هذا النظام عندما يكون بين الجماعة من رفقائه في السن، هذا الإنسان الذي كان في الشهور الأولى من حياته ملتقى الاهتمام من أفراد أسرته يجد نفسه وهو على أبواب سن النضج في مركز مختلف يفرض عليه أن يبحث له عن مكان في المجتمع الكبير – حيث لا يكون في مركز الاهتمام – وحيث يتحتم عليه أن يشق طريقه فيه.

والطفل في هذه المرحلة يصعب التعامل معه، ولنذكر ما جاء في وصف "إدجار فريدنبرج" عن المراهقة ، إن المراهقين في أحسن أحوالهم لا

---

[1] – من حيث النمو الجسماني والنضوج الفكري والاجتماعي.

يمكن أن نصفهم باللطف إذ لا ينتظر منهم إلا الخشونة والعنف والعاطفية، وليونة الزئبق وتقلب الأهواء وصعوبة التفاهم.وقد نجد المراهق متمسكًا بالاستقامة والأمانة إلى حد يثير الغضب أو سريع الاستجابة كالنمر المتحفز ومع ذلك فمن السهل خداعه إذا اعتمدت على حسن النية أكثر من اعتمادك على الذكاء والعاطفة وبوجه عام إن عصرنا الحديث ينظر إلى جيل المراهقين في جوف"[١] .

فالطفل على هذا الأساس مخلوق في حاجة إلى من يعينه ويأخذ بيده حتى يسير على الطريق السوي، ولكنك لا تستطيع أن تدفعه بالقوة ليسير على الطريق وهو في حاجة إلى يعرف الحقيقة ويود لو أتيحت له الفرص ليكشف عما في نفسه من مخاوف وشكوك ويصحح ما في عقله من مفاهيم وأفكار لم تنضج بعد.

ويريد المراهق أن يحس بانتمائه إلى المجتمع الذي يعيش فيه وبأن أفراد هذا المجتمع يقدرونه وهو أيضًا في حالة إلى أن تواسيه وتعطف عليه كلما لقى المكاره والمتاعب ممن حوله.

غير أن الطفل عندما يقصد إلى التليفزيون ليشهد فيه بعض البرامج إشباعًا لبعض ما في نفسه من هذه الحاجات، لا يكون ساذجًا أو جاهلًا بأية حال، فقد مرت به مع الأسرة مراحل تعليمية متواصلة تركت في نفسه انطباعات عميقة، وإذا وصل إلى السن التي يسمح له فيها لقضاء وقت

---

[١] – في مجتمع متطور كالمجتمع الأمريكي بسبب المراهقون مشاكل لا حصر لها للأسرة والحكومة بسبب اكتسابهم لمبادئ ومفاهيم لا تتفق مع النظم والقوانين التقليدية.

طويل خارج المنزل يكون قد وعى كثيرًا من العلم والقيم والمهارات من جماعة رفقائه في السن، ويكون قد أتم تعليمه في المدرسة وربما تعليمه الديني في الكنيسة وكذلك يكون قد اكتسب – ولو دون أن يعرف – الطابع العام لثقافة العصر وعلى العصر وعلى أساس ذلك تتشكل أعماله السلوكية والقيم التي تحدد تصرفاته.

وهكذا نرى أن هناك فوارق مميزة بين الأطفال عندما يشاهدون برامج التليفزيون، والخلاف بينهم ليس في القيم والمستويات الاجتماعية فحسب وإنما أيضًا في مدى الخبرات التي مروا بها والأسس النفسية لحاجتهم وقدراتهم، وأن ما يختارون من برامج التليفزيون وما يترتب عليه من سلوك هو بلا شك انعكاس لهذم الفروق.

لقد كلف الدكتور "فريتز ريدل" خلال بضع سنوات بالقيام بتجربة على أطفال منحرفين ومصابين بالقلق ترك لهم التليفزيون ليكون تحت تصرفهم في حجرات النوم وهو يقول في تقريره أن الأطفال العاديين كانوا يتحاشون برامج السهرة التي بها أعمال العنف المخيفة، بعكس الأطفال الآخرين ذوي المشاكل فقد كانت البرامج الجميلة التي تصور أسرًا سعيدة وعلاقات اجتماعية سليمة، تسبب لهم الأرق والأحلام المزعجة لأن هذه البرامج كانت قد كرهم بما ينقص حياتهم من استقرار.

وعلى ذلك فالبرامج التي تحدث آثارًا على غالبية الأطفال، وكانت تعذب الأطفال المنحرفين وذلك بسبب حاجاتهم والظروف الخاصة المحيطة بهم.

ففي هذه الحالة، كما في غيرها من الحالات – يتضح أن الظروف المحيطة بالطفل والحاجات التي يحس بها هى التي تقرر كيفية استعماله للتليفزيون وبالتالي النتائج المترتبة على هذا الاستعمال وليس من الضروري أن نبحث عن الفوارق بين الأطفال في مجموعة من المصابين بالقلق، فهناك فرق كبير بين طفل معادل ذكائه **١٣٥** وآخر معادله **٩٥** فيما يختص بمشاهدة برامج التليفزيون.

وكذلك هناك فارق كبير في استعمال التليفزيون بين شابين أحدهما قد اكتسب الطابع العام للطبقة المتوسطة من العمل على رفع المستوى وآخر لم يكتسب ذلك الطابع، وكما رأينا أن الطفل الذي على علاقات طيبة مع أصدقائه ورفقائه في اللعب يكون تأثره بالبرامج التليفزيونة الخيالية مخالفًا لمثيله عند طفل ليس على وفاق مع أصدقائه.

أثر التليفزيون عبارة عن تفاعل بين خواص البرامج التليفزيونية وخواص الطفل:

إن الآثار التي يحدثها التليفزيون هى إذًا تفاعل بين خواص البرامج التليفزيونية وخواص الأشخاص الذين يشاهدون هذه البرامج والسؤال الذي نسأله هنا هو:

ماهو أقل عدد يلزمنا من البرامج المختلفة وأقل عدد من المشاهدين ذوي الاتجاهات المختلفة لكي تتفهم التفاعل المشار إليه وتنبأ به قبل أن يحدث ؟

بالنسبة لبرامج التليفزيون لقد افترضنا أن أقل عدد ممكن هو الذي يعطينا نوعي المادة الفنية التي تقدم الخبرات الخيالية أو الواقعية وبعبارة أخرى الإرضاء الفوري والإرضاء المؤجل للرغبات وافترضنا كذلك أن تحليل هذين العنصرين إلى تقسيمات أدق بالنسبة لما فيها من العنف، أو لمستوياتها الفكرية، أو القيم الأدبية التي تقدمها البرامج قد يساعدنا على تفهم أكثر للأمر ولكن التقسيم الأساسي للبرامج يظل كما هو: المواد ذات الاتجاه الواقعي والمواد ذات الاتجاه الخيالي.

وعندما تحدثنا عن هذه المسائل حاولنا ألا نخلط بين المقدمة في البرامج والخبرة الممكن اكتسابها من تلك المادة، أي أن ما يكتبه المشاهد من أحد البرامج لا يقتصر على نوع واحد من الخبرة، وهذا واضح كل الوضوح.

إن مباراة في كرة القدم حين تذاع في التليفزيون قد تكون مجرد متعة وترويح لغالبية المشاهدين وفي نفس الوقت تكون خبرة واقعية بالنسبة للفريق الذي سيلعب أمام أحد فريقي المباريات المذاعة في الموسم، وإذًا فأثر البرنامج المذاع يتوقف على ما به من قيمة بالنسبة للمشاهد، وهذا افترضنا قائمة بهذه العناصر بالنسبة للأطفال وحاولنا أن نبين كيف تتفاعل مع خبرات الخيال والواقع، وهذه العناصر هى:

القدرة العقلية:

وهى التي تحدد قدرة الطفل على التعلم من التليفزيون، وعلى التفريق بين أنواع المعارف المكتسبة، وتحمسه لاكتشاف خبرات جديدة ثم قدرته ورغبته

في استعمال التليفزيون لمشاهدة برامج من أرفع المستويات بدلًا من أدناها [1] .

الاتجاهات الاجتماعية:

ويقصد بذلك مدى ما اكتسبه الطفل من اتجاهات الطبقة المتوسطة، التي منها أسرته في مجالات النشاط وتحسين مستوى الحياة وتأجيل تحقيق الرغبة وكل هذه تظهر انطباعاتها في لون ما يشاهد من برامج التليفزيون التي تزيد خبرات الواقع أو ما يقابلها في لون ما يشاهده من برامج التليفزيون التي تزيد خبرات الواقع أو ما يقابلها من برامج تغذي الخيال.

العلاقات الاجتماعية:

إن العلاقات الإجتماعية القائمة بين الطفل ووالديه، وجماعة رفقائه تنعكس على مدى ما يشاهده من البرامج ليهرب من المشاكل الناشئة عن هذه العلاقات، كما أن العلاقات المشار إليها تدلنا على مدى أهمية البرامج الخيالية في حياة الطفل اليومية.

السن:

وهنا يستعمل التسلسل الزمني للدلالة على أنواع الخبرة التي يكتسبها الطفل في المراحل المختلفة من حياته، وكانة الطفل في المجتمع وحاجاته الاجتماعية في تلك المراحل حسب الجنس الذي ينتمي إليه.

---

[1] – أرفع مستويات البرامج هى البرامج التعليمية الثقافية التي تتحدى التفكير وأدنى المستويات هى برامج الترفيه البحت.

الجنس:

ويمكن الاستدلال بالجنس على الأدوار المختلفة في الحياة التي يعد لها الأطفال والاتجاهات المختلفة التي يوجهون لها اهتمامهم.

في كل من هذه الحالات نجد أن القائمة صغيرة، وأن هناك مجالًا كبيرًا لفوارق أخرى بين الأطفال ودلالات تساعد على زيادة القدرة على التنبؤ وعمق الفهم، ولكننا وجدنا هذه الفروق الحالية ذات فائدة كافية واستطعنا بواسطتها أن نذكر تنبؤات صحيحة عن كيفية استعمال الأطفال للتليفزيون.

خواص أخرى لآثار التليفزيون:

ويمكن أن نضيف نقطتين في معرض الحديث عن هذا التفاعل.

أولًا – أن التفاعل يعتبر بديلًا من الدرجة الثانية لذلك النوع من الإشباع الذي يستطيع الطفل الحصول عليه عن طريق عن طريق علاقاته المباشرة بالأشخاص، فليس من المحتمل أن يكون شعور الطفل بالرضا عند مشاهدة التليفزيون هو نفس ما يحس به في واقع الحياة ، فالتليفزيون إلى حد كبير يعطي الطفل بديلًا من النشاط الواقعي في الحياة، فعندما نرى طفلًا يمص إصبعه ويستغرق في مشاهدة أحد برامج التليفزيون يمكن أن نفترض أن التليفزيون هنا قد حل محل ما يفقده الطفل من الحنان في علاقته بأمه وعلى سبيل الفرض أيضًا يمكن القول بأن الفتاة لا تجلس أمام التليفزيون لتستمع لأغنية عاطفية لو أن لديها موعدًا مع صديق، والطفل

الذي يشعر بالإحباط حين يشاهد التليفزيون، هو في الحقيقة يبحث عن بديل من العلاقات الاجتماعية التي يريد تحقيقها في حياته الواقعية. وهناك درجات مختلفة تبين قدرة التليفزيون على إشباع حاجات الأطفال إذ قارناه بالخبرات المستمدة من واقع الحياة.

وعلى سبيل المثال يمكن للتليفزيون أن يقوم ببعض أعباء التعليم – دون غيرها – بوسيلة أفضل من المدرس في القصر، كما أن التليفزيون قد يقدم للطفل قصة بأسلوب لايقل عما لو سمعها من شخص ما في الحياة، ولكن رغم إمكانيات التليفزيون الكبيرة لا يستطيع أن يقدم للطفل نصيحة كتلك التي يحصل عليها من واقع الحياة لأنه لا يستطيع أن يربط بين النصيحة والمشاكل الشخصية لكل طفل.والتليفزيون لا يمكنه أيضًا أن يقدم للطفل الراحة النفسية التي يشعر بها في الحياة، وبالتأكيد لا يمكنه أن يشبع الرغبات الجنسية للمراهقين.

من أجل هذا نرى أن التليفزيون بالنسبة للطفل الذي يشبع حاجاته في عالم الواقع ليس إلا مجرد بديل من إشباع بعض الرغبات التي يمكنه تحقيقها عن طريق العلاقات الشخصية الطيبة في الحياة.

أما الطفل المحروم من العلاقات العاطفية والنشاط الإيجابي والذي لا يجسد من يعتمد عليه في الحياة يمكن أن نفترض بأنه يجد في التليفزيون بديلًا مما يفتقد، يكون له قيمة كبيرة في نفسه يبحث عنه في شوق أكبر مما يفعل غيره من الأطفال، ويستمر هكذا حتى ينجح في تحقيق رغباته بين الناس بدلًا من تحقيقها في الخيال بمشاهدة برامج التليفزيون.

وهناك سبب آخر يدعونا لأن نقول أن آثار التليفزيون ليست من القوة بالدرجة التي يتصورها أكثر الناس، ونقصد بذلك أن التليفزيون يدخل ضمن مجموعة "مؤثرات" موجودة من قبل حول الطفل.

وفي الحقيقة يعتبر التليفزيون قليل الأهمية إذا قورن بهذه المؤثرات الأخرى التي تنبع من البيت الذي تربى فيه الطفل والجماعة التي يختلط بها، والمدرسة والاتجاه الديني، والثقافة بوجه عام، فلا يمكننا بأية حال، أن نشير إلى عمل سلوكي منسوف للطفل ونقول بأن يرجع إلى يرجع إلى التليفزيون فحسب، لكن التليفزيون قد يسهم في إحداث هذا العمل السلوكي أو يساعد على بلورته، أو إخراجه على صورة ما ، فمثلًا لو ارتكب طفل جريمة سرقة أو سطو وقال إنه تعلم كيف يقوم بها من التليفزيون، فحتى لو لم نبحث مبلغ ما في قوله من الحقيقة لابد بنا أولًا أن نسأل: لماذا تعلم هذا الطفل بالذات أن يرتكب الجريمة في الوقت الذي لم يحدث ذلك من غيره من الأطفال ؟

ولا يحتاج الأمر إلى تفكير عميق لندرك أن هناك قوى أخرى كثيرة ومؤثرات كانت الدافع من وراء ذلك السلوك.

إن الطفل الذي شاهد أحد برامج التليفزيون وتعلم منه كيفية ارتكاب جريمة السرقة، وقام بذلك فعلًا، هذا الطفل بلاشك يختلف عن غيره من الأطفال في خواص هامة ، وهذه الفروق تنبع من خيرات وصفات متأصلة في الطفل غير ما اكتسبه من التليفزيون.

إن من النادر أن يكون السلوك المعقد للإنسان نتيجة لأسباب بسيطة

ويحسن أن نذكر هذه الحقيقة ونحن نقرأ الصفحات التالية، والآن نعرض بعض الأسئلة الرئيسية التي يسألها الناس عن آثار التليفزيون ونحاول أن نجيب عليها هنا بقدر الاستطاعة.

الآثار الجسمانية:

من أبسط الأمور أن نجيب على الأسئلة الخاصة بالآثار الجسمانية للتليفزيون ويمكن أن نقول بأن الأثر الضار للتليفزيون على أعضاء الجسم ضئيل، وأن ما كان يراود الناس من قلق وخوف في هذا المجال قد انتهى إلى لاشيء، ومع ذلك فهناك سؤالان يتردد سماعها في أغلب الأحيان.

هل يسبب التليفزيون ضررًا لبصر الأطفال ؟

إن استمرار استعمال البصر، مع تركيزه على الصورة والحركة في حيز صغير قد يسبب إرهاقًا لأعصاب العينين، وهذا صحيح بالنسبة للقراءة ولمشاهدة التليفزيون فيحتمل حدوث الإجهاد للعين إذا كانت ظروف الرؤية غير صحية، فالضوء الباهر والضوء الضعيف، والبعد أو القرب الزائد واتخاذ وضع متعب للأعصاب، كل هذه الأسباب تؤدي إلى إجهاد العينين عند القراءة.

ويقول إخصائيو أمراض العيون أن الجلوس على مسافة قريبة جدًا من التليفزيون وتركيز البصر على الشاشة أو مشاهدة التليفزيون في حجرة مظلمة، كل هذا يزيد من حدة الضوء الذي تستقبله العين وبذلك يعرضها للإرهاق، ولاشك أن كثيرًا من الأطفال لا يراعون هذه القواعد الصحية

عند مشاهدة التليفزيون.

ولكننا لم نجد في المؤلفات العلمية ما يدل على أن تركيز العين على شاشة التليفزيون يسبب لها إجهاد أكبر مما يحدث عند التركيز في القراءة، ففي انجلترا وجدت هيلموايت وأوبنهايم وفنس (كتاب التليفزيون والطفل) أن استعمال النظارات والشكوى من إرهاق العينين لا يزداد بين الأطفال الذين يشاهدون التليفزيون عنه بين غيرهم ممن لا يشاهدونه، وكذلك لم يلاحظوا زيادة هذه الأعراض بين الذين يشاهدون التليفزيون كثيرًا عنها بين لمدة قصيرة، وكل ما توصلنا إليه من أدلة تؤيد هذه النتائج.فليس هناك أي داع للقلق أو الخوف على بصر الطفل نتيجة لمشاهدة التليفزيون ما دمنا نراعي وجود إضاءة صحية في الحجرة.

هل يذهب الطفل إلى المدرسة وهو متعب نتيجة لسهرة مع التليفزيون؟

أحيانًا يحدث ذلك، فكل المعلمين الذين تحدثنا إليهم خلال الدراسة أمكنهم تذكر بعض الحالات للأطفال بدت عليهم دلائل النعاس وعدم الانتباه كانوا ينسبونها للتليفزيون، وقالت لنا إحدى المعلمات أنها كانت تضطر إلى فتح النوافذ كل ساعة لتساعد على إنعاش الأطفال وزيادة يقظتهم، وقال آخرون إن أكثر أيامهم تعبًا هي التي تلي سهرات التليفزيون البرامج الشعبية المحبوبة حيث يضطر الأطفال للسهر معها ساعات طويلة.

ومن ناحية أخرى ليس ما يشير إلى أن معدل موعد الذهاب إلى النوم قد تأخر كثيرًا نتيجة للتليفزيون، فقد وجدنا في "تليتاون" أن معدل موعد النوم

للأطفال قد تأخر مدة ١٣ دقيقة فقط عنه في مدينة "راديو تاون"، وعلمنا من بعض الآباء أنه منذ دخول التليفزيون إلى بيوتهم تعود الأطفال النوم مباشرة بعد انتهاء مشاهدتهم التليفزيون، وكانوا من قبل يقرأون قليلًا في الفراش قبل أن يستولى عليهم النعاس.

وفي انجلترا، وجدت هيملوايت وأوبنهايم وفنس أن موعد نوم الطفل قد تأخر عن ذي قبل بمعدل ١٠ – ٢٠ دقيقة بعد استعمال التليفزيون.

وفي نيو إنجلاند وجدت السيدة ماكوبي أيضًا أن موعد نوم الأطفال في البيوت التي دخلها التليفزيون قد تأخر في الأيام العادية بمعدل ٢٥ دقيقة وفي أيام الآحاد كان معدل التأخير ١٥ دقيقة عنه في البيوت التي لم تدخلها الأجهزة التليفزيونية بعد ، فإذا كان معدل التأخير في الذهاب إلى النوم هو ما يقرب من ١٥ دقيقة في البيوت التي بها أجهزة تلفزيون عنه في البيوت التي لم تدخلها الأجهزة، تكون النتيجة أن بعض الأطفال الذين يشاهدون التليفزيون ينامون في موعد متأخر عن المعتاد من نصف ساعة إلى ساعة عن نظرائهم ممن لا يشاهدون التليفزيون.

ويتضح من دراسة الموضوع في انجلترا "كتاب هيموايت وأوبنهايم" أن الأطفال الذين يسهرون مع التليفزيون هو عادة الذين لا يستطيعون مقاومة الإغراء وهم من حيث الذكاء أقل من المتوسط كما أنهم غير متقدمين في أعمالهم المدرسية.

وفي دراسات أخرى "مؤلف كلارك عن التليفزيون" توجد دلائل تشير إلى أن التأخر في الذهاب إلى النوم ظاهرة بين الأطفال الذين يشعرون بضعف

سيطرة الآباء عليهم وبين ذوي الذكاء المنخفض وبين غير المتقدمين في حياتهم المدرسية ويستدل من ذلك أن التليفزيون ليس له أثر إيجابي في هذا المجال وأن من المحتمل أن تبدو على الأطفال من هذا الطراز مظاهر عدم الانتباه والتكاسل في المدرسة حتى لو لم يكن للتليفزيون دخل في الموضوع.. وهذه المشاكل تتصل اتصالًا مباشرًا بالآباء ومبلغ اهتمامهم بالرعاية الصحية لأبنائهم.

الآثار العاطفية:

إن ما يترتب على التليفزيون من الآثار العاطفية أصعب في التقدير من الآثار الجسمانية، ومع ذلك فإن تتبع الأثر العاطفي خلال فترة زمنية قصيرة أسهل على الباحث من تقصي غيره الآثار التي سنشير إليها فيما بعد.

إن مما يزعج الآباء ونقاد التليفزيون كثيرًا ازدياد عدد البرامج المخيفة التي تبلغ الإثارة فيها حدًا بعيدًا.

وطالما كان محتوى البرامج له صلة بالموضوع فإن الدليل على ذلك يعتبر قائمًا، إن كثير من البرامج التي يذيعها التليفزيون قد تسبب الخوف للأطفال الصغار، كما أن هناك درجات عالية من الإثارة في بعض البرامج، ولكن الآثار المترتبة على مثل هذه البرامج غير واضحة وعلى الأخص آثار البرامج المثيرة، فهى من النوع الذي لا يظهر إلا بعد فترت زمينة طويلة لا يمكن تقدير أهميتها إلا بالدراسة الطويلة المدى ، ولكن يستطيع الوالدان أن يقوما بدور كبير في حماية الطفل من آثار الخوف الذي تسببه برامج التليفزيون، وكذلك يمكن اعتبار الآباء والمشرفين على البرامج التليفزيونية مسئولين بالتضامن عن البرامج المخيفة والمثيرة التي يذيعها التليفزيون.

هل يخاف الأطفال عادة من برامج التليفزيون ؟

إن أعمال العنف التي تعود عليها الأطفال في الأفلام والقصص لا تخيفهم، مثال ذلك هم لا يخافون عندما يرون مناظر الصراع في أفلام الصور المتحركة أو أفلام العرائس، كما أن الأفلام العربية عادة لا تسبب لهم الخوف، لأن ما يرون فيها من أعمال تعتبر مألوفة في نظرهم ولأنهم يعرفون نتائجها سلفًا.

ولكن هناك ثلاث مواقف يحتمل كثيرًا أن تسبب الفزع للأطفال أثناء مشاهدتهم لبرامج التليفزيون وهى:

(١) إذا وجد البطل الذي يستهوي الطفل أو ينال إعجابه في موقف يتهدده بالخطر، وهذا صحيح عندما يكون الخطر من النوع الجسماني المباشر الذي يتعرض له البطل أكثر من خطر التعرض لإطلاق النار، وبسبب تعود الطفل على مشاهدة الأفلام الغربية أو لأن الرصاصة لا ترى وهى منطلقة إلى الهدف، لا يترتب على إطلاق النار إزعاج للطفل إلا إذا كان صغيرًا جدًا، ولكن إحساس الطفل يتأثر إذا رأى بطل القصة مصابًا بجرح من سكين أو رآه يسقط في فخ منصوب له، فإذا حدث ذلك لشخصية مثل "الكلب لاسي" التي يرتبط معها الطفل بمشاعر الألفة والأمن فإن الطفل يحس إحساسًا عميقًا كما قال أحد الأطفال: "عندما ظننت أن الكلب سيقع في الشر كدت أموت خوفًا عليه".

(٢) وهناك موقف آخر يفزع الطفل عندما يتذكر عندما يتذكر أحد المخاوف التي مرت به في حياته، وخاصة إذا ارتبط الموقف بالظلام والعزلة فما زال الخوف من المجهول الذي لايراه الإنسان من المواقف التي تثير في النفس البشرية أعمق الانفعالات، وهذا هو الذي تراه غالبًا في البرامج المخيفة:

حجرة معتمة، وليل حالك تدوي في ظلامه العاصفة، وشبح مخيف يهدد بالخطر يظهر على ضوء ومضة خاطفة من البرق مطلًا من النافذة، هذه هى المشاهد التي تخيف كثيرًا من الأطفال لأنها تذكرهم بحجرات نومهم في الليل وما يحسون به من خوف في الظلام، وهم يتخيلون أنفسهم في مثل تلك المواقف.

(٣) الموقف الثالث المخيف هو عندنا يكون الطفل صغير السن إلى درجة لا يحتمل معها الموقف الذي يراه، فهناك مرحلة من السن يعتبر الطفل خلالها أن ما يراه في التليفزيون حقيقة ويحدث ذلك قبل أن يستطيع فصل شخصيته عن التليفزيون، إنه لم يتعلم بعد أن حوادث القصة ستنتهي إلى نتيجة مقبولة، فالطفل خلال هذه المرحلة لا يمكنه أن يفصل نفسه عن الحوادث التي يشهدها على شاشة التليفزيون، وهذا النوع من الخوف يمكن علاجه بالرقابة والتحكم فيما ينبغي أن يراه الطفل وما لا ينبغي.

ويمكننا أن نخفف ونقلل من آثار هذه المخاوف إذا وفرنا للطفل شعورًا بالعطف والأمن بين أسرته، ويجب أن لا نشجع الطفل على

مشاهدة البرامج المخيفة في حجرة مظلمة، وأن نراعى كلما أمكن وجود أشخاص معهم ممن أكبر منه سنًا وكذلك ننصح بأن يتحدث الوالدان معه في هذه البرامج ليتعرف حقيقتها.

إن أكثر الأطفال عندما يألفون إنسانًا ويتحدثون معه بصراحة قد يبوحون له ببعض البرامج التليفزيون التي أفزعتهم، وهذه الخاصية ليست قاصرة على التليفزيون، فكثير من الأطفال شعروا بالخوف الشديد العميق على أثر رؤيتهم لفيلم مثل "أحدب نوتردام".

وهناك بعض القصص التي يقشعر لها البدن ويقف الشعر لقراءتها والفرق الوحيد بين ما يخيف في التليفزيون وما يخيف في الوسائل الأخرى، أن التليفزيون يجسم المنظر المخيف ويعطيه مظهر الواقعية فيشاهده الطفل بوضوح أكثر منه بالوسائل الأخرى، ولذا فإن المعقول أن نمنح الطفل الشعور بالأمن وأن لا نسمح له بمشاهدة البرامج المخيفة قبل أن يصل إلى السن التي تمكنه من مشاهدتها دون أن تسبب له فزعًا شديدًا.

آثار التليفزيون في مجال المعرفة:

هذا هو المجال الذي عقد الباحثون عليه أعظم آمالهم في انتظار أن يحدث التليفزيون فيه آثارًا طيبة، ولكن كثيرًا من هذه الآمال أصيبت بالخيبة والفشل فالتليفزيون لم يقدم لنا جديدًا في عالم الترويح، وفي استطاعة التليفزيون أن يكون وسيلة للتعليم ولكن لكي يتم هذا بطريقة فعالة، لابد من اتصاله بإحدى المؤسسات المسئولة عن التعليم في المجتمع،

إن التليفزيون ينجح في الترويح عن الناس أكثر مما ينجح في استثارتهم للنشاط العقلي والإيجابي، وهناك أسئلة هامة عن أثره على ذوق الأطفال ومعلوماتهم، مثال ذلك:

هل يساعد التليفزيون على تنشئة جيل معرفة من الجيل السابق؟

يحتمل أن يكون الجيل الحالي الذي يتقدم إلى مرحلة النضوج، أكثر معرفة من غيره، لأن كثيرًا من مظاهر العلم والاقتصاد والعلاقات الخارجية أصبحت ضرورية بالنسبة للمواطن الأمريكي، ولأن الناس يتحدثون الآن بصراحة أكثر من ذي قبل في الصحة العقلية والجسمانية وعن المشاكل الاجتماعية ولأن فرص التعليم المتاحة أمام الفرد أصبحت أكبر مما كانت ، ورغم كل هذا فلا يمكننا على وجه التأكيد أن ننسب للتليفزيون فضلًا كبيرًا في هذا التقدم.

لقد رأينا (في فصل ٥) أن الأطفال في أعلى مستويات الذكاء وأدناها من الذين يشاهدون التليفزيون يلتحقون بالمدرسة وعندهم حصيلة من المفردات الجديدة تعدل ما يمكن تحصيله في سنة بالنسبة لنظرائهم من الأطفال في المجتمعات التي يدخلها التليفزيون ويضاف إلى ذلك أن طول المدة في مشاهدة التليفزيون تساعد على زيادة حصيلة الطفل من المفردات.

ولكن عندما يصل الطفل إلى نهاية المرحلة الابتدائية فإن معظم أو

كل هذا السبق ينتهي ومن ذلك الوقت تزيد معلومات الطفل (الذي لديه تلفزيون) في الموضوعات المتصلة بالبرامج التي تنال إعجابه وتقل معرفته بغيرها من البرامج ومعنى هذا أن التليفزيون يعمل على تربية جيل له معرفة بالخبرات الخيالية في الترفيه والترويح عن النفس؛ وهى الوظيفة الكبرى للتليفزيون، بينما لا يهتم بإعطائهم قسطًا من الخبرات الواقعية.

ومع هذا فإن الأطفال الذين يختارون بعض البرامج الواقعية أمامهم فرص واسعة للتعلم فهم يشاهدون عظماء الرجال، ويستمعون إلى النشرات الإخبارية والتعليق عليها، ويرون شخصيات هامة تجيب على أسئلة الجماهير ويشهدون الأخبار الخارجية في أماكن بعيدة ويستمعون لشرح بعض الأساتذة، ويرون كثيرًا من وسائل الإيضاح في العلوم، وأول ما نستدل به عما إذا كان التليفزيون سيسهم في خلق جيل على مستوى أعلى من المعرفة هو مدى إقبال الطفل على اختيار البرامج الواقعية والتعليمية من التليفزيون من النوع السابق ذكره.

ونحن نعلم طراز الأطفال الذين يختارون مثل هذه البرامج، فهم أكثر الأطفال ذكاءً وهم الذين يتأثرون في سلوكهم بالطابع العام لطبقتهم ألا وهو إرجاء تحقيق الرغبة، والدليل الثاني على أثر التليفزيون في مجال التعليم هو حصيلة الخبرات التي يكتسبها الطفل منه خلال فترة من الزمن، وهل هى أكثر مما كان ينتظر تحقيقه لو أنه لم يشاهد التليفزيون في مثل تلك الفترة لقد لاحظنا مثلًا أن الطفل الذكي الذي يقضي وقتًا أطول من المعدل في مشاهدة التليفزيون – ربما بسبب مشاكل اجتماعية – من

المحتمل أن يحرم نفسه من خبرات تعليمية ذات فائدة كبيرة يمكنه الحصول عليها من الكتب أو عن طريق الاتصال الشخصي.

ومن ناحية أخرى، هناك طفل دون المتوسط في الذكاء، يشاهد التليفزيون بدلًا من قضاء الوقت في قراءة المجلات أو الذهاب للسينما .. مثل هذا الطفل لو أنه يقضي مع التليفزيون وقتًا أطول من المعدل، فمن المحتمل أن يكتسب خبرة تعدل أن لم تزد على تلك التي يمكن تحصيلها بوسائل أخرى.

وعلى هذا نجيب على السؤال قائلين إن التليفزيون يساعد بعض الأطفال دون غيرهم على اكتساب معرفة تفيدهم في سن النضج، أما كيف نكتشف الطفل الذي يفيد فيتضح مما يلي:

مستوى الذكاء	مدة مشاهدة التليفزيون	
	أكثر من المعدل	أقل من المعدل
عال	أقل معرفة من نظرائهم	أكثر معرفة لو اختاروا برامج واقعية
متوسط	لا يوجد فارق كبير بينهم وبين نظرائهم	لا يوجد فارق كبير بينهم وبين نظرائهم

أدنى من المتوسط	يحتمل أن يكونوا أكثر معرفة من غيرهم	لا يوجد فارق كبير بينهم وبين نظرائهم

هل يفيد التليفزيون الطفل في أعماله الدراسية ؟

لقد اهتمت هيملوايت وأوبنهايم وفنس أكثر من أي باحث آخر في هذا المجال فتوصلت إلى أن التليفزيون لا يحقق للطفل سبقًا واضحًا في التعليم ولا هو بالعقبة التي تعطل سير دراسته، ولا نقصد بذلك استعمال التليفزيون في المدرسة وإنما نقصد التليفزيون في بيت الطفل فقد اتضح أن المشاهدين الأطفال من الصف الدراسي الواحد أقل إقبالًا على أعمالهم المدرسية من الذين لا يشاهدون التليفزيون وأن التليفزيون يعتبر عقبة أكثر منه مساعدًا بالنسبة للأطفال ذوي الذكاء فوق المتوسط، كما أن التليفزيون ليس له أثر كبير على الوقت المخصص للواجبات المدرسية التي يؤديها الطفل بالمنزل، وهذا نفس ما وجدناه في الدراسة مقارنة لتأثر الأطفال بالتليفزيون في الصفوف المختلفة.

ورغم هذا فإن المعلمين الذين صادفناهم وقالوا إن التليفزيون يحقق للطفل مزيدًا من الكسب، أو يسبب له عطلًا كبيرًا في المدرسة، هؤلاء لم يكن عددهم كبيرًا وفي مقابل حالات الكسل وعدم الانتباه (بسبب السهر مع التليفزيون) ذكر المعلمون بعض المناسبات عندما ذهب بعض الأطفال إلى المكتبة بحثًا عن كتب لمؤلف من الدرجة الأولى متأثرين بتمثيلية شاهدوها في التليفزيون، وفي مناسبات أخرى كلف المعلمون التلاميذ بمشاهدة برامج خاصة من أجل المناقشة، وفي إحدى المرات اشترك تلاميذ الصف الدراسي في مناقشة حول الندوات السياسية الوطنية وكان للموضوع قيمته الواقعية لأن الندوة كانت مذاعة على التليفزيون فعلًا.

ولكن من الذي يحقق أكبر للفائدة من التليفزيون في المدرسة؟

من المحتمل أن الأطفال الأذكياء يحققون من استعمال التليفزيون فائدة كبيرة للأطفال بطيئ الفهم.

ويذكر المعلمون كثيرًا من الأمثلة بخصوص الخبرات التي يكتسبها التلاميذ الأذكياء من التليفزيون وتكون موضوعًا للمناقشة في حجرة الدراسة.

وعلى ذلك فالنتيجة المتوقعة أن الأطفال النابهين الذين يختارون البرامج الواقعية من التليفزيون يجدون فيها عمونًا كبيرًا في الدراسة، أما الأطفال الأذكياء الذين يشاهدون كثيرًا من البرامج دون أن يختاروا منها ما يتصل بالواقع فإن التليفزيون بالنسبة لهم يكون عقبة في سبيل دراستهم لأنه يضيع عليهم فرصة اكتساب الخبرات التي تمدهم بعلم ومعرفة أكثر مما يصادفون في التليفزيون (الكتب والمجلات) أم الغالبية من الأطفال ، فالأمر بالنسبة لهم سواء فيما عدا أن التليفزيون يعطيهم صورة واضحة المعالم لما لديهم من مفاهيم حول بعض المسائل الهامة.

هل يستثير التليفزيون النشاط العقلي أو الخلاق عند الطفل ؟

يحتمل أن تكون فاعلية التليفزيون في استثارة اهتمام الطفل بمعارف جديدة، وفي زيادة اهتمامه بما هو موجود فعلًا، أكبر منها في استثارة الطفل نحو القيام بنشاط ما أو عمل خلاق.. هناك حالات ثبت منها أن التليفزيون يستثير الأطفال لقراءة الكتب التي لها علاقة واتصال ببعض

البرامج وهناك حالات قليلة كما حدث عندما عرضت إحدى محطات سان فرانسسكو التعليمية برنامجًا في التصوير الزيتي لأحد الرسامين اليابانيين فإن الآلاف من المشاهدين في سان فرانسسكو بدأوا يرسمون معه ولكن هيملوايت أشارت إلى حالات قليلة لأطفال قاموا بأداء بعض الأعمال الفنية، كما شاهدوها في التليفزيون.

وان النشاط الذي يقوم به الطفل متأثرًا بما يراه في التليفزيون يكون إما من نوع الأفكار الطارئة أو يكون زيادة تفصيلات عن أشياء كانت موضع الاهتمام من قبل، مثال ذلك أن الطفل قد يقلد أحد لاعبي البيس بول في وقفته منتظرًا الكرة عندما يرى ذلك في المباراة النهائية على شاشة التليفزيون، وكذلك قد يقتبس زوجان فكرة عمل مدفأة في منزلهما كتلك التي شاهداها من مناظر إحدى تمثيليات التليفزيون.

وفي رأينا أن التليفزيون لكي تكون له فاعليته في استثارة النشاط العقلي أو الخلاق أو حتى في زيادة الاهتمام بالتعليم لابد للمشرفين عليه أن يكونوا على اتصال بهيئة أو أكثر من الهيئات الاجتماعية التي لها صلة بمثل هذا النوع من النشاط، ونقصد بذلك المدارس، والهيئات التعليمية ومؤسسات رعاية الأطفال والمكتبات وجمعيات الهواة إلى غير ذلك.

وبعض البرامج المختارة من التليفزيون يمكن أن تصبح موضوعًا لمناقشة في جمعية نشاط مدرسي، كما أن التمثيليات المسلسلة تصلح لأن تكون نواة لنشاط جمعية التمثيل في أحد النوادي أو في المدرسة الثانوية وكذلك إذاعة بعض البرامج الجامعية في التليفزيون قد يعيد إلى أحد

المشاهدين ذكرياته وخبراته الجامعية، وما لم يكن هناك صلة بين المشاهدين والبرامج المذاع فالنتيجة لن تعدو أن تكون مجرد استفادة عريضة مؤقتة من خبرة جاءت في التليفزيون.

هل يهبط التليفزيون بذوق الأطفال ؟

ليس لدينا براهين قوية للدلالة على أن مستوى الذوق العام قد هبط في السنوات العشر الأخيرة نتيجة لازدياد استعمال الوسائل الشعبية في الترفيه.

وقد أشار "بول" إلى ذلك قائلًا: "إن ما حدث فعلًا هو إفساح المجال لاستعمال الوسائل العامة بدلًا من الهبوط بمستوى الثقافة".

لقد ازداد عدد الناس الذين تذوقوا الموسيقى الكلاسيكية، وبدأوا يهتمون بالمتاحف والمسائل الثقافية، ولم تكن الزيادة في المواد الثقافية ذات المستوى الذي كان عليه من قبل، وكل ما حدث هو زيادة إقبال الجماهير على برامج منوعة الترفيه وخاصة بالنسبة للذين لم يعرفوا قط استعمال الوسائل العامة للترويح، كما أن المواد الثقافية الرفيعة لها نصيب في الزيادة التي حدثت.

وبقدر ما يعمل التليفزيون على تنمية أذواق الأطفال، يمكن أن نفترض بأنه يدعم نوع الذوق الذي يكتسبه الطفل أثناء المشاهدة، فإذا كانت البرامج منوعة بحيث تكفي احتياجات الذوق في مستوياته المختلفة، وبحيث تعطي الطفل مجالًا كبيرًا للاختيار، فلن يكون هناك مدعاة للقلق

ولكن ليس هناك اختلاف كبير بين برامج التليفزيون بعضها وبعض كما أنها معدة على مستوى تتقبله الغالبية الكبرى من الجماهير.

ففي هذه الحال، هل يعمل التليفزيون بمرور الزمن على تشكيل أذواق الأطفال حسب مستوى البرامج التي يعرضها ؟

لقد أشرنا إلى ما وجدته هيملوايت وزملاؤها في انجلترا من أن الأطفال يعجبون بالبرنامج الواحد ويتعادون عليه إذا لم يكن هناك غيره، رغم أنهم لو خيروا – في مناسبة أخرى – بينه وبين غيره لما اختاروا هذا البرنامج أبدًا، وهذا يؤيد ما وصلنا إليه في بحثنا من أن الأطفال لا يستطيعون تقديم اقتراحات عن التعديلات التي يرون إجراءها على البرامج، وإنما من رأيهم أن تزداد أنواع البرامج الحالية التي تعجبهم.

فإن كان التليفزيون يكرر إذاعة برامجه التي بها يشكل أذواق الأطفال فذلك بلاشك سيزعج الذين راودتهم آمال كبيرة في أن يرتفع مستوى التليفزيون عن الأوضاع الحالية، وأن المجال الذي يستطيع التليفزيون أن يسهم فيه بنصيف في الخبرات الواقعية والمعارف التي تتصل بالفنون الجميلة، أكبر بكثير من الامكانيات الراهنة.

ولا نريد بذلك أن نلوم المسئولين عن الإذاعة التليفزيونية فكثير منهم لديهم آمال واسعة عن التليفزيون، وإذا كان لابد من النقد أو اللوم فهو يقع على حاجة التليفزيون الكبيرة إلى المواهب والمادة الفنية وتكاليفها الباهظة وما تحتاجه من سند مادي عن طريق الإعلام، وهذا بالتالي يتطلب

جماهير كثيرة العدد.. وهذا الموقف يؤدي بنا إلى البحث في مشكلة تنمية أذواق الأطفال عند لمشاهدة وكيف يتم ذلك ويلفت أنظار الآباء والمربين والمفكرين إلى توجيه الأطفال لاختيار ما يناسبهم من مختلف ألوان البرامج في التليفزيون.

هل يعرض التليفزيون على الطفل صورة غير صحيحة عن حياة الكبار؟

إن نظرة الطفل إلى عالم الكبار محدودة إلى درجة كبيرة ، فالطفل يعرف والديه بوصفهما أبًا وأمًا لا باعتبار أنهما زوج وزوجة، ويعرف معنى الحكومة والسلطة في شخص رجل البوليس بزيه المميز، ولا يعرف عن الجريمة أيًا كان نوعها إلا القليل وليس له إلا دراية بسيطة بالأعمال التي يكسب الإنسان منها عيشه.

وليس لدينا شك بعد أن تحدثنا مع العدد الكبير من الأطفال الذين صادفناهم طوال السنوات الثلاثة للبحث أن معرفة الطفل الضئيلة عن حياة الكبار نعتبر أحد الموضوعات الرئيسية التي يناقشها المهتمون بالتعلم العرضي من التليفزيون وعلى شاشة التليفزيون يرى الطفل بعض النواحي الجنسية في الزواج ومشاكل العلاقات الشخصية بين الأم والأب مما لا يتاح له رؤيته بالمنزل ويكتسب بعض الخبرة عن اللصوص والمخبرين السريين والجرائم العنيفة، والعقاب الذي يناله المجرم، كل هذا يتعتبر معرفة جديدة بالنسبة له، ومن سن مبكرة يبدأ الطفل عن طريق التليفزيون في التعرف على جوانب من حياة الكبار كانت مقفلة أمامه إلى حين، والطفل يستوعب هذه المعرفة ويختزنها والسؤال الذي يخطر بالبال الآن هو:

هل يحصل الطفل على صورة صحيحة متزنة من حياة الكبار؟

ليس هناك شك في أن الصور التي يراها الطفل على شاشة التليفزيون تتضمن عناصر شتى، فالنساء من ذوات الجاذبية الجنسية الصارخة، والقصص المليئة بالأعمال العنيفة والتحايل على القانون لحل المشاكل القانونية، كما أن هناك ما يدعونا للاعتقاد بأن الصورة التي يعرضها التليفزيون للآباء تعتبر صورة مبالغًا فيها لأشخاص لا يمثلون الأبوة تمثيلًا صادقًا، وصور أخرى لمهن تحقق الثراء السريع، ولبعض رجال الشرطة والقضاة الذين يخونون شرف المهنة، ولسنا على استعداد لمناقشة صحة الأقوال الأخيرة فهذا يحتاج إلى تحليل بعض محتويات البرامج لنقرر ذلك، وعلى كل حال فالمشكلة تتمثل في اختيار الطفل للبرامج، وتأويله له وليست العبرة بالمدة التي يشاهد فيها مثل هذه البرامج (التي تتصل برجال الشرطة والقضاة غير الشرفاء).

إذا كانت هذه هى الحال، وإذا كان الطفل يتلقى انطباعات خاطئة وصورة غير متزنة عن حياة الكبار فمن الواضح أن ذلك لا يكون بمثابة إسهام إيجابي في عملية تكييف الطفل اجتماعيًا، وقد يحتاج الأمر فيما بعد إلى إصلاح مفاهيمه الخاطئة.

إن الصورة التي يعرضها التليفزيون لحياة الكبار لابد أن تكون موضع اهتمام المسئولين عن الإذاعة، كما أنه ينبغي على الآباء والمعلمين أن يبذلوا بعض الجهد لتصحيح الجوانب الخاطئة من الصورة حتى يتكون لدى الطفل مفهوم متزن عن حياة الكبار.

هل يساعد التليفزيون على "إنضاج" الأطفال قبل الأوان ؟

لقد أوضحنا أن جانبًا كبيرًا مما يشاهده الأطفال من برامج التليفزيون هو أصلًا من برامج الكبار ويترتب على هذا أن إطلاع الطفل على حياة الكبار تدريجيًا حسب النظام القديم قد انتهى إلى غير رجعة، ولا يفيدنا الآن أن نأسى على ما فات لأنه ذهب إلى الأبد.

وقد كتب "كلابر" كثيرًا في هذا الموضوع وأوضح أن برامج التليفزيون المخصصة للكبار، تتعلق في أكثر الأحيان وبلا استثناء بأشخاص بالغين، وفي مواقف تكتنفها المشاكل والخلافات ، وهو يفترض أن كثرة مشاهدة الطفل لهذه الألوان من برامج الكبار قد تزيد من تأثر الطفل وتسرع به إلى نوع من النضوج الاجتماعي سابق لأوانه يتميز بإحساسات الحيرة وعدم الثقة في الكبار مع اهتمام سطحي بمشاكل الكبار بل قد يصحبه شعور الطفل بعدم الرغبة في أن يصبح كبيرًا.

وجاء في كتاب هيملوايت وأوبنهايم وفنس ما يؤيد هذا هو النص:

"إن تمثيليات التليفزيون الخاصة بالكبار لم تترك للأطفال إلا مجالًا ضيقًا للشعور بالسعادة"، إن عددًا قليلًا من مشاهدي هذه التمثيليات يعتقدون أن الأمور تنتهي على ما يرام "بالنسبة للناس الطيبين"

وقالت المؤلفة "إن التليفزيون يغرس في نفس الطفل في وقت مبكر وعيًا فكريًا عن حياة مليئة بالمشاكل وزمان جائر" وقد توصلت الكاتبة إلى أن المشاهدين من المراهقين وخاصة الفتيات كانوا أكثر تخوفًا من غير

المشاهدين، من فكرة النضوج وترك المدرسة والمنزل والاشتغال بإحدى المهن ومن الزواج"

وقد أشار "روبرت شايون" إلى هذا الموضوع قائلًا: "إن التليفزيون هو أقرب طريق للدخول إلى حياة الكبار من الباب الخلفي والتليفزيون لا يهدأ أبدًا عن تقديم برامج جديدة للأطفال، حتى في أوقات اللعب والعمل ولا يعدم أية وسيلة لاجتذاب انتباهم.

وفي العبارة الأخيرة إشارة إلى ما يبدو عليه الآباء من ضعف حين ينشغلون عن مساعدة أبنائهم في مرحلة تطورهم من الطفولة إلى سن النضوج كما يقول "كلابر": "إن الوالدين في كثير من الأحيان يكونون في موقف العجز عندما يلجأ إليهما الطفل بخصوص بعض مشاهداته في التليفزيون فلا يجدهما على استعداد لمعونته أو ربما يدعوهما الأمر إلى اللجوء للكذب الأبيض، كما أن سلوك هؤلاء الكبار قد يكون مختلفًا عن سلوك الشخصيات التي رآها الطفل في برامج التليفزيون، مما يسبب له الاضطراب والحيرة".

آثار التليفزيون على السلوك ؟

نقترح هنا على القارئ أن يقلب الصفحات ويقرأ ما كتبه الدكتور "فريدمان" عن أحلام اليقظة مع شاشة التليفزيون، وهو مقال طبيب نفساني عن آثار التليفزيون [1] .

[1] – يجد القارئ هذا المقال بعد الفصل ٩ من الكتاب.

والدكتور فريدمان باحث نفساني ممتاز تخصص في دراسة الانحراف والاجرام وقد كتب هذا التعليق بما هو معروف عن العلماء من الحيطة وبعد النظر والإدراك العميق.

ولكن من أجل الذين لا يريدون قراءة المقال الأصلي، يحسن أن نلخص النقاط الرئيسية للموضوع، لقد قال بصراحة "إنه لم يتضح من أية دراسة نفسية يعتمد عليها أن أعراض الشخصية الانشطارية قد زادت بين الأطفال منذ انتشر استعمال التليفزيون، وكذلك لم يثبت بالبحث الدقيق أن هناك صلة ما، بين ارتفاع نسبة الانحراف بين الأحداث وبرامج التليفزيون أو عملية مشاهدتها".

ومع ذلك فعندما نتعرض للإجابة على أسئلة في هذا الموضوع لن تسرنا النتائج والإجابات التي نصل إليها.

ثم يبين "فريد مان" أن عملية تطور الطفل ونموه إلى مخلوق بشري ناضح، تعتبر في غاية التعقيد لدرجة أنه من غير المحتمل أن يتسبب عامل واحد مؤثر – مثل التليفزيون – في إحداث اتجاه خاص على سلوك الطفل مستقبلًا.

ويجب علينا قبل أن نتنبأ بسلوك الطفل أن نتفهم الشبكة الدقيقة من المؤثرات والصفات الشخصية لهذا الطفل، ومن الضروري أيضًا أن نعرف الشيء الكثير عن شخصية الطفل والبيئة المحيطة به قبل أن نقدر آثار التليفزيون عليه.

ويستطرد الكاتب قائلًا: "إن مدى استجابة الطفل لبرامج التليفزيون ومغزاه النفسي، هو المقابل لما يحققه من إرضاء حاجاته في مجتمع أسرته ومدرسته وأصدقائه، ويمكن التنبؤ بأن الأطفال الأقل ذكاء، والأكثر قلقًا والذين على غير وفاق مع عائلاتهم وأصدقائهم هؤلاء جميعًا يحتمل أن يستغرقوا في مشاهدة التليفزيون كنوع من الهرب أو بقصد إثارة عواطفهم، أما الأطفال الأذكياء، والمتزنين والذين على وفاق في علاقاتهم مع أسرهم فهؤلاء لا يتأثرون بمشاهدة برامج التليفزيون.

لقد كتب "فريدمان" ذلك دون أن يعلم بما وصلنا إليه من نتائج ولكن ما قاله مستندًا إلى خبرته في فحص مرضاه يتفق تمامًا مع ما وجدناه من أثر علاقات الطفل الشخصية على سلوكه عند مشاهدة التليفزيون.فالأطفال الذين هم على صلات شخصية موفقة مع الناس هم أبعد الأطفال عن التأثر بالتليفزيون، ولكن لنفرض أن هناك نقصًا في الصحة العقلية أو في العلاقات الاجتماعية للطفل: لقد وضع "فريدمان" نوعًا من المقياس للصحة العقلية والمرض وحاول أن يتنبأ كيف يتأثر الطفل ببرامج التليفزيون في كل مستوى من هذه، ولنفرض أن لدى الطفل استعدادًا لمرض نفسي، فعندئذ تكون أجهزة الرقابة على الذات وضبط النفس لديه غير سليمة فهو لايشعر بالقلق الذي يحس به السليم عندما يرى أعمال العنف وهو على استعداد للتمرد والاحتجاج، وهذا الطراز من الطفل قد يتخذ جريمة رآها في التليفزيون نموذجًا له للتعبير عن تمرده.

وإذا فرضنا أن طفلًا يشكو من مرض نفسي، فإن ميله للعمل

العدائي لا يمكن التحكم فيه، وهنا تكون أعمال العنف التي يراها على شاشة التليفزيون بمثابة "الشرارة الأخيرة" التي تولد الانفجار، ولا يحدث أن يستجيب الطفل ذو الشخصية المنفصمة إلى الشخصيات التي يراها في التليفزيون إلا في القليل النادر بل غالبًا ما يكون هذا الطفل سلبي السلوك، مستغرقًا تمامًا مع البرنامج ومع بعض الانفعالات ولكن في هدوء ودون حركة.

وقد أوضح "فريدمان" أن استجابة الطفل المريض نفسيًا لما يراه من برامج ولو أنها على جانب من الأهمية إلا أنها لا تعطي صورة عامة لهذه الظاهرة وقد قدم الدكتور "فريدمان" هذه الآراء دون أن يكون لديه أي علم بأبحاثنا ونتائجنا ولكن كل ما توصلنا إليه من استنتاجات تتفق مع النتائج العامة التي حققها، وإنا لنتعبرها آراء سليمة تصلح للرد على الاتهامات العنيفة التي تقال عن التليفزيون في كل مكان، والآن لنذكر بعض الأسئلة عن التليفزيون وأثره على بعض أنواع السلوك غير المحبوبة مثل السلبية والعنف والجريمة.

هل يجعل التليفزيون الأطفال سلبيين ؟

لقد قدم لنا الدكتور "جلين" الذي سبق لنا اقتباس بعض آرائه، فمثلًا لأثر التليفزيون على السلبية، فمن الأمثلة التي أوردها عن استعمال التليفزيون في علاج المرض النفسي:

"أن موظفي إحدى المستشفيات المخصصة لعلاج المراهقات

المريضات نفسيًا، وجدوا أن لهن مطالب كثيرة لا يمكن إجابتها ولكنهن لا يردن القيام بأي نشاط ولا يفضلن شيئًا إلا رؤية التليفزيون ساعات متواصلة، وبغير ذلك يعلو صراخهن ويبدو منهن العناد والميل للتخريب وعندئذ لا يمكن السيطرة عليهن إلا إذا كان بينهن أحد الكبار يتولى الإشراف على الترويح عنهن وتسليتهن".

ويستطرد الدكتور جلين فيقول إن هناك أمثلة لا حصر لها لمثل هذه الحالات وكلها تدل بوضوح على مجموعة الحاجات التي يشبعها التليفزيون، تلك الحاجات التي تتركز حول الرغبة في وجود شخص يمنح الطفل الرعاية والعناية ويشعره بالعطف والراحة النفسية، وهذه الرغبات التي يحس بها الطفل لا يمكن إشباعها إلا بطريقة رمزية وما أسرع ما يعمل التليفزيون على تلبيتها فيشعر الطفل وهو أمام الشاشة بحرارة العاطفة والوفاء وسرعة التلبية (من جانب التليفزيون) الذي يحقق له كل حاجاته دون مقابل، ويشجعه على أن يستسلم في سلبية تامة، كل هذا يجده الطفل في التليفزيون بالإضافة إلى متعة الخيال، وإن من يرى مثل هذا الطفل يحس بالتأثر العميق وهو يرى سلوكه هذا نحو التليفزيون واشتياقه اللاشعوري ليكون بين أحضان أمه ينعم بحنانها.

هذه إذًا هى معالم الحاجات التي يستطيع التليفزيون أن يحققها للكبار أو ينميها عند الأطفال وتتضح من الصورة ملامح السلبية والاستعداد لتقبل ما يقدم للإنسان، دون جهد، أما الإيجابية والاعتماد على النفس والسلوك العدائي فواضح جدًا أنها بعيدة كل البعد عن تفكير

الطفل.وقد يبدو من الطفل بعض مظاهر النشاط والمبادأة بالشر ولكنها تكون مظاهر خداعة لأن هذا الطراز من الأطفال عندما يطلب أو حتى يثور من أجل شيء فلا يكون ذلك بقصد القيام بعمل ما وإنما للحصول على شيء مرغوب ومن صفات هذا النوع من الشخصية عمق الإحساس بالرغبات، وعدم احتمال الفشل أو التأخير في تلبية الرغبة وطلب تحقيقها في الحال، فالتليفزيون بالنسبة للطفل المريض نفسيًا يكون بمثابة الأم الحنون، سرعان ما يستجيب للطفل ويحقق آماله.

هذه الخواص بالطبع تكون كامنة في كل عمليات المشاركة في المشاهدة سواء كان ذلك بالنسبة للرياضة أو الفن أو للقراءة، ولكن الشيء الهام الذي يتميز به التليفزيون هو أنه يلتقي مع المشاهدين في جميع مستويات السن فيشاهده الأطفال في سن مبكرة وبصورة مستمرة والأطفال في سن ٥ سنوات، ٣ سنوات وحتى الأطفال من سن السنتين يرون برامج التليفزيون وفي هذه السن الأخيرة يكون التليفزيون مجرد بديل عن الأم، وهذه الحاجات التي يحس بها الطفل تنمو وتكبر وتتطور علاقته بأمه، إن هذا النمو في الحاجات يتوقف أساسًا وإلى حد كبير على موقف الأم من الطفل وتشجيعها له على القيام بأعمال النشاط وعلى الاعتماد على النفس وأن من أعظم الأمور أهمية في تكوين شخصية الطفل أنه يستطيع في تلك السن اشباع كثير من رغباته وحاجاته عن طريق التليفزيون ، فمواصلة مشاهدة التليفزيون تجعل هذه الخواص واضحة في نفس الطفل والخطورة هنا هى أن الصفات السلبية في الطفل تتخذ صورة ثابتة.

فهناك فرق كبير جدًا بين أطفال يلعبون لعبة "عسكر ولصوص" وآخرين يشاهدون أعنف الأفلام الغربية، كما أن هناك فارقًا بين الذهاب إلى السينما، ومجرد الجلوس في المنزل وإرادة للتليفزيون للتفرج على الفيلم.

من هنا كان الأثر الرئيسي للتليفزيون أنه يساعد على السلبية والاعتماد على الغير ويكون ذلك في أشكال ومظاهر مختلفة [1].

إن هذه الآراء والمناقشات قوية في حجتها وتعتمد على الخبرات العلاجية التي صادفها إخصائي في الأمراض النفسية في عيادته وكلنا يعلم أن التليفزيون يستعمل الآن لجذب انتباه الطفل الصغير حيث يترك جالسًا أمامه يمص إصبعه وهو مستغرق في البرنامج تمامًا وكثيرون منا قد رأوا "يدمن" مشاهدة التليفزيون، وهو في الغالب طفل لا يشعر بلاستقرار في المنزل إلا إذا أدار الجهاز وعندئذ يندمج في البرنامج وينسى العالم الذي حوله. ولكننا نميل إلى الاعتقاد بأن خاصية السلبية كأثر من آثار التليفزيون أقل انتشارًا مما يقول الدكتور "جلين".

فالأطفال في المتوسط – كما رأينا – قد اقتطعوا قليلًا من الوقت المخصص لنشاطهم الإيجابي من أجل النشاط السلبي مع التليفزيون، وكما رأينا في "تليتاون" أن مدة المشاهدة كانت كالتالي:

أ – ٠،٥ ساعة من اللعب وكانت مدته قبل من ساعتين إلى ثلاث ساعات

---

[1] – إلى هنا تنتهي آراء الدكتور جلين.

ب – ساعة من الاستماع للراديو وهو نشاط سلبي.

جـ – بضع دقائق من الأفلام السينمائية والقراءة ووقت النوم، وهذه أيضًا ألوان من النشاط السلبي تتفاوت في الدرجة.

وإذن فيما عدا الأطفال الذين أدمنوا مشاهدة التليفزيون وتعودا على الجلوس أمام الجهاز ٥ ساعات أو أكثر يوميًا، لا نعتقد أن هناك تغيير كبير من سلوك الأطفال نحو السلبية.

وهناك اختلاف بين وصلنا إليه من نتائج وتلك التي ذكرها الدكتور (جلين) حين قال إنه لا توجد أعمال عدائية عند الأطفال نتيجة لما يرون في التليفزيون، لقد رأينا (في فصل ٥) أن نسبة الاعتداء مرتفعة بين الأطفال الذين يشاهدون التليفزيون كثيرًا كما أن هذه الأعمال العدائية لا تنفصل عن النشاط الإيجابي لهؤلاء الأطفال، إن الشيء الذي أثار دهشتنا هو حب النشاط المتأصل في نفس الطفل.

وقليل من الأطفال الذين صادفناهم يرضون استبدال النشاط الإيجابي بالخبرة السلبية مع التليفزيون لأنها لا تشبع رغباتهم كما يحبون، إن الإشباع التعويضي لرغبات الطفل عن طريق التليفزيون، هو بلا شك أقل – في تقديره – من الإشباع المباشر على فرض أن ذلك كان في إمكانه.

لقد جاء في بحث هيملوايت وفنس وأوبنهايم بإنجلترا أن المعلمين وجدوا الأطفال الذين يشاهدون التليفزيون يتساوون مع الذين لا يشاهدونه في القدرة على العمل التلقائي والتخيل.

وقد توصلت هيملوايت إلى أن الأطفال الذين يفضلون الخبرات التليفزيونية على خبرات الحياة الواقعية، إذا تركت لهم حرية الاختيار، ليسوا إلا عددًا ضئيلًا، ووجدت أيضًا، كما وجدنا بالمثل أن الأطفال لا يملون أبدًا مشاهدة التليفزيون، ويميلون إلى رؤية ألوان مختلفة من البرامج.

ولن نجادل الدكتور "جلين" في آرائه التي سبقت الإشارة إليها عن أثر التليفزيون على الفتيات المراهقات ذوات الشخصية المنشطرة ولا عن فاعلية التليفزيون في إعطاء الراحة النفسية والرعاية والهرب من المشاكل، ويبدو لنا بوضوح أن للتليفزيون سحرًا خطير الأثر على الطفل صاحب الشخصية المنشطرة الذي يحس برغبة في الانعزال بأية وسيلة، وقد يغذي التليفزيون فيه تلك الرغبة فتنشأ لديه عادة الانطواء والركون إلى الخيال حتى تصل إلى درجة خطيرة، ولكننا لا نرى دليلًا على أن التليفزيون يجعل الطفل العادي شخصًا انطوائيًا، أو يشجع على السلبية، إن المسألة عكس ذلك، إن التليفزيون يشجع هذه الميول إذا وجدت بدرجة خطيرة.. وكما يبدو لنا نستطيع أن نفترض أن الطفل صاحب الشخصية الإيجابية الطبيعية والذي على علاقات سليمة مع أسرته وجماعة رفقائه، لا يخشى عليه من اكتساب الشخصية السلبية متأثرًا بالتليفزيون.

كذلك يمكننا أن نفترض بأن هناك دلالات للخطر يجدر بالآباء أن يكونوا على علم بها، فإذا بدأ الطفل يقضي مدة طويلة على غير العادة مع التليفزيون فعلى الآباء أن يتأكدوا من علاقاته الشخصية مع أصدقائه، وعليهم أن يسألوا أنفسهم:

هل يمنحون الطفل ما يحتاج من العطف والأمن في حياته بالمنزل

هل يساعدون الطفل في التغلب على مشاكله مع جماعة أصدقائه

هل يعطون الطفل فرصة للتحدث معهم ؟

وإذا ظهرت على الطفل أعراض الانطوائية أو أحلام اليقظة أو كراهية للعلاقات الاجتماعية فإن على الآباء عندئذ أن يتقصوا مشاكل الطفل مع غيره من الناس، كما أن سلوك بعض الآباء قد يكون له دلالة خطيرة، وعلى سبيل المثال: الأم التي تستعمل التليفزيون كوسيلة لإسكات الطفل وجذب انتباهه عليها أن تعلم بالمخاطرة التي تأتيها، وكذلك الآباء المتهاونون في حق أبنائهم لابد أن يتوقعوا نتائج غير طيبة.

هذه الأم الخطوط التي تبين ملامح الصورة لمجال الصراع الذي يمكن حدوثه، فإذا كان الطفل يتمتع بصحة عقلية طيبة وعلى علاقات حسنة مع أسرته وأصدقائه فلا داعي لأن نقلق عليه من ناحية مشاهدته للتليفزيون أو اتجاهه للسلبية، أما إذا بدت على الطفل أعراض الانطوائية بصورة جادة فقد يكون في حاجة إلى علاج نفسي على يد متخصص.

وفيما يلي هاتين الحالتين يوجد مجال أشبه بميدان المعركة ممثلة في الطفل الذي لديه أعراض بسيطة للانطواء أو الذي يستسلم لأحلام اليقظة أو الذي يشاهد التليفزيون لفترة أطول قليلًا من المعتاد، أو قد يكون الطفل على غير وفاق في علاقاته الاجتماعية، هذا الطراز من الطفل هو الذي يحتمل أن يزيد التليفزيون من سلوكه السلبي إلى درجة غير مقبولة

قد تستدعي اللجوء إلى علاج نفسي، وكذلك من الضروري أن يوفر للطفل جو الحنان والحب في المنزل بحيث يحس أن وجوده مطلوب، وأن يفتح أمامه مجال ممارسة الهوايات وقراءة الكتب وأعمال النشاط في البيت والنشاط مع أصدقائه، فإن الطفل الذي يجد أمامه هذه المجالات لا يحتمل أبدًا أن تتولد لديه اتجاهات للسلبية الخبيثة التي قد تشل شخصيته ولا يحتمل كذلك أن يدمن مشاهدة التليفزيون أو قراءة المجلات المصورة أو الإقبال على أية خبرات خيالية أخرى.

هل يتعلم الطفل العنف مما يشاهده في التليفزيون ؟

هناك صورة أخرى لأثر من آثار التليفزيون تختلف عن تلك التي سبقنا بالكلام عنها، ولا ينبغي لنا أن نقول بأن إحدى الصورتين صحيحة والأخرى خاطئة فقد توجد الاثنتان في وقت واحد بين مختلف الأطفال.

إن تعلم الأطفال أعمال العنف من التليفزيون هو أكثر الاتهامات التي يذكرها الناس ضد التليفزيون، ولنذكر مثلًا ما كتبه "نورمان كوزنز" في إحدى المجلات [1] في ٢٤ ديسمبر ١٩٤٩.

١- في إحدى ضواحي بوسطون جاء طفل في التاسعة من عمره يعرض على والده في تردد التقرير المدرسي الخاص به وكان مليئًا بالعلامات الحمراء، واقترح الطفل على أبيه أن يتخلصا من المدرس بأن يقدما له علبة شيكولاته مسمومة بمناسبة عيد الميلاد، وقال الطفل "إن المسألة

[1] – مجلة أمريكية تحت اسم "استعراض السبت".

سهلة وقد رأيتها في التليفزيون في الأسبوع الماضي، عندما أراد رجل قتل زوجته فأعطاها بعض الحلوى المسمومة ولم يعرف من الذي فعل ذلك"

٢- وفي بوكلين بنيويورك، طلب طفل في السادسة من عمره من والده الذي يعمل شريطيًا أن يمده بطلقات رصاص حقيقية قائلًا إن أخته الصغرى لا تسقط قتيلة عندما يطلق عليها مسدسه مثل الأشخاص الذين يقتلهم "هوبالونج كاسيدي" [1] في قصته البوليسية.

٣- وفي لوس انجيلوس ضبطت إحدى الخادمات صبيًا في السابعة من عمره وهو يرش مسحوق الزجاج على طعام الأسرة ولم يكن هناك أي دافع من الحقد في نفس الطفل وإنما كان ذلك العمل مجرد تجربة أوحى بها إليه الفضول وحب الاستطلاع ليعرف هل تنجح الفكرة كما رآها في التليفزيون.

ويمكننا أن نذكر أضعاف هذه الحالات التي نجد بينها جميعًا صفات مشتركة، فالطفل في المواقف التي تصادفه في الحياة الواقعية يتصرف بمثل السلوك الذي رآه في التليفزيون، فما هى الظروف التي تجعل الطفل يفعل هذا ؟

لقد ذكرنا في فصل (٧) أن مشاهدة التليفزيون لا يترتب عليها تخفيف الدوافع العدائية عند الأطفال، لأن من المحتمل أيضًا أنها تساعد

---

[1] – هو بطل مسلسلات بوليسية، يقوم فيها بدور المأمور.

على تنمية الميل للاعتداء، إن اشباع رغبات الطفل بالطريقة التعويضية عن طريق مشاهدة التليفزيون لا تكفي لعلاج ما يصادفه من الشعور بالإحباط، أو للتخلص من المشاكل الاجتماعية ويحتمل أن تساعد المشاهد المتصلة بالجنس في التليفزيون على زيادة وطأة الشعور بالإحباط بالنسبة للطفل الذي يعاني من هذه الظاهرة، كما أن رؤية مشاهد العنف من شأنها أن تزيد الميل عند الطفل الذي لديه هذا الاستعداد والميل من قبل.

وعلى ذلك ففي بعض الحالات – وليس في كلها – قد يعطي التليفزيون الطفل فكرة عن الأداة التي ينفذ بها العمل العدائي وينمي فيه الميل والدوافع لهذا العمل.

فإذا حدث أن صادفت الطفل بعد ذلك ظروف يصل فيها ميله للاعتداء إلى الذروة فعندئذ يتذكر الطريقة التي تم بها العمل العدائي في التليفزيون قد تكون هذه صورة من صور الميل للاعتداء ولكنها ليست الوحيدة، ففي الحالتين الأخيرتين من الحالات التي ذكرها "نورمان كوزينز" نرى صورة مختلفة للاعتداء فيها نوع من الخلط بين العالم الذي يراه الطفل في التليفزيون والعالم الواقعي، أي خلط بين الحقيقة والخيال، فالطفل الذي أراد طلقات رصاص حقيقية ليقتل بها أخته كان في الواقع ينتقل بالخبرات الخيالية إلى عالم الواقع دون أن يفكر فيما بينهما من فوارق والطفل الذي أراد أن يضع مسحوق الزجاج على طعام الأسرة كان يقوم بمجرد تجربة في عالم الواقع ببعض "الأدوات" التي عرفها من عالم الخيال وقد سبق أن

ذكرنا أن الأطفال الصغار يعتبرون أن ما يرونه في التليفزيون واقعيًا إلى درجة كبيرة.

إن الخلط بين عالم الواقع وعالم الخيال يوجد إلى حد ما عند الأطفال الصغار وما دام العنف عنصرًا بارزًا في برامج الخيال التي يعرضها التليفزيون والسينما والمجلات المصورة فسيظل احتمال الخلط بين القيام بالعمل العدائي في الخيال وفي عالم الواقع – قائمًا.

وهناك مشكلة أخرى.

لماذا يتعلم الطفل القيام بالعمل العدائي من التليفزيون ؟

في بعض الأحيان يخلط الطفل بين عالمي الواقع والخيال.

لقد استجوبنا بعض أفراد عصابات الصبيان الأحداث فقالوا أنهم اعتبروا أنفسهم يقومون بأدوار مثل "روبين هود" وليس مثل عصابات كابوني أو النقابة [١].

ولكن في الغالب كان هؤلاء الأولاد في ارتكابهم إعمال العنف يقومون بها على أساس الواقع لقد كانوا يقلدون أعمال العنف التي رأوها في التليفزيون لأن طريقة تنفيذها نالت إعجابهم.

ونستطيع القول تفسيرًا لهذه الصورة من العمل العدائي أن الأطفال

---

[١] – عنوان قصص بوليسية مسلسلة يقوم أفراد العصابة فيها بأعمال عدائية أهمها القتل والضرب العنيف.

الذين يشاهدون التليفزيون وفي نفوسهم شعور بالإحباط ورغبات مكبوته للإعتداء، هؤلاء هم الذين يحتمل أن يذكروا الأعمال العدائية التي يرونها في التليفزيون، وهذا هو ما انتهت إليه إحدى الدراسات التي قامت بها السيدة ماكوبي، وهؤلاء الأطفال تستهويهم الشخصية التي تقوم بالاعتداء ويتذكرون أعمالها جيدًا.

يضاف إلى ذلك أن الطفل حين يفكر في القيام بالعمل حين يفكر في القيام بالعمل العدائي لا يعنيه من الناحية الأخلاقية إن كان العمل من قبيل الصواب أو الخطأ.

وقد قدم "برودبك" تقريرًا عن بحث خطير قام به وثبت منه أن الأطفال الذين عرض عليهم أعمال العنف في الأفلام السينمائية لم يتغير تفكيرهم من ناحية هذا السلوك الخاطئ بل برغم ذلك كانوا يتذكرون أعمال العنف عند الحاجة إليها، وربما قاموا بمثل هذه الأعمال إذا فكروا في الاعتداء.

لنفرض أن الذي ارتكب العمل العادائي لم يلق جزاءه من العقوبة فهل يترتب على ذلك أن الطفل يتذكر هذا العمل ويقوم بمثله ؟

قام "زاجونك" بدراسة على هذا فوجد أن القصص المسلسلة في الكتب المصورة لو أظهرت البطل الشرير في ظروف يكون فيها منتصرًا فإنه يستهوي الأطفال ويودون أن يكونوا مثله أكثر مما تستهويهم شخصية البطل الضعيف.

وبتعبير آخر، هل هناك نوع من السلوك له نتائج معينة بالنسبة لما له من أثر على الطفل ؟ فكما يقول زاجونك: يميل الأطفال إلى أن يكونوا مثل الشخصيات الناجحة في القصة بصرف النظر عن الوسائل التي تلجأ إليها هذه الشخصيات لعلاج مشاكلها وعلاقتها، أي بصرف النظر عما إذا كانت تصرفاتهم سليمة أو خاطئة.وقد يعني ذلك في الظاهر الاتفاق على القواعد والنظم الأساسية في برامج التليفزيون والراديو والأفلام من وجوب إظهار الجريمة على أنها عمل لا يفيد.ولكن الأمر ينطوي على أبعد من ذلك فقد ثبت من الدراسة التي قام بها "البرت" أن مبدأ "الجريمة لا تفيد" الذي تنتهي به القصة لا يمنع حدوث الاعتداء من جانب الأطفال.

ويفهم من النتائج التي انتهى إليها "زاجونك" في دراسته أن الطفل تستهويه الشخصية الشريرة الناجحة أكثر مما يستهويه البطل الضعيف، وبالتالي فإن نهاية القصة حسب المبادئ الأخلاقية لن يكون له أثر مضاد على "سحر" شخصية المجرد الشرير، وهذا هو أحد الأسباب التي دعت الضباط المسئولين عن تنفيذ القانون للاهتمام بمحتوى المادة في برامج التليفزيون، وقد قالوا إن الصورة التي يعرضها التليفزيون لرجال الشرطة تظهرهم في مواقف الحمق والارتباك وأن ألغاز أكثر الجرائم تحل بوسائل دخيلة على القانون وأن المجرمين لا يكونون في القصة بالصفة التي يعرفهم بها رجال الشرطة في واقع الحياة وإنما تكون لهم شخصيات جذابة ساحرة.

وهذا ملخص الموضوع :-

١- إن بعض الأطفال الصغار وقليلًا من الكبار يخلطون بين عالم الواقع

وعالم الخيال، ويقلدون الأعمال العدائية التي يرونها في التليفزيون في تصرفاتهم العادية في الحياة.

٢- الأطفال الذين يشاهدون التليفزيون وفي نفوسهم ميل نحو الاعتداء، يحتمل أن يتذكروا الأعمال العدائية وأن يقوموا بمثلها إذا أحسوا بميل للاعتداء.

٣- بصرف النظر عن المبادئ الأخلاقية والقيم نجد الأطفال على استعداد لتذكر العنف واستعمال أساليبه.

٤- يرغب الأطفال في أن يكونوا مثل الشخصيات "الناجحة" التي يرونها في الخيال ويميلون إلى تقليدها سواء كانت شريرة أم تعمل في جانب الخير.

هذه الأسئلة السابقة من جانب تتصل بأثر التليفزيون على الطفل ومن جانب آخر تتناول الظروف التي تحيط بالطفل حين يشاهد التليفزيون، ورغم أن هناك مزيدًا من الفرص أمام الأطفال ليتعلموا أعمال العنف من البرامج التي يشاهدونها في التليفزيون فيمكن القول بأن الأطفال الذين لا يخلطون بين الخيال والواقع، ولا يشاهدون التليفزيون وفي نفوسهم ميول عدائية والذين ليس لديهم استعدادات نفسية تجاه الجريمة، مثل هؤلاء الأطفال يكون الاحتمال ضئيلًا في اكتسابهم الميل العدائي من التليفزيون.

وبتعبير أوضح، هناك عوامل تساعد على عزل الطفل وتحصينه ضد

الأثر الضار يحدثه التليفزيون، تلك العوامل هى: الخبرات الواقعية في الحياة، وعدم الشعور بالفشل في علاقاته الاجتماعية، واستمتاعه بالصحة العقلية، وكذلك قلة استعمال العنف معه.

هل يسبب التليفزيون انعزال الطفل عن الحياة ؟

هذا السؤال قريب الشبه بالسؤال عن السلبية: قد يكون للتليفزيون نصيب في أحداث هذا السلوك لأن جانبًا كبيرًا من برامجه من النوع الخيالي، ونتيجة ذلك بالنسبة لغالبية الأطفال لا تعدو أن تكون "هروبًا" وقتيًا وركونًا إلى عالم الخيال، ثم لا يلبث الطفل أن يعود إلى مسئولياته في الحياة الواقعية، ولكن قليلًا من الأطفال قد تبدو عليهم أعراض الانطوائية بصورة تستدعى علاج الطبيب النفساني.

وهذه حالة يقدمها لنا الطبيب النفساني "جوست ميرلو" كان تشخيص العالم النفسي لحالة الفتاة أنها انفصال في الشخصية على أساس زيادة الشعور لديها بالجمود وفقدان البهجة وقلة التفكير فيما يحيط بها، وكنت أميل أول الأمر إلى الانفاق مع الخبير النفساني على هذا التشخيص، ولكن اتضح لي بالتدريج أن الفتاة تريد أن تسترسل في الحديث عندما تكلمنا عن برامج التليفزيون، وعندئذ دبت الحيوية في الفتاة، وبدا عليها الاهتمام وبدأت تخبرني برغبتها في أداء بعض أدوار في برامج التلفويون .. إلخ، واستدعى الأمر جلسات طويلة في العلاج النفسي حتى عرفت الفتاة أنها كانت تعيش في عالم كله خيال.

أما الدكتور "جلين" فقد ذكر حالة أخرى شبيهة لعازفة موسيقى وهى شابة في سن ٢٥ وكانت أمها تحبها كثيرًا، وتبذل من أجل إسعادها جهدًا كبيرًا، وعندما دب الخلاف بين الفتاة ووالديها انقطعت عن عملها المهني ولازمت جهاز التليفزيون حيث كانت تقضي عشر أو اثنتي عشرة ساعة يوميًا في مشاهدة برامجه وهى جالسة بلا حراك أمام الجهاز تشرب أقداح البيرة أو تأكل المثلجات، وتصاب بالخيبة إذا أطفئ الجهاز، وقد قالت يومًا على سبيل الفكاهة: "لا أدري ماذا أفعل لو لم يكن هذا الجهاز هنا".

وكانت تلك الفتاة ذات الإدراك العقلي السليم لا تبدي أقل اهتمام بالبرامج التي تعرض أمامها على الشاشة.

في هذه الحالة الثانية ثبت أن الفتاة تعاني من مشاكل في العلاقات الشخصية فحاولت الهرب منها إلى عالم الخيال في التليفزيون، وكانت البرامج لا تعني شيئًا بالنسبة لها ولكنها اهتمت بالهرب من واقع الحياة.

وبالمثل نفترض أن الدكتور "ميرلو" قد اكتشفت بعض المشاكل في حياة الطفلة الأولى التي كانت تسعى إلى الهرب منها.

هذه هى الصورة العامة لكل حالة: إن إدمان مشاهدة التليفزيون والانعزال عن الحياة لا تحدث إذا كانت العلاقات الشخصية للطفل عادية ومعقولة وتشبع حاجاته بعيدًا عن عالم التليفزيون.

إن كل إنسان يميل إلى الاستغراق في الخيال إلى درجة ما.والتليفزيون

يفتح أمام المشاهد مجالًا كبيرًا من الخبرة الخيالية، ويحدث هذا عند الأطفال لأن التليفزيون يشد انتباههم ويقدم لهم مشاهد على درجة كبيرة من الإثارة، فإذا كان الأطفال يعانون من الملل والضجر في الحياة أو إذا كانوا يشعرون بالإحباط في علاقتهم الشخصية فإنهم يجدون في التليفزيون إغراءً قويًا للغاية، وهنا نجد أن النتائج تنتهي إلى مثل ما توصلنا إليه عند بحث موضوع برامج التليفزيون وعلاقتها بانحراف الأطفال، فإذا منح الآباء أطفالهم الحنان والأمن في الحياة العائلية واهتموا بنشاطهم واشتراكهم مع جماعات الرفقاء في السن فلا يخشى على الأطفال أن يهربوا إلى عالم الخيال مع برامج التليفزيون.

وإن الحالتين المذكورتين هنا عن إدمان مشاهدة التليفزيون تعتبران من السلوك غير الطبيعي (الشاذ) وليس التليفزيون هو الملوم هنا، كما أننا لا نتوقع أن يحدث ذلك في البيوت التي تسير الحياة فيها سيرًا طبيعيًا.

هل يشجع التليفزيون الطفل على إدمان المشاهدة ؟

قالت السيدة "ماكوبي" في بحث لها: قد يدمن الطفل مشاهدة التليفزيون عندما يعتاد على البرامج التي تبلغ الإثارة فيها حدًا عاليًا، وينظم الطفل نشاطه اليومي على هذا المستوى من الإثارة حتى أن سلوكه يبدو مشتتًا إذا انخفضت الإثارة عن هذا المستوى، ويستولى عليه الملل والقلق إلى يقوم بعمل شيء يستعيد به مستوى الإثارة الذي تعود عليه في سلوكه.

وقد يحدث الإدمان أيضًا عندما ينسحب الطفل هربًا من مشاكله الواقعية التي تكدر حياته إلى مشاهد الخيال التي تريحه فيجد الفارق بين الحالين شاسعًا وتكون استجابته للمشاكل التي يراها في التليفزيون أقوى منها بالنسبة لمشاكله الخاصة في الحياة مما يدعو إلى زيادة الاستغراق مع برامج التليفزيون.

وفي كلتا الحالتين إذا كان الطفل قد تشبع بالطابع العام لاتجاهات الطبقة التي ينتمي إليها فقد يحس بأنه يفعل شيئًا لا ينبغي له أن يفعله ويكون ذلك بمثابة إغراء جديد على المشاهدة كما لو كانت البرامج "فاكهة محرمة" في نظره.

و لاشك أن هناك أطفالًا يدمنون مشاهدة التليفزيون من بين الذين يحسون بالقلق النفسي، ومع ذلك فليس هناك أسباب تبرر اعتقادنا أن التليفزيون نفسه هو الذي يخلق الإدمان على مشاهدته.

فالطفل الذي يدمن مشاهدة البرامج المثيرة، لا يكون عادة على صلات وثيقة بالواقع وقد لا يستطيع التفرقة بين عالم الواقع وعالم الخيال.

والطفل الذي يكثر من مشاهدة "عالم الأحلام" في التليفزيون؛ إما أن يكون طفلًا منقسم الشخصية أو يكون على غير وفاق في علاقاته الشخصية مع أفراد أسرته ومع أصدقائه ورفقاء سنه وعلى هذا فالتليفزيون في الواقع يستغل هذا الضعف في الطفل ويتشبث بميله إلى الخيال ويقويه ويشحذه، فالتليفزيون على هذا الأساس يساعد على إيجاد حالة الإدمان

عند الطفل ولكنه لا يخلقها أصلًا.

نستنتج مما سبق أن بعض الأطفال لديهم استعدادات نحو إدمان مشاهدة التليفزيون والآخرين ليس لديهم هذا الاستعداد، وقد قال الدكتور"فريد مان" الطبيب النفساني: "ان ادمان مشاهدة التليفزيون مثلها مثل أي سلوك غير مرغوب فيه هى المقابل الذي يعوض به الطفل ما يحس به من نقص في مجتمعات الأسرة والمدرسة والأصدقاء" .

الفصل التاسع

ملخص للموضوع وبعض الأسئلة

يتضح أننا لكي نفهم الانطباعات والآثار التي يحدثها التليفزيون على الطفل لابد أن نفكر في الموضوع لا على أساس ما "يحدثه التليفزيون" للأطفال وإنما باعتبار "ماذا يحدث عندما الأطفال برامج التليفزيون".

وكان ذلك هو ماحاولنا دراسته في هذا الكتاب، إننا لو تذكرنا ما جاء في صفحات الكتاب نتبين أن العلاقة بين الطفل والتليفزيون ليست من البساطة بمكان، كما حاولنا في الفصلين الرابع والثامن أن نوضح بأنه ليس هناك من البراهين العلمية ما يبرر القول بأن التليفزيون يفيد الأطفال أو يضرهم.

فالعلاقة دائمًا تكون بين نوع من البرامج وطراز من الأطفال في ظروف خاصة، ومن وراء الطفل توجد دائمًا علاقات أخرى على جانب من الأهمية وخاصة مع أفراد أسرته وأصدقائه ومدرسته وعقيدته.

إن التليفزيون يتقتحم كل المجالات في حياة الطفل ولا يقتصر على جانب بعينه من تلك الحياة يتأثر ببرنامج خاص.

والآن نلقي نظرة على ما مر بنا من دراسة.

في الفصل الثاني حاولنا أن نرسم صورة لبعض التغييرات المظهرية التي أحدثها التليفزيون في عالم الطفل.

وعندما قارنا الظروف في المجتمعات قبل ظهور التليفزيون وبعد ظهوره وجدنا أن هذا الجهاز الجديد يحدث تعديلًا في قضاء أوقات فراغ الطفل وكيفية استعماله للوسائل الجماهيرية الأخرى بشكل يدعو إلى الاهتمام فقد اقتطع التليفزيون مدة طويلة من الوقت المخصص للذهاب إلى السينما والاستماع للراديو وقراءة الكتب والمجلات المصورة، كما أنه قلل من الزمن المخصص للعب وأحداث تأخيرًا في موعد نوم الطفل وأصبح يتحكم في وقت فراغه.

بالنسبة لمن حدث لهم هذا قد لا يبدو في الأمر تغيير مفاجئ ولكن لو نظرنا إلى الجهاز على أساس ما حققه من السبق في نقل الصور عبر المسافات على أساس تفوقه التاريخي على باقي الوسائل فهو جدير بالاهتمام.

فبين يوم وليلة يوضع جهاز يشبه الصندوق بالمنزل، ولكن منذ ذلك الوقت أصبح تنظيم أوقات الفراغ جميعها مرتبطًا به.

وفي الفصل الثالث حاولنا إرساء الحقائق الأساسية والأرقام الإحصائية عن استعمالات الأطفال للتليفزيون، وكانت هذه تبعث على الدهشة لأنها دلت على أن.

طفلًا من كل ثلاثة أطفال في سن الثالثة يستعمل التليفزيون ٣٣،٣%

و ٤ أطفال من كل خمسة في سن الخامسة يسعملون التليفزيون ٨٠%

وتسعة من كل عشرة في سن السادسة يستعملون التليفزيون ٩٠%

ففي الصفوف الأولى من المرحلة الابتدائية يقضي الطفل أمام التليفزيون معدل ساعتين في اليوم، ثم يرتفع هذا المعدل إلى نهائة المنحنى البياني فيصبح من ٢ – ٤ ساعات عندما يصل الطفل إلى نهاية المرحلة الابتدائية وبداية الإعدادية وينخفض تدريجيًا أثناء الدراسة الثانوية، وعرفنا أن هناك فروقًا فردية بين الأطفال يترتب عليها اختلاف في البرامج التي يشاهدونها، فمثلًا الأطفال الأكثر ذكاء في الغالب يشاهدون التليفزيون مدة طويلة إلى أن يصلوا لسن ١١ ثم يتحولون عن التليفزيون إلى وسائل أكثر تحديًا لقدراتهم العقلية هى الكتب المطبوعة.

وعندما يكون متوسط مدة المشاهدة هو ٢،٥ ساعة يكون معنى ذلك أن عددًا كبيرًا من الأطفال يشاهدون لمدة ٤ ساعات يوميًا وكثير آخرون يشاهدون لمدة تقل عن الساعة يوميًا [١] ورغم هذه الفوارق فإن الطفل العادي يقضي مع التليفزيون أثناء الست عشرة سنة الأولى من حياته مدة تعدل تلك التي يقضيها في المدرسة وتزيد عن المدة التي يقضيها مع باقي الوسائل مجتمعة (الراديو – السينما – القراءة – المسرح).

وفي الفصل الثالث أيضًا حاولنا أن نرسم صورة للطابع العام لذوق الأطفال عند اختيار البرامج في التليفزيون التي تبدأ بما يسمى برامج الأطفال وتشمل والمنوعات ثم البرامج الأخرى المخصصة للكبار،

---

[١] – المتوسط هو المعدل بين أقصى مدة (٤ ساعات) وأقل مدة (ساعة واحدة).

وأوضحنا أن الجانب الأكبر مما يشاهده الأطفال في التليفزيون يقع ضمن البرامج التي أعدت خصيصًا من أجل الكبار ومعظم هذه من النوع الخيالي والترفيهي.

وعلمنا أن ذوق الطفل تجاه برامج الشئون العامة يكون نادرًا ولا يظهر إلا في سن متأخرة.

ويكن الأطفال عاطفة شديدة نحو التليفزيون فهو الوسيلة الجماهيرية التي تحس أغلبيتهم بوحشة إذا افتقدوها واضطروا لقضاء بعض الوقت بعيدًا عنها.

وعندما يسأل الأطفال عن التغييرات التي يودون إجراءها على برامج التليفزيون فغالبًا ما تعوزهم العبارة الواضحة، وكانت الإجابة الغالبة لهم في هذا الشأن أنهم يريدون مزيدًا من البرامج الحالية، وليس معنى ذلك أن التليفزيون يرضي كل أذواق الأطفال بل معناه الحق أن الأطفال لا يستطيعون تصور برامج أخرى يستبدلون بها البرامج الحالية ومما تجدر ملاحظته أن الاعتبار الكبير والأهمية التي تكون للتليفزيون في نفس الطفل تهبط أثناء سنوات المراهقة وخاصة عند الأطفال النبهاء، حيث يزيد اهتمامهم في تلك الفترة بالوسائل المطبوعة وبالراديو الذي يستعملوته كصوت مؤنس أثناء القراءة أو المذاكرة ويكون له أهمية خاصة.

وفي فصول ٤، ٥، ٦، ٧، كان موضوع البحث هو عملية اختيار الطفل للبرامج في التليفزيون والفائدة التي يحققها منها، ففي الفصل الرابع

قدمنا رأيًا نظريًا عن فائدة برامج التليفزيون للأطفال فقلنا إن الأطفال يستعملون التليفزيون لترفيه وللهرب من مشاكلهم ثم للحصول على بعض المعرفة وأخيرًا كوسيلة اجتماعية للقاء مع أصدقائهم.

والاستعمال الأخير لا يقتصر على التليفزيون لأنه ينطبق أيضًا على السيارة وقد عرفنا الحاجات الرئيسية التي يحاول الأطفال تحقيقها من التليفزيون على أنها حاجات إلى اكتساب الخبرات الخيالية والواقعية، وبمقارنة نشاط الطفل قبل ظهور التليفزيون وبعد ظهوره اتضح أن التليفزيون يشبع رغبات الطفل الخيالية بصورة ساحقة.

وفي الفصل الخامس درسنا طبيعة وكمية التعلم الذي يكتسبه الطفل من التليفزيون وأشرنا إلى أهمية التليفزيون التعليمي إذا اعتبرناه جانبًا من جوانب التعليم في المدرسة، وذكرنا أن بالولايات المتحدة إلى جانب المحطات التجارية توجد ٤٧ محطة تلفزيونية مخصصة للاذاعات التعليمية والثقافية، وهى تكرس جهودها للخبرات الواقعية، ولكننا ركزنا الاهتمام على الخدمات التليفزيونية التي يقضي الأطفال معها أطول مدة ألا وهى برامج التليفزيون التجاري ورأينا أن الجانب الأكبر من التعلم الذي يحققه الطفل من التليفزيون التجاري هو شيء يكتسبه اتفاقًا وعن غير قصد ضمن البرامج الخيالية، ويعتبر هذا مصدرًا هامًا للمعرفة والتعليم في السنوات التي تسبق ذهاب الطفل إلى المدرسة لأنه يعطي الطفل الذكي والبطيء الفهم على السواء حصيلة من مفرادات اللغة تعدل ما يحصله نظراؤه الذين لم يعاصروا التليفزيون خلال سنة تعليمية، وبالمثل رأينا أن

الأطفال الذين يشاهدون التليفزيون مدة طويلة يذهبون إلى المدرسة بحصيلة من الكلمات أكبر من نظرائهم الذين يشاهدون التليفزيون قليلًا.

وفيما بعد يصبح التعلم المرضي من البرامج الخيالية ذا فائدة قليلة للطفل بسبب كثرة التكرار وانخفاض المستوى الفكري للبرامج الخيالية وكذلك لأن الطفل عندما يكبر يتجه إلى الوسائل المطبوعة فيحقق منها الخبرات الواقعية ويكتسب المعارف الجدية، ولعل هذا مشاهد على الأخص في حالة الأطفال الذين على مستوى مرتفع من القدرة العقلية وإذا كان المراهقون يشاهدون التليفزيون طويلًا فإنهم يكونون متخلفين في اختبارات المعلومات العامة وفي الاختبارات المدرسية عن نظرائهم الذين يشاهدون لمدة قصيرة، وعمومًا يمكن القول بأن التليفزيون يحقق مساعدات كبيرة في تعليم الأطفال الصغار، وبعد ذلك يسهم بنصيبه في إمداد الطفل بالمعرفة التي تتصل بالبرامج الخيالية (أسماء بعض المطربين المحبوبين) ولكن ذلك لا يمتد إلى المعرفة التي تتصل بالخبرات الواقعية (الشئون للعامة) أو بالمعرفة التي يكتسبها الطفل من المدرسة (العلوم) ونحن هنا لا ننفي أن التليفزيون قد لا يستثير الطفل إلى توسيع آفاق معرفته، ولكننا نعني أنه لا يفعل ذلك بدرجة أكبر مما لو لم يكن موجودًا.

وقد وجدنا أن القدرة العقلية والاتجاهات الطبقية والعلاقات الاجتماعية بالإضافة إلى السن والجنس هى عناصر متغيرة في حياة الطفل وتساعدنا على التنبؤ بنوع البرامج التي يشاهدها في التليفزيون، فالسن والجنس يشيران إلى بعض حاجات الطفل من الخبرات أثناء فترة ما والسن

يعطينا فكرة عن نوع الخبرة التي يكتسبها الطفل في فترة محددة ومكان الطفل في عملية التكيف الاجتماعي والحاجات الاجتماعية التي قد يحس بها في ذلك الوقت، والسن مع الجنس يدلانا على الأدوار التي تنتظر الطفل في الحياة.

أما العناصر الثلاثة الأخرى فإنها أكثر من مجرد دليل لأن لها صفة إيجابية، فالقدرة العقلية هى أكثر العناصر أثرًا، لأنها تقرر المعرفة التي يحتمل أن يكتسبها الطفل من التليفزيون من حيث الكم والنوع.

وفي الفصل السادس بحثنا ثاني العناصر المتغيرة التي لها أثرها الفعال القوي في مشاهدة الطفل للتليفزيون ونعني بذلك الاتجاهات الاجتماعية وأثرها على الطفل حين يشاهد التليفزيون، وفي هذا الفصل فهمنا الصور المختلفة للبحث عن الخبرات الخيالية والخبرات الواقعية وهى التي تبين أكثر من أي شيء آخر الفوارق بين الأطفال في مجال السلوك الذي يقومون به متأثرين ببرامج التليفزيون، وقد قسمنا الأطفال إلى أربع مجموعات حسب طول مدة مشاهدتهم للتليفزيون وقراءتهم للكتب والمجلات وبهذا حصلنا على.

١- مجموعة ذوي الاتجاه الخيالي (مشاهدة للتليفزيون لمدة طويلة وقراءة قليلة)

٢- مجموعة ذوي الاتجاه الواقعي (مشاهدة للتليفزيون لمدة قصيرة وقراءة كثيرة)

٣- مجموعة الذين يشاهدون التليفزيون كثيرًا ويقرأون كثيرًا.

٤- مجموعة الذين يشاهدون التليفزيون قليلًا ويقرأون قليلًا.

ففي الصف السادس الابتدائي تكون مجموعة الأطفال ذوي الاتجاه الواقعي صغيرة جدًا ولكن في الصف الأول الثانوي تزداد في العدد إلى حد كبير، وعندما درسنا الأطفال في هذه المجموعة وجدنا أنهم اكتسبوا الطابع الاجتماعي الذي يدعو إلى تحسين المستوى وإلى تأجيل تحقيق المتعة والنشاط الايجابي، تلك الاتجاهات التي هى الطابع المميز للطبقة المتوسطة العليا.

وهناك نقطة تحول عند بداية مرحلة المراهقة عندما يتحول عدد كبير من الأطفال من الاتجاه للمتعة والسرور إلى الاتجاه الاجتماعي العام، وهؤلاء الأبطال هم الذين يبحثون عن البرامج الجدية في التليفزيون ويهتمون بالتليفزيون التلعليمي ويختارون البرامج الواقعية من المحطات التجارية بشرط أن يدركوا بقدراتهم العقلية اتجاهات الطبقة الاجتماعية التي هم منها، وبذلك يكون للاتجاهات الاجتماعية دور كبير في اختيار الطفل للبرامج المختلفة من التليفزيون.

وفي الفصل السابع كان موضوع البحث هو الصلة بين العلاقات الاجتماعية للطفل واستعماله للتليفزيون، وقد توصلنا إلى قاعدة أساسية في هذا الشأن هى أن الطفل الذي يكون على غير وفاق مع أسرته وأصدقاؤه يميل إلى مشاهدة برامج التليفزيون هربًا من مشاكل الحياة الواقعية،

وليخفف عن نفسه بعض الشعور بالارهاق والجهد ولكن عندما نضيف أحد العوامل المتغيرة الأخرى فإن المسألة لن تكون بسيطة فمثلًا في حالة الأطفال ذوي المستوى العالي في الذكاء والمنتمين إلى طبقة اجتماعية عالية، فهؤلاء إذا ساءت علاقاتهم الاجتماعية فإن مدة مشاهدتهم للتليفزيون تزداد كما نتوقع.

أما الأطفال الذين يكونون دون المتوسط في الذكاء، ومن مستوى اجتماعي منخفض فهم عادة ميالون للسلوك العدائي ويشاهدون التليفزيون مدة طويلة، فماذا يحدث لو أن علاقاتهم بالأسرة أو بالاصدقاء لم تكن طيبة ؟ في هذه الحالة لا تزداد مدة مشاهدتهم للتليفزيون، بل على العكس قد تقل مدة المشاهدة نتيجة لازدياد الصراع مع المجتمع.

إن نوع الصلات الاجتماعية بالأسرة والأصدقاء هو الذي يحدد مدة مشاهدة الطفل للتليفزيون، كما أن هذه الصلات قد توضح اتجاهات أخرى في السلوك، فقد رأينا أن الطفل الذي يشاهد التليفزيون وفي نفسه ميل للاعتداء بسبب سوء العلاقات مع الأسرة أو الأصدقاء، هذا الطفل يحتمل أن يبحث عن البرامج التليفزيونية التي بها أعمال عنيفة وعدائية ويميل إلى تذكر مثل هذه البرامج، وإذا كانت علاقاته الاجتماعية غير كافية لإشباع حاجاته فمن المحتمل أنه يستغرق في أحلام اليقظة مع البرامج الخيالية – التي يراها في التليفزيون، فإذا بحث الطفل عن مشاهد عنيفة استجابة لما في نفسه من الحاجات الاجتماعية، فإنه يتذكر هذه الأعمال وفد يقوم بمثلها في الحياة إذا دعاه الأمر إلى القيام بعمل عدائي.

يفهم من هذا أن في استطاعة الآباء والأصدقاء[1] والمعلمين في المدرسة أن يكون لهم دور كبير في أن يجعلوا مشاهدة الطفل للتليفزيون تحقق له أكبر فائدة وذلك بأن يهيئوا له جوًا من الحب والاستقرار بالمنزل وأن يساعدوه على إنشاء علاقات صداقة طيبة مع وفقائه في السن.

ويمضي البحث بنا حتى نصل إلى الفصل الثامن لنجد قائمة من الانطباعات التي يحدثها التليفزيون من حيث طبيعتها لأننا قد عرفنا الكثير عن التليفزيون وكيف يدخل حياة الطفل، وقد قدرنا أن آثار التليفزيون على الجسم ليست بذات أهمية فهو يسبب إرهاقًا للعين ما دام الأطفال يراعون القواعد الصحية أثناء المشاهدة والدلائل قليلة على أن التليفزيون يسبب نقصًا في ساعات النوم أو نقصًا في الجهد، أما الآثار الوجدانية فاحتمال الأمان منها أقل مما شاهدنا في حالة الآثار الجسمانية.

ويمكن القول على وجه التقريب أن الأطفال جميعًا تمر بهم فترات يخافون فيها من بعض برامج التليفزيون، وفي الغالب يستولى عليهم الفزع حين تتعرض الشخصية التي تستهويهم للخطر سواء كانت شخصية حيوانية أو إنسانية، وعلى الأخص إذا كان الخطر المتوقع يأتي من الإصابة بسلاح قاطع أو الوقوع في شرك أو عمل عنيف مخالف لما هو مألوف، ويصاب الأطفال بالخوف حين يشاهدون البرامج العنيفة في سن مبكرة أو عندما يشاهدون تلك البرامج في حجرات مظلمة وحدهم، وبوجه عام، يفضل الأطفال أن يبحثوا عن البرامج المثيرة في التليفزيون كما يفعلون في

[1] – يقصد بالأصدقاء، أصدقاء الطفل من غير جماعة الرفقاء.

الحياة، طالما أن تلك البرامج لا تتعدى حدود الإثارة لدرجة الفزع، وهذا هو سبب إقبالهم على "اللعب المثير" الذي يجدون له نظيرًا في التليفزيون، وهناك أسئلة هامة تخطر على البال بالنسبة للانطباعات التي تحدثها البرامج التليفزيونية بما فيها من إثارة على درجة عالية.

وما نتائج هذه الإثارة على مفاهيم الأطفال بالنسبة للخبرات الواقعية ؟

هل يكون من أثرها أن يرفع الطفل الحدود الفاصلة بين الخيال والواقع ويتوقع من الحياة ما لا يمكن تحقيقه ؟ هناك ما يشير إلى ذلك ولكن الإجابة الكاملة لهذا السؤال غير ممكنة دون إجراء أبحاث على برنامج زمني طويل المدى.

وفيما يتصل بالآثار التعليمية للتليفزيون، أي آثار التليفزيون في مجال المعرفة فإن النتائج العامة تدعو إلى الأسف، وليس مرجع هذا إلى أن التليفزيون له آثار ضارة في مجال المعرفة بل لأنه لم يحقق للآن كل وظائفه وإمكانياته بوصفه ناقلًا للأفكار والمعارف، ففي النشاط التعليمي بالمدرسة نجد أن التليفزيون التجاري لم يحقق سبقًا واضحًا، ولا هو يعوق عملية التعلم، وفي بعض المجالات يعمل التليفزيون على تنشئة جيل أكثر معرفة، ولكن الجهود التي يحققها لا تعد شيئًا إذا قورنت بما يمكن تحقيقه لو أن مزيدًا من إمكانيات التليفزيون استغلت في نشر الخبرات الواقعية على المشاهدين.

إن التليفزيون التجاري الذي لديه المواهب الكبيرة والإمكانيات المادية يعتمد أساسًا على الخبرات الخيالية، أما التليفزيون التعليمي الذي يكرس جهده للخبرات الواقعية فهو في حاجة ملحة إلى المواهب والمعونات المالية، إن الحلم القديم في أن يكون التليفزيون وسيلة متفوقة لمد الناس بالمعرفة والعلم في بلد ديمقراطي لم يتحقق إلى الآن بصورة كاملة، لقد ثبت أن التليفزيون ينجح في استثارة الاهتمام بشيء ما أكثر مما ينجح في استثارة النشاط العقلي أو العمل الخلاق، ولكي يؤدي التليفزيون هذا العمل الأخير لابد له أن يرتبط بهيئة تعليمية لها جهاز منظم، ليس هناك إلا قليل من الدلائل على أن التليفزيون يرفع من مستوى الذوق، بل هناك خوف من أن يعمل على "تجميد" ذوق الطفل عند حد معين أساسه المستويات اللفظية الشائع استعمالها في البرامج للدلالة على المسميات المختلفة [١] .

ومن النتائج التي تثير القلق ما عرفناه من أن الأطفال يتعودون التعلق بالبرامج المتاحة لهم مشاهدتها رغم أنهم قد لا يختارونها إذا تركت لهم حرية الاختيار.

إن بعض الذين يدرسون التليفزيون يهتمون بما له من آثار في تنمية الذوق، ويشعر الآخرون بالقلق لأن برامجه تمد الأطفال بالمعرفة عن حياة الكبار، في موعد سابق جدًا عن الفترة التي جرت العادة أن يطلعوا فيها

[١] – يقصد بذلك إطلاق تعابير عامية كثيرة مما يهبط بمستوى الذوق اللغوي، وبالتالي الذوق الاجتماعي.

على هذه المعرفة، يضاف إلى ذلك أن الغالبية من البرامج التي تعالج حياة الكبار تبرزهم في مواقف من الصراع، كما أن كثيرًا من هذه الصور لا تجعل الشخصيات المعروضة في مواقف مشرفة والناس يراودهم القلق من أن هذا الإنضاج السابق لأوانه وتلك الصور من حياة الكبار التي يتاح للطفل رؤيتها قبل أن يستطيع التمييز بينها (بحكم السن) قد تؤدي بالطفل إلى مفهوم خاطئ عن حياة الكبار، بل ربما تنفره من فكرة النضوج ليصبح شخصًا كبيرًا.

وأخيرًا نصل إلى أثر التليفزيون على السلوك وهذا هو الذي يسبب القلق لكثير من الناس ومع ذلك فيبدو أن هذه الآثار يمكن التحكم فيها أثناء فترة حياة الطفل بعيدًا عن التليفزيون.

هل يؤدي التليفزيون بالطفل إلى السلبية ؟

قد يحدث هذا في بعض الحالات ولا يمكن إدراك قوة هذا الأثر ومدة استمراره إلا بالدراسة الطويلة المدى، ولكن لكي تقطع السبيل على سلبية الطفل متأثرًا بالتليفزيون يجب ألا نترك له الفرصة لاستعمال الجهاز كبديل عن أمه في طفولته المبكرة، وأن نشعره بالحب والرعاية في البيت، وأن نشجعه على النشاط وعلى إقامة علاقات الصداقة مع رفقائه في السن.

هل يعلم التليفزيون الأطفال أعمال العنف ويسبب لهم الإنحراف ؟

لقد افترضنا بعض المواقف التي يشجع فيها التليفزيون الطفل على

ارتكاب أعمال عدائية أو عنيفة، فبعض الأطفال يخلطون قواعد العالم الخيالي الذي يرونه على شاشة التليفزيون بما هو معروف عن العالم الواقعي، والأطفال الذين يشاهدون برامج التليفزيون وفي نفوسهم ميول عدائية يكونون أقرب إلى تذكر ما يرون من أعمال العنف في تلك البرامج، ويميل الأطفال لأن يكونوا مثل الشخصيات الناجحة التي يرونها في قصص التليفزيون سواء كانت تلك الشخصيات تعمل للخير أو الشر، ولكن قليلًا جدًا من حالات الانحراف يمكن إرجاعها إلى التليفزيون، فالانحراف سلوك معقد له عناصر جذرية متأصلة أهمها أن يحس الطفل بنقص كبير في حياته، كما لو كان يعيش في أسرة مفككة أو يحس بصدود من والديه نحوه أو عدم اعتراف جماعة الأصدقاء به وبشخصيته، ويكون التليفزيون في أغلب الحالات سببًا مشتركًا وعملًا مساعدًا مع أحد هذه الأسباب الأصلية.

هل يشجع التليفزيون الطفل على الانطوائية ؟

قد يحدث هذا في حالات قليلة جدًا، وبدرجة خطيرة تستدعي علاج الطفل، عند طبيب نفساني، ولكن في غالب الأحوال لا تكون انعزالية الطفل أكثر من انطوائه مستغرقًا مع أي برنامج خيالي، وإذا وفر الآباء لأبنائهم حياة يتمتعون فيها بالعطف والأمن في بيوتهم فلن يخشوا من انطوائية أطفالهم إلى حياة الخيال فآثار التليفزيون على السلوك تشير إلى واجب الآباء والمسئولين عن الإذاعة في هذا المجال.

ويمكن للآباء أن يتحققوا من وجود إضاءة صحية في حجرة

التليفزيون وأن لا يسهر الأطفال إلى ساعة متأخرة حتى لا تحدث لهم آثار جسمانية ضارة.

يبدو أن المسئولين عن الإذاعة التليفزيونية يتعرضون للوم والمؤاخذة بسبب هبوط المستوى الفكري للمادة المذاعة وبسبب البرامج المخيفة وارتفاع مستوى الإثارة فيها، ولكن لا ننسى أن الآباء والمعلمين في المدرسة والقوى المؤثرة الأخرى التي لها دورها في حياة الطفل، كل هؤلاء يمكن أن يخففوا من حدة الآثار الناتجة عن التليفزيون بأن يدلوا للأطفال بآرائهم لإيضاح ما في البرامج من مشاكل ومواقف مثيرة.

ونقول باختصار أننا لا نحاول اختلاق الأعذار لتبرير مساوئ التليفزيون ورغم هذا فيبدو من المؤكد أننا اذا منحنا الطفل كفاية من الحب والأمن والاهتمام ومكنا له الفرصة لعمل علاقات الصداقة وممارسة النشاط المفيد في غير الأوقات المخصصة للتليفزيون عندئذ لا يكون هناك إلا احتمال ضئيل في تعرضه لآثار ضارة من التليفزيون.

واذن فالتليفزيون ليس من الوسائل التي نخشاها على طول الخط أو نعفيها من الخطأ وإنما هو في حاجة إلى فهم كامل، ومسئوليات من جانب الآباء والمشتغلين بالإذاعة ورجال التعليم وغيرهم من الذين تتأثر بهم حياة الطفل ولقد شجعتنا كل هذه الظروف على عرض بعض الأسئلة للمناقشة:

أسئلة لرجال الإذاعة

كنا حريصين في هذا الكتاب ألا ندق ناقوس الخطر لنحذر الناس من آثار التليفزيون الضارة، وقد أوضحنا أنه كلما ارتبط التليفزيون بالانحراف أو بأي سلوك عنيف أو معاد للمجتمع من جانب الأطفال، كان معنى ذلك وجود أسباب إلى جانب التليفزيون تكون لها فاعلية أكثر منه في هذا المجال.

إن من المسلم به أن ما أجرى للآن من أبحاث لم يؤد إلى فهم كامل للانطباعات التي يحدثها التليفزيون وخاصة بالنسبة للآثار الطويلة المدى؛ وعرفنا أن الأطفال يفضلون التليفزيون كما هو في صورته الراهنة ومع إقرارنا بهذه الوسائل ومع إقرارنا بأن الحياة السعيدة الآمنة للطفل يمكن أن تكون بمثابة عازل يمنع عنه كثيرًا من الآثار الضارة للتليفزيون، فإن هذا لا ينفي الاتهام القائل بأن التليفزيون يحدث انطباعات ضارة على الأطفال غير القلقين وإن كانت صحة الاتهام لم تثبت بعد.

وقد اتضح أن غالبية الآثار الخطيرة الناتجة عن التلفويون لا تظهر إلا بعد مدة طويلة فيما عدا بعض حالات فردية كأن يكون الطفل مصابًا بالقلق فيتعلم طريقة ارتكاب جريمة من التليفزيون أو يستولى عليه الفزع نتيجة لرؤية أحد البرامج المخيفة ثم أوضحنا بعض الأمثلة للبرامج التي تترتب عليها انطباعات ضارة على حياة الطفل بسبب تكرار مشاهدة الطفل لما بها من أعمال العنف.

وافترضنا بعض ما يمكن أن يحدث للطفل الذي يجلس أمام التليفزيون بضع ساعات كل يوم طوال أعوام متتابعة ليشاهد برامج ليس بها إلا القليل مما يستثير نشاطه العقلي.

وأخيرًا ذكرنا بعض النتائج المتوقعة لانطواء الطفل على نفسه ساعات طويلة على مدى سنوات عدة مستغرقًا مع برامج التليفزيون في عالم خيالي لا تتفق قواعده وأسسه في قليل أو كثير مع ما نعرفه في عالم الواقع، إن مثل ما ذكرنا من آثار تستغرق وقتًا طويلًا حتى تظهر، ومن الصعب أن نتبينها إلا بعد فترة طويلة فإذا اتضح بعد البحث الطويل أن هذه النتائج ضارة فعلًا، تكون الفرصة قد قامت للقيام بأي إجراء علاجي نحو التليفزيون بالنسبة لجيل كامل من الأطفال.

ويبدو لنا أن هذه الظروف تبرز أمام المسئولين عن الإذاعة التليفزيونية بعض الأسئلة التي تتحداهم وتشعرهم بالحرج، قد يكون من العسير أن نتصور التليفزيون اليوم مختلفًا عما كان عليه منذ عشرة سنوات، ومع ذلك كان من الواجب ألا يتطور إلى مثل صورته الحالية، لقد حدثت تطورات غيرت معظم النظم التليفزيونية الوطنية في أنحاء العالم إلى صور تختلف عما كانت عليه، وفي الأعوام الأولى لاستعمال التليفزيون في أمريكا أصر بعض المؤسسين مثل "دافيد سارنوف" على أن مرفقًا قويًا كالإذاعة يجب أن يكون في خدمة الجماهير فحسب وألا يستعمل للخدمات التجارية إطلاقًا.

يمكن أن نتصور الآن محطة للتليفزيون الأمريكي تقدم برنامجًا عن دورة هامة من دورات الأمم المتحدة بحيث يذاع مرة واحدة بدلًا من إذاعته على

فترات يومية لمدة دقائق معدودة، وبهذا تستطيع المحطة أن تغطي أنحاء البلاد بطريقة مباشرة بدلًا من أن تخصص لأبناء الدورة بضع دقائق يحدثنا عنها المذيع وهو يقرأ نشرة الأخبار التي تتضمن الشيء الكثير من القصص والتمثيليات والموسيقى من البرامج العادية التي تذاع ليلًا ونهارًا من شبكات التليفزيون بصورة تقضي على التفكير الخلاق (عند المستمع) وبهذه الطريقة تستطيع المحطة أن تشغل بضع ساعات فقط كل يوم لإذاعات جديدة من النوع الممتاز؛ نقول أنه كان من الممكن أن نتخيل مثل هذا لو أن التليفزيون سار في طريق التطور، فإذا لم يعد مستطاعًا الآن تغيير الطريق، فليس من اللازم أن نشير فيه إلى النهاية المؤسفة [١].

ويبدو لنا أن الرجال والنساء المسئولين عن التليفزيون بوصفهم من الآباء والأمهات وبحكم أنهم حفظة على أولادهم أثناء ساعات اليقظة طوال حياتهم، يجب أن يسألوا أنفسهم هذا السؤال:

ألا يمكن انتاج برامج تلفزيونية جذابة للأطفال دون أن يكون بها هذه المادة الزائدة من العنف والإثارة ؟

إن العرض المتواصل للأعمال العدوانية العنيفة وأعمال القسوة في برامج التليفزيون المسائية وتكرار إذاعة المواد التي تبلغ في درجة الإثارة حدًا بعيدًا لا يفرغ له زوار الولايات المتحدة فحسب وإنما يبعث أشد القلق في نفوس الآباء في أمريكا الذين يشاهدون مثل تلك البرامج مع

---

[١] – المقصود هنا أن التلفزيون الأمريكي يهتم بالبرامج الترفيهية أكثر من اهتمامه ببرامج الواقع والشئون العامة.

أبناءهم، ولسنا نريد هنا أن نبالغ بالحديث عما يحتمل أن نتركه خبرة التليفزيون من آثار لأننا نعتقد أن معظم الأطفال يتقبلونها مؤقتًا ثم يتخلصون منها، ومع ذلك فهل نجازف بتعريض الأطفال لمثل هذه المخاطر؟

وهل هذه البرامج هى أفضل ما يمكن تقديمه ؟

وهل هذه الوسيلة الوحيدة لإدخال السرور على نفوس الأطفال ونيل إعجاب الجمهور الكبير الذي يطلبه المسئولون عن الإذاعة ؟

وقد يبدو لنا أن هذه مسألة تتصل بالكرامة والضمير بالنسبة للمسئولين عن التليفزيون، فهم رجال على جانب كبير من الخبرة والموهبة فهل يجدون من الضروري حقًا أن يحشدوا البرامج بأعمال العنف والإثارة غير الطبيعية والجريمة حتى إعجاب الأطفال.

إن هذا لا يتفق مع نتائج الاستقصاءات التي قمنا بها ولذا نفترض تفسيرًا لما هو حادث أن الرؤساء في التليفزيون يكلون المسئوليات إلى من هم دونهم في الكفاية والمقدرة، وهذا معناه اعتراف صريح بالضعف وانعدام العبقرية كما أن هذا الاتجاه في البرامج لا يتفق مع عهدناه في كبار المذيعين وما نعرفه فيهم من تقدير مسئولياتهم نحو الجمهور، ألا يستطيع هؤلاء الذين في مركز القيادة في التليفزيون أن يجدوا وسيلة لأداء مهام وظائفهم دون هذه الأعمال العنيفة المتوالية والإثارة المحمومة التي تتميز برامج الأطفال، إننا نود لو أصحاب محطات الإذاعة شاهدوا البرامج التي تخلو

من عنصر العنف، ومع ذلك فهى تنال إعجابًا كبيرًا من الأطفال، فمثل هذه البرامج قد توحى لهم باتجاهات جديدة مثمرة عند تنظيم البرامج، وكذلك نريد أن نحس باهتمام شبكات التليفزيون ومحطاته بتوجيه الكفايات بها إلى إعداد برامج أفضل للأطفال وخاصة من اللون الذي يسد الفراغ بين مرحلة إقبال الطفل على قصص الحيوان، والعرائس، والصور المتحركة والسنوات التي يستعد فيها لمشاهدة برامج الكبار (مرحلة المراهقة).

إننا في الحقيقة نريد أن نرى مشروعًا كبيرًا في مرحلة تجريبية بالتليفزيون مع الإفادة بكل ما نعرفه عن الأطفال وبأحسن الخبرات في التليفزيون وبالإضافة إلى ذلك يوضع برنامج للبحث على مستوى عال وذلك بغية اكتشاف وتفسير استجابة الأطفال لهذه البرامج التجريبية، فمن المحتمل أن الجهود المشتركة التي تبذل في هذا المجال سوف تثمر لنا بديلًا من القصص التي لا نرى فيها إلا المخبر السري ورجال العصابات والمجرمين الأذكياء، وهى الألوان الغالبة في البرامج الآن.

وهذا سؤال آخر:

ألا يستطيع التليفزيون أن يقدم مزيدًا من البرامج التي تتحدى تفكير الأطفال الأذكياء ؟

من بين البرامج الأسبوعية للتليفزيون التجاري يوجد بعض المواد التي تستثير التفكير أكثر مما يعترف به النقاد، وهذا الأثر يتصل اتصالًا وثيقًا بالمواد الاخبارية وهى نتضمن التعليقات والاجتماعات والمؤتمرات

الصحفية والمناقشات العامة، والأنباء الخاصة.

وإننا نقدر ما قدمته صناعة التليفزيون في هذا الميدان وأن الآباء والمعلمين يعتبرون مقصرين إذا لم يوجهوا نظر الأطفال إلى مثل هذه البرامج كلما كان ذلك في الإمكان.

ولكن هذا جزء ضئيل من واجبات التليفزيون وهو أيضًا قطاع بسيط من جملة ما يختاره الأطفال من البرامج حتى وإننا لو قارناه بالجهد الذي يبذل لاجتذاب الأطفال بقصص العنف والصور المتحركة والأفلام الغربية والتمثيليات والغناء العاطفي والأفلام البوليسية يمكن القول بأن ما تناله الخبرات الواقعية من الاهتمام قل من أن يؤخذ في الحسبان.

وفي أثناء الدراسة التي قمنا بها في مجتمع بعد مجتمع، لاحظنا ظاهرة غير سارة:

أن الأطفال في سنواتهم الأولى يفيدون من التليفزيون من الناحية العقلية، فهم يلتقطون عددًا كبيرًا من مفردات اللغة، وتحفظ ذاكرتهم كثيرًا من المدركات والأسماء وألوان السلوك التي لا يمكن لهم أن يتعلموها في هذا الوقت المبكر بطريقة أخرى.

ولكن ما يكاد الأطفال يبدأون سنواتهم الأولى بالمدرسة حتى يستقر اتجاههم في مشاهدة التليفزيون على البرامج الترفيهية وإذا بلغ الأطفال مرحلة المراهقة نلاحظ أن الأذكياء منهم يخصصون جزءًا أطول من أوقاتهم للمطبوعات حيث يجدون بها تحديات أكبر لتفكيرهم.

وكنا كلما وجدنا طفلًا ذكيًا يشاهد التليفزيون أكثر من المعدل المتوسط نعلم أن هناك علاقات اجتماعية غير طبيعية تدفعه إلى التماس الهرب من مشاكله إلى عالم التليفزيون.

وكنا كلما وجدنا طفلًا ذكيًا يشاهد التليفزيون مدة طويلة، نتوقع له نسبة ضئيلة في اختبارات المعلومات العامة، وقد وجد باحثون آخرون أن مثل هذا الطفل يكون في مستواه العلمي أقل من نظيره في الذكاء الذي يشاهد التليفزيون قليلًا، وقد وجدنا كذلك أن الأطفال الأذكياء في سنوات المراهقة يقل اهتمامهم بالتليفزيون، ولا ينال في نفوسهم نفس المكانة التي يشغلها عند نظرائهم الأقل منهم في الذكاء.

والذي يبدو لنا هنا مخيبًا للآمال ومضيعًا للطاقة الحيوية للأطفال أن أثر التليفزيون الغالب على الأطفال يأتي نتيجة لاعتبارهم إياه وسيلة للخبرات الخيالية أكثر من كونه مصدرًا للمعرفة الواقعية، ويبدو لنا أن كرامة رجال التليفزيون تأبى أن يبذلوا جهدًا زائدًا لكي يجعلوا منه وسيلة لاكتساب الخبرات الواقعية.

- فهل اقتصرت مقدرتنا على إنتاج البرامج الخيالية ؟

- وهل نستهين بأطفالنا إلى حد أن تقدم لهم مثل هذا الغذاء الفكري الضئيل؟

- وهل نعتقد أننا بهذه الوسيلة نخلق منهم قوادًا ومفكرين ؟

- وألا يمكن تعديل الصورة التي يقدمها التليفزيون لحياة الكبار الآن بحيث تتفق مع حاجات الطفل ؟

إن هذه الأسئلة تتطلب منا إيضاحًا كما فعلنا في الأسئلة السابقة، إننا لا نطالب بالصورة الواقعية التي أصر عليها "زادانوف" أي أن يستعمل الفن لإنتاج صور ينافس بعضها بعضًا (بعضها خيالي والآخر واقعي)، وفي يقيننا أن الطفل الذي يحصل من اختلاطه بالكبار على خبرات تساعده على مقارنة الواقع بالخيال، هذا الطفل يحتمل أن يبلغ السن التي يمكنه فيها أن يفصل ذاته عن البرامج دون خوف من أن يكون لديه مفهوم غير صحيح عن حياة الكبار.

ولكن مما يثير دهشتنا أن التليفزيون لم يعد يهتم بالبرامج المتدرجة التي كانت تستخدم فيما قبل لتعريف الأطفال بعالم الكبار، كما أننا تأثرنا أيضًا نتيجة لبعض جوانب رأيناها في الصورة التي يعرضها التليفزيون على الأطفال من حياة الكبار، تلك الصورة التي تحتوي على أعداد كبيرة من الناس الذين يعيشون في نزاع وعراك، وارتفاع عدد الجرائم التي تعالج بطرق لا تتفق والقانون والآباء الذين لا يصلحون لأداء دور الأبوة والأمهات اللاتي يظهرن دائمًا في حزن وقلق، أما رجال الأمن الذين ينفذون القانون فيظهرون في مركز الضعف والغفلة إذا قورنوا بالمجرمين.

فمن المحتمل كما ذكرنا أن تحدث هذه الصورة بعض الاضطراب والمتاعب في حياة الطفل، وخاصة أثناء عملية نموه التي تتميز بعدم الاستقرار ولو أن مثل الأثر من النوع الذي تظهر نتائجه بعد فترة طويلة،

ولا يمكن اكتشافه إلا بعد دراسة تستمر لمدى زمني طويل.

ونحن لا نريد لهؤلاء المجرمين الأذكياء، أو الآباء غير الصالحين والأمهات التعيسات ومخبري الشرطة الهواة والرجال الخبراء في إطلاق النار، أن يختفوا من برامج التليفزيون، وإنما يبدو لنا أن في الإمكان تغيير الصورة بإدخال عناصر أخرى جديدة، مثال ذلك يمكننا أن نعرض على الأطفال الصراع المثير للإنسان في مواجهة مشاكل جديدة غير الجريمة في مجالات الكفاح ضد المرض، والكشف العلمي وتطوره، والمشاكل الاجتماعية، والعلاقات الدولية والنجاح الذي حققته الفنون وما إلى ذلك.

تقول هيملوايت وأوبنهايم وفنس: إن الابطال الذين يكافحون ضد المرض عادة ما نراهم في التليفزيون على أنهم شخصيات تاريخية بملابس العصر الذي عاشوا فيه، ونضيف إلى ذلك أننا هنا نرى الأبطال في مجال العلوم في صورة شخصيات خيالية لرجال يقودون سفن الفضاء [1] .

وأين الشخصيات العظيمة من النساء والرجال الذين يسهمون بمجهودهم في الحكم الصالح، وفي ميدان الأعمال التجارية، وإقامة المجتمع السليم ؟

في استطاعة ذوي المواهب من مؤلفي التليفزيون، وبلاشك أن يتناولوا بكتابتهم هذه الجوانب الحديثة وبالطبع سوف يتطلب ذلك خبرة

---

[1] – أي أن التلفزيون يطور الشخصيات ليجتذب أكبر عدد من المشاهدين بينما الواجب يقتضي إظهار الحقائق كما هى لتكون مصدرًا للمعرفة.

وأصالة وتجديدًا في الفكر وهنا نذكر مثلًا بسيطًا:

وجدنا في إحدى المدن الكبرى ونحن نعد هذا الكتاب أن الأطفال يشاهدون سلسلة من أفلام الصور المتحركة صنعت منذ سنة ١٩٤٠ وكانت تلك الأفلام قد صنعت من أجل الدعاية في الحرب فإذا عرضت اليوم بعد عشرين عامًا فإنها تحمل معاني التعصب العنصري، وتثير الحقد ما بين الدول، وواضح أن هذه القصص كانت ضمن مجموعة مختزنة من الافلام التي اشترتها المحطة بالجملة، وينبغي ألا يقدم التليفزيون للأطفال برامج منتخبة من مخزون الأفلام العتيقة (القديمة).

وهذا سؤال ذو أهمية رئيسية:

هل الملاحظات التي ذكرناها تقع مسئولياتها على الذين يتولون صناعة التليفزيون ؟

في رأينا أنها فعلًا كذلك وإنها لمسئولية ضخمة تلك التي يتطلبها الإشراف على صناعة أصبحت تتحكم في الجانب الاكبر من حياة الطفل وتشرف على مصدر هام لألوان شتى من المعرفة التي يذيعها التليفزيون وإننا لا نقبل الأعذار التي يتقدم بها رجال الإذاعة للتملص من المسئولية ولنناقش هذه الاعذار:

يقولون إن التليفزيون يعطي الأطفال ما يريدون من البرامج ، فمنذ متى أصبحت هذه قاعدة لتحديد مسئولية الكبار ؟

وقياسًا على هذا يمكننا أن نترك الأطفال يأكلون الحلوى والفاكهة إذا هم تعودوا منذ البداية أن يحصلوا على ما يريدون، وعلى هذا الأساس أيضًا سوف يتعود الكثير منهم بلاشك تعاطي المخدرات والمشروبات الروحية في سن مبكرة إذا كانت في متناولهم، كما قد تنتشر بينهم العلاقات الجنسية غير الشرعية إذا سمح بها، وكانت سهلة المنال.

إن من مسئوليات الكبار أن يكونوا قدوة حسنة للأطفال في مراحل نموهم ونضجهم وأن يساعدوا على تنمية أذواقهم وتكوين القيم لديهم.

أما أن نقول بأن التليفزيون يعطي الأطفال ما يريدون فهذه وجهة نظر تدل على عدم المبالات والتهرب الكامل من المسئولية.

ويقول رجال الإذاعة إن المسئولية الحقيقية ملقاة على عاتق الآباء، إذ يجب عليهم أن يمنعوا أطفالهم من مشاهدة البرامج المعدة للكبار، كما أن عليهم توفير جو من السعادة والأمن ليضمنوا سلامة الصحة العقلية لأطفالهم، حقًا إن للآباء نصيبًا من المسئولية إلى جانب المسئولين عن الإذاعة، ولكن هناك حدودًا لما يستطيع الآباء القيام به في مثل هذه المواقف، فمعظم الآباء ليست لديهم المعرفة أو الخبرة لتوفير الصحة العقلية لأبنائهم خاصة إذا وصلوا إلى مرحلة يكتنفها الخطر، وأكثر الآباء لا يجدون متسعًا من الوقت لكي يوفروا لأطفالهم العلاقات الاجتماعية التي تشعرهم بالأمن والسعادة.

إن الآباء والأمهات الذين تزداد عليهم أعباء الواجبات المنزلية

ومسئوليات العمل، يشكرون الظروف التي أتاحت لهم استعمال التليفزيون كوسيلة لشغل أطفالهم عنهم بدلًا من الاهتمام بما يذيعه من برامج ليأمنوا خطر الانطباعات التي قد يحدثها على أطفالهم، كما أنه ليس بإمكان الوالد أن يوجه طفله إلى مشاهدة برامج لا وجود لها، أو أن الطفل نفسه يخصص من وقته بعض الساعات للبرامج النادرة التي يعوزها التمويل، والتي تذاع في ساعات غير مناسبة (يقصد البرامج التعليمية لأنها تعتمد على إعانات الجمعيات الخيرية وتعتبر نادرة إذا قورنت ببرامج المحطات التجارية).

وأخيرًا يقولون بأنه يتحتم إذاعة الأنواع الحالية من برامج التليفزيون لأن متعهدي الإعلانات يريدون زيادة عدد الجماهير من المشاهدين.

إننا نشارك رجال الإذاعة التليفزيونية مشاعرهم عندما تزداد حدة المنافسة نتيجة لنظام المتعهدين، وقد علمنا من كثير من رجال الإذاعة أن هؤلاء المتعهدين ومكاتب التوكيلات التابعة لهم تعمل على "شراء الجماهير" وهم يهتمون بتكاليف البرامج منسوبة إلى كل ألف من المشاهدين، لا يعنيهم نوع البرامج أو أثره على شخصيات المشاهدين، والبرنامج الذي لا تذيعه محطة ما قد تذيعه محطة أخرى منافسة لها، وبسبب هذه المنافسة نرى أن المحطات الإذاعية تضطر لأن تتمسك برأيها فيما يتعلق بتكاليف البرامج، فمثلًا قد ترفض المحطة برامج قليلة التكاليف، ومن نوع جيد لأنها تؤثر على قيمة برامج أخرى.

وهذا بلا ريب يوجد مشكلة خطيرة أمام محطات الإذاعة لأن اتجاهًا مثل هذا يدل على نظرة محدودة تأتي بأرباح سريعة ولكنها تؤدي في النهاية

إلى الضرر بالمحطة ومتعهدي الإعلان ويمكن أن يقال بأن نظام التعهد التجاري والمنافسة على الإعلان بين محطات التليفزيون لا تسمح بإذاعة برامج للأطفال أحسن مما هى عليه الآن، ويبدو لنا أن هذا اعتراف بالفشل في نظام الاذاعة بأكمله، لأن الإذاعة تقوم من أجل الخدمة العامة للجماهير لا من أجل الخدمات التجارية، والأطفال الذين يشاهدون برامج التليفزيون يمثلون ثروة وطنية أكبر من أن تقدر قيمتها بمعايير مادية، ولذا فليس من رأينا أن التليفزيون التجاري يستطيع التملص من مسئولياته تجاه هؤلاء الأطفال كما أننا لا نعتقد أن كبار المسئولين عن التليفزيون لديهم هذا الاتجاه.

أسئلة موجهة للآباء:

وأن على الآباء أيضًا أن يجيبوا على بعض الأسئلة في موضوع التليفزيون.

فهل يقوم الآباء الذين يخشون من أثر التليفزيون على أطفالهم ببذل ما في وسعهم ليحس هؤلاء الأطفال بالأمن والحب ؟

ونكرر القول هنا بأنه حسب ما اتضح لنا في العمليات الدراسية التي قمنا بها نعتقد أن برامج التليفزيون لا تضر الطفل ما دام على علاقات اجتماعية طيبة، وما دام لا يشكو من أية متاعب نفسية، إننا كلما اكتشفنا بعض حالات السلوك العدائي التي لها صلة بمشاهدة الطفل للتليفزيون، أو حالات واضحة للإدمان على المشاهدة، كنا دائمًا نجد في مثل هذه

الحالات، اختلالًا في علاقات الطفل الاجتماعية وغالبًا في علاقاته مع الأسرة، فعندما يخلو الطفل إلى التليفزيون فهو في الواقع يهرب من العلاقات الاجتماعية التي لا ترضيه.

ويبدو لنا أن في هذا القول معنى للتحدي موجهًا للآباء، فمهما كان الأثر المتوقع من التليفزيون أو من أية وسيلة أخرى؛ يستطيع الآباء أن يقوموا بإجراءات مضادة لمواجهة أية انطباعات ضارة بالنسبة للأطفال العاديين، ولكن هذه العملية ليست دائمًا من السهولة بمكان، لأنها تستغرق زمنًا، وتتطلب جهدًا وفهمًا لكيفية إنشاء علاقات أسرية سليمة داخل المنزل، كما تتطلب مساعدة الآباء لأطفالهم لإقامة الصداقات مع نظرائهم في السن وجماعات اللعب وفي حالات المراهقة عندما ينشغل المراهق بشتى أنواع النشاط تتطلب مثل هذه العملية بذل الجهود الخاصة والتضحيات من جانب الآباء لإتمامها بنجاح، ويحتاج الأمر إلى خبرة المتخصص لمساعدة الطفل المنطوي على نفسه مع التليفزيون، أو الذي يصدر عنه سلوك عدائي زائد عن الحد، وقد يضطر الوالد الذي لديه مثل هذا الطفل أن يلجأ إلى استشارة الإخصائيين، هذا هو أهم عمل يمكن أن يقوم به الكبار ليس فقط فيما يختص بالتليفزيون وإنما أيضًا من أجل أطفالهم بوجه عام.

ولا يتسع المجال هنا لكتابة مقال عن تكوين البيت السعيد وتوفير الأمن للطفل ولكن يكفي أن نعيد إلى الأذهان بعض إشارات الخطر التي سبق ذكرها.

ففي كل مرة يستعمل الوالدان التليفزيون كوسيلة لاجتذاب انتباه الطفل يحسن أن يرجعا إلى خبرتهما في هذا الشأن ليتأكدا أن ذلك الإجراء ضروري، وفي كل مرة يلحظ الوالد أن طفله يشاهد التليفزيون أكثر من ساعتين ونصف يوميًا وهو منطو على نفسه مع الجهاز بينما نظراؤه من الأطفال يلعبون بالخارج يجدر به أن يسأل نفسه عن وجود اختلال في علاقات الطفل بأسرته وجماعة أصدقائه، وإذا رأى الوالد أن ابنه يستغرق في أحلام اليقظة أو يقوم على انفراد بأداء الأدوار الخيالية التي شهدها في التليفزيون، فيجب عليه أن يبذل جهده ليعيد الصلات بين ابنه وأصدقائه، وعندما يرفض الوالد مشاركة طفله بعض النشاط بحجة أنه مشغول بعمل إضافي، أو أن لديه اجتماعًا هامًا فعليه التأكد أن ذلك لا يحدث كثيرًا وعليه أيضًا أن يسأل نفسه كم مضى من الزمن منذ قام ببعض النشاط مع ابنه (سواء كان ذلك قراءة قصة أو لعب بالكرة أو خروج للنزهة) هذه هى علامات الخطر التي يمكن ملاحظتها على الطفل في وقت مبكر قبل أن يصبح من غير الأسوياء أو مدمنًا على مشاهدة التليفزيون أو يسير في طريق الانحراف.

والآباء الذين يهتمون بضآلة القيمة العلمية لمحتوى البرامج في التليفزيون، هل يبذلون ما في وسعهم لإرشاد أبنائهم إلى بعض البرامج والخبرات التليفزيونية الأخرى التي تستثير فيهم النشاط الايجابي ؟

ليست هناك إلا فرصة ضعيفة جدًا لعرض البرامج الواقعية في التليفزيون التجاري ولكن برامج التليفزيون بصفة عامة بها من المعرفة أكثر

مما يحتاج الطفل، غير أن فائدة الطفل منها لا تتحقق بسبب قوة جاذبية الجهاز التي تدعو المشاهد إلى رؤية البرامج الخيالية، ولأن استعماله في هذا الغرض راسخ في أعماق الطفل، وأخيرًا لأن الطفل لا يستطيع وحده أن يكتشف المعرفة التي يريدها في البرامج الواقعية في التليفزيون وما يشاهده الطفل من نفس هذه البرامج، فمثلًا لو أن الوالد كان يشاهد البرامج التليفزيونية التعليمية فمن المؤكد أن الطفل أيضًا سيشاهد مثل هذه البرامج – وإذا لم يشاهد أحد الوالدين تلك البرامج فمن المحقق أن الطفل لن يراها هو الآخر.

وهذا يوضح أن سلوك الآباء فيما يتصل بمشاهدة التليفزيون له آثار قوية في نفس الطفل، ويمكننا القول أيضًا بأن الآباء إذا تعودوا على مشاهدة برامج المؤتمرات الصحفية يوم الأحد وما بها من مناقشات فغالبًا ما يحذو الأبناء حذوهم عندما يكبرون لأنهم يتخذون الآباء مثلًا لهم، وبالاضافة إلى ذلك يمكن للآباء من جانبهم أن يوجهوا أولادهم إلى البرامج الصالحة وأن يبينوا ما بها من فرص لاكتساب المعرفة، ويمكن للآباء أن يسألوا أنفسهم إذا كانوا يناقشون مع الأسرة بعض موضوعات البرامج الواقعية في التليفزيون، ومن البديهي أن الأمور لا تسير عكس مجراها الطبيعي، فإذا كانت مسائل الشئون العامة والموضوعات العلمية والمشاكل الاجتماعية والآداب والشئون السياسية لا تنال نصيبها من الاهتمام في مناقشات الأسرة، فمن الصعب إقناع الطفل بأهميتها وضرورة مشاهدتها في التليفزيون.

والآباء الذين لا ترضيهم إذاعات التليفزيونية، هل يفعلون شيئًا في هذا السبيل ؟

يبدو أن الآباء لا يدركون مدى قدرتهم على إحداث التغيير في برامج التليفزيون، لقد حاول أحد مؤلفي هذا الكتاب أن يحطم الخرافة التي تدعي أن "التليفزيون جهاز ضخم والمشاهد ضعيف لا حيلة له أمامه" حقًا أن التليفزيون صناعة كبيرة ولكنه يعتمد إلى حد بسيط على تشجيع جماهير المشاهدين بينما يقوم أساسًا على القيمة المادية للبرامج فهى مقياس لحجم الجماهير.

ومن خبرتنا أن كبار المسئولين عن التليفزيون لا يعتقدون في تخطيط البرامج على أساس اعتمادها على المشاهدة، بل يشعرون بأن عليهم تقديم خدمات لبعض المصالح الخاصة بالاضافة إلى مصلحة عامة الجماهير من المشاهدين، ويحسون كذلك أن التليفزيون بوصفه أداة للخدمة العامة، عليه أن يقدم للجماهير بعض البرامج التي يفضلون مشاهدتها لكي يكونوا مواطنين صالحين في بلد ديمقراطي.

ومن خبرتنا أيضًا مع كبار المشتغلين بالتليفزيون أنهم يحسون بنداءات الرأي المستنير من جماهير المشاهدين وهم ينتظرون الآراء الإيجابية من الجمهور وخاصة عندما يقدمون برامج جديدة للأطفال، أو عندما يقدمون على إحدى التجارب في البرامج الواقعية، وفي مثل هذه المناسبات قد يتوقف استمرار عرض البرنامج أو إلغاؤه على خطاب تتلقاه المحطة متضمنًا رأيًا بناء لأحد المشاهدين.

ويستطيع الآباء كذلك أن يعبروا عن رأيهم في البرامج المختلفة عن طريق الاتصال بالمشرفين على إعلانات التليفزيون وهم الذين يؤيدون مثل هذه البرامج، فإذا بعث أحد الآباء برسالة إلى أحد المعلنين يوضح له فيها بالحجة القوية والرأي السليم وجهة نظره في كفاية برنامج ما أو عدم كفايته، فمثل هذا العمل يعتبر إجراء سليمًا.

والمسئولين عن الإعلان لا يتعرفون في كثير من الأحيان على آراء المشاهدين من الجماهير، فإذا تلقوا بضعة رسائل تتضمن اقتراحات سديدة من بعض الآباء فلاشك سيكون لها أثر عظيم، ونذكر على سبيل المثال أن نائب المدير في إحدى المحطات كتب بصراحة في تقرير له أن متعهدًا لأحد البرامج الاخبارية أراد أن يدخل عليه بعض التعديلات لأنه تلقى ثلاث رسائل تفيض بالشكوى من بعض المشاهدين، فالتعبير عن رأي المشاهد كتابة له فائدته وأثره".

وهناك وسيلة أخرى يستطيع بها الآباء أن يعبروا عن آرائهم في البرامج التليفزيونية، ففي ما يقرب من ٤٥ بيئة [1] من الولايات المتحدة توجد الآن محطات إذاعية غير تجارية ومخصصة للبرامج التعليمية والثقافية، وهى كما ذكرنا تعتمد اعتمادًا كاملًا على الهبات والتبرعات من الهيئات المختلفة، وهذه المحطات تكرس برامجها للعلوم والمعارف الواقعية وتمد المشاهدين الكبار والصغار بالخبرات التي تتحدى تفكيرهم وتستثيرهم إلى النشاط المثمر، ولكن الميزانية التي تعتمد عليها المحطة التعليمية أقل من

[1] – يعتبر المؤلفون أن الولايات المتحدة الامريكية بيئات اجتماعية مختلفة.

ميزانية المحطة التجارية كي تصبح قادرة على الاستفادة من الكفاءات والمعدات مثل المحطات التجارية، وبذلك تحقق وظيفتها على أكمل وجه باعتبار أنها وسيلة للخبرات الواقعية أكثر منها وسيلة للخيال.

والمحطات التجارية تخضع لضغط شديد من المنافسة مما يجعل البرامج المقدمة للأطفال في أضيق الحدود أما المحطات التعليمية التي تقيمها الهيئات المختلفة فلا تخضع لمثل هذا الضغط ولكن يعوزها التمويل وليس لها إلا سند ضئيل، وفي الوقت الحاضر يعتبر هذا نوعًا من التحدي بالنسبة لكل بيئة بها محطة تعليمية، فهل الآباء على استعداد لأن يشجعوا هذه المحطات التليفزيونية التعليمية حتى تؤدي وظيفتها على أكمل وأكفأ صورة ؟

وأخيرًا نقول، لماذا لا يكون هناك متحدث باسم الآباء فيما يختص بالإذاعات التليفزيونية ؟

إن المسئولين عن التليفزيون لهم متحدث باسمهم ذو نشاط وكفاءة في هذا المجال وهو يمثلهم في الرابطة الوطنية لمذيعي التليفزيون، وقد يكون من الضروري تكوين اتحاد وطني يمثل الآباء (لمناقشة كل ما يخص إذاعات الأطفال في التليفزيون) ولو أن هذا قد يبدو أمرًا صعب التحقيق وغير عملي.

ولكن لنفرض أنه بمعونة إحدى المؤسسات أو هبات الأفراد أمكن إنشاء هيئة تعبر عن آراء الجمهور فيما يختص بالتليفزيون وستكون هذه الهيئة بمثابة مجلس من المواطنين البارزين تتبعه هيئات للأبحاث تكون

وظيفتها:

١- تجميع آراء الآباء والأطفال عن التليفزيون وتسجيلها في تقارير.

٢- مراقبة البرامج التليفزيونية الحالية المخصصة للأطفال.

٣- إبلاغ الآباء بما يجد في هذا الميدان.

٤- إجراء الأبحاث فيما يختص بالبرامج اللازمة لإذاعات الأطفال وتستطيع هذه الهيئة أن تتقدم للحكومة بمخطط عن السياسة العامة للإذاعة وأن تعرض على المسؤلين عن الإذاعة مقترحاتها العملية، ويبدو أن مثل هذا المجلس المقترح إنشاؤه من المواطنين لن يكون عسير الاجراء أو كثير التكاليف، وبلا شك سوف يكون لآرائه قيمتها وأثرها الفعال على السياسة العامة للتليفزيون، ومسئولياته.

أسئلة موجهة إلى الباحثين والمهتمين بشئون الطفولة

ألا يجدر بنا أن نقوم بدراسة متعمقة وطويلة الأجل لأثر التليفزيون في حياة الأطفال ؟

توجد ثلاثة اتجاهات رئيسية للدراسة التي حاول بها الباحثون اكتشاف بعض الشيء عن آثار التليفزيون.

أول هذه الاتجاهات يقوم على الدراسة الاجمالية على نطاق كبير وخير مثل على ذلك كتابنا هذا، والكتاب الذي ألفته هيملوايت وفنس

وأوبنهايم في انجلترا، والدراسة التي من هذا النوع تكون عادة مبنية على عمليات المسح الاجتماعي والتجارب الميدانية وفي هذه الدراسة يوجه الباحث أول الاعتبارات إلى مظاهر السلوك المرتبط بمشاهدة التليفزيون وإلى المختلفة من استعمالات التليفزيون.

يتطلب البحث وجود عينات كثيرة متباينة من الأطفال.

والهدف من هذه الدراسة تكوين الإطار العام لمفهوم العلاقة بين الأطفال والتليفزيون على اعتبار أن هناك تفاصيل دقيقة سوف يتضمنها ذلك الإطار والاتجاه الثاني للدراسة هو ما يجرى من التجارب العملية، على مثال ما رأينا في أبحاث السيدة "ماكوبي" وسيجل "وألبرت" وتقوم هذه الدراسات في مجال ضيق من الخبرة وعلى عينات قليلة العدد من الأطفال، وهؤلاء الأطفال يتعرضون – في ظروف يتحكم فيها الباحث – لعوامل مثيرة ثم تسجل استجاباتهم لهذه الاثارات وتعمل لها مقاييس ويكون هناك تحكم في العوامل الأخرى المثيرة بحيث تكون بعيدة عن الطفل.

ونتائج هذه الأبحاث دقيقة وقابلة للتطبيق.

ولكن الدراسات التي من هذا النوع ليست بذات قائدة كبيرة عند تجميع النتائج أو الربط بين التجارب المختلفة، ومع ذلك فلها فائدة عظمى لأنها تبصرنا بدقائق العمليات التي تستطيع التليفزيون أن يحدث بها آثاره على الأطفال.

والدراسة التي على نطاق واسع يشوبها بعض النقص إذا لا يمكن

تركيزها على دقائق العملية أو تطورها فإن التجربة البسيطة التي تجرى في معمل علم النفس ذات فائدة في أنها تعطينا لحظة قائمة بذاتها من حياة الطفل ولكنها لا نستطيع أن تدرس الطفل على مر الزمن كما أنها لا تمكننا من فهم النتائج التي تحدث على المدى الطويل لأن ذلك يحتاج إلى نوع ثالث من الدراسة، ونعني بذلك الدراسة الطويلة المدى المتعمقة التي تتناول عددًا قليلًا من الأطفال بالمقارنة بالدراسات الأخرى حتى يمكن للباحثين أن يكونوا على معرفة تامة بالأطفال بالمقارنة بالدراسات الأخرى حتى يمكن للباحثين أن يكونوا على معرفة تامة بالأطفال ولكي يتفهموا نتائج التجارب بكل دقائقها وتجميع النتائج وملاحظة ما بينها من تفاعل وصور النمو والتطور والابحاث العلمية التي تمت للآن لا تتضمن مثل هذه الدراسة الطويلة المدى عن التليفزيون والأطفال.

وقد بدا لنا ونحن على وشك الانتهاء من دراستنا هذه أننا في أشد الحاجة إلى النوع الثالث من الدراسة التي تقوم على أبحاث طويلة المدى أكثر مما تعتمد على عدد الحالات أو موقع الدراسة والآثار التي تسبب أشد القلق – إذا كان لها وجود – هى من النوع الذي يظهر بعد المدى الطويل وعملية تكون وظهور الأثر عملية معقدة إلى أقصى حد ولا يمكن تفهمها لأن كل منها يحتمل تغيره في أي وقت.

لذلك ترى أن الأمر يستدعي أن تستند الدراسة على تفهم عميق ودراية نتيجة للتعرف على عدد قليل من الأطفال مدة طويلة من الزمن بدلًا من معرفة عدد كبير من الأطفال معرفة بسيطة.

ونحن على علم بالاعتراضات على الأبحاث الطويلة المدى لأنها تتطلب ارتباطًا طويلة من الزمن مما يجعل الباحثين على غير استعداد لقبولها مقدمًا وهذه الأبحاث – لما تتكلفه من مصروفات كبيرة – تتطلب تأكيدًا لاستمرار عملية التمويل ووجود الباحثين اللازمين للدراسة مع ضمان التعاون المتبادل بين العاملين لتنظيم البحث، ولذا فهذه الأبحاث من النوع الذي لا يستطيع الفرد أن يضطلع به عرضًا أو اتفاقًا.

ولكن الدراسة الطويلة المدى تأتي في الدرجة الأولى من الأهمية إذا أردنا أن نسير قدما في موضوع استعمالات الأطفال للتليفزيون ويسرنا أن يبدأ من الآن مشروع بحث على مدى عشر سنوات مع احتمال زيادة المدة أكثر من ذلك.

ونأمل أن يشترك في البحث عالم نفساني، وطبيب نفساني، وعالم اجتماعي متخصص في الأسرة وإخصائي في أبحاث الوسائل العامة ويحتاج الأمر أيضًا إلى تعاون من جانب المدرسة والأسرة، لأن بعض موضوعات البحث على أقل تقدير ستكون متصلة برفقاء الطفل في المدرسة أو زملائه في اللعب لكي يربط الباحث بين علاقات الطفل الشخصية بأصدقائه ومشاهدة للتليفزيون أو سلوكه المترتب على المشاهدة، ونتوقع أن يكون من مقومات البحث سلسلة من التجارب الصغيرة، وكلما استمرت لمدة أطول، وكلما كان فهمنا للأطفال أكثر، كلما زادت الفائدة المستمدة من تلك التجارب، ونود أن نرى على الأخص دراسة مستمرة وأكثر تكاملًا لتعلم الطفل من التليفزيون وبالذات تعلم القدرات وتعلم اكتساب أنماط

الذوق المتصل باستعمال التليفزيون واكتساب الانطباعات التي تؤثر على الشخصية والسلوك عندما يكبر الطفل.

وينبغي ألا ننتظر عشر سنوات حتى تتكامل ثمار هذا المشروع، لأن النتائج الفترية للأبحاث ستظهر تباعًا وعلى مر السنين، وسوف يكون في الحسبان مقابلة الأبحاث التي تجري في أماكن أخرى بنتائج أبحاث هذا المشروع الطويل المدى فيمكن مطابقة النتائج بعضها ببعض والعمل على نشر نتائج هذه الأبحاث المستفيضة بين جميع هيئات البحث في العالم.

وبتعبير آخر إن مشروعًا كبيرًا للبحث من هذا النوع يزيد من معرفتنا بالمسائل الهامة في مجال التليفزيون أكثر من أي بحث آخر.

وسيكون لهذا البحث فائدة قصوى للإذاعيين الآباء ورجال التعليم وأصحاب الرأي، وسيترتب عليه حصيلة بالغة الأهمية من البيانات يمكن أن تقوم عليها سياسة وطنية حكيمة للإذاعة بقدر ما يستطاع تطبيقها في مجال البرامج التليفزيونية المخصصة للأطفال.

وكلمة أخيرة نلخص فيها هذه المقترحات، إننا نواجه مشكلة: فإما التعاون بين بعض الهيئات ورجال التليفزيون أو الإبقاء على الوضع القائم، إن برامج التليفزيون بها ألوان مختلفة من الخبرة والمعرفة كما أن الطفل له خبراته ومعارفه، ويعنينا هنا أن يعمل التليفزيون على زيادة وتدعيم المعرفة الإنسانية بدلًا من إضعافها ويمكن تحقق هذا الهدف بغاية البساطة وبأقصى فاعلية لا بجهود فردية، من جانب المسئولين عن التليفزيون،

الآباء أو رجال التعليم، أو رجال الدين، وإنما بتعبئة كل القوى العاملة في المجتمع التي لها علاقة بموضوع الطفل والتليفزيون (لوضع سياسة إذاعية حكيمة).

ولابد أن يسهم كل بنصيبه ليكون له جانب من المسئولية ولابد أيضًا من تعبئة المواهب وروح المسئولية العامة عند رجال الإذاعة والحب والعطف عند الآباء والتوجيه من جانب المدرسة وحتى إلى جانب ذلك خبرة الباحثين واهتمامهم.

وفيما يختص بالمسئولية الواجبة على الباحثين نرجو أن نكون قد أسهمنا ولو إلى قدر يسير بكتابنا هذا.

ملحق

أحلام اليقظة مع صور الشاشة الساحرة

مقال أعده "لورنس زبليك فريدمان" اخصائي الأمراض النفسية لمركز الدراسات العليا لعلم السلوك – ستانفورد – كاليفورنيا عن "آثار التليفزيون على الطفل"

إن أحلام اليقظة التي يستغرق فيها معظم الأطفال قد تبلغ من الوضوح والقوة درجة تتضاءل أمامها أشد برامج التليفزيون إثارة، كما أن القصص العاطفية قد تبدو غامضة لو قورنت بالصور الواقعية التي تتجلى عليها الأحلام، وإن التليفزيون بكل ما تتيحه إمكانياته للطفل يعتبر قزمًا ضئيلًا أمام الخيالات العملاقة التي يراها الطفل في أحلامه، ولكن التليفزيون وسيلة عامة تشترك في مشاهدة برامجه جماهير الناس، وتستطيع شاشته الساحرة أن تسيطر على حواس البصر والسمع التي يستعملها الأطفال للتمييز بين الخيال والواقع.

وقد يظن بعض الناس أن التليفزيون مثله كمثل الأحلام وسيلة يرفه بها الإنسان عن نفسه في وقت الفراغ بعد نشاطه الدائب في الحياة الجدية.

حقًا إن كلًا من التليفزيون والأحلام يمنح الإنسان فرصة لإشباع رغباته في الخيال لمواجهة الشعور بالإحباط الذي يصادفه في عالم الواقع

ولكن إذا أفرط المرء في إحدهما فقد يترتب على ذلك أن يصبح بديلًا ضارًا من الحياة أو ربما يؤدي إلى حالة مرضية، وقد اعتدنا أن نحصل من أحلام اليقظة والتليفزيون على صورة مقلوبة لما في نفوسنا من عاطفة كما أنه عن طريقهما يمكن تحليل دقائق شخصياتنا وحالة المجتمع الذي نعيش فيه، مما دعانا إلى تقديم هذا البحث النفسي المختصر عن أثر التليفزيون على حياة الطفل النفسية وسلوكه الاجتماعي.

لقد تخيل أحد النابغين أنه قبل انقضاء ربع قرن يمكن أن يوجد مجتمع يتحول فيه الإنسان عن طريق وسيلة سمعية بصرية قوية إلى كتلة جامدة يمكن السيطرة عليها، أما "الدوس هكسلي" فقد كون صورة لعالم يصبح فيه البشر وقد اختفت من بينهم المميزات الشخصية والآمال والآلام التي يختص بها كل منهم على حدة وذلك نتيجة لاكتسابهم المعرفة عن طريق وسيلة عامة، ويحذر بعض المفكرين من أن سير الناس وفقًا للمستويات العادية (في الثقافة والمعرفة) والحد من الجهود البناءة سيؤدي في النهاية إلى القضاء على نبوغ الإنسان وعبقريته المتفوقة وقد وجه علماء الطب النفسي الانظار إلى أسئلة خطيرة في موضوع مشاكل الأمراض النفسية المنتشرة بين الناس نتيجة لطول مشاهداتهم للتليفزيون مع ما يتصل بذلك من استسلام تام من جانب المشاهد بكل ما لديه من نشاط شخصي وجسماني وعقلي [1] .

فهم يولون – ضمن ما يعرض عليهم من حالات – أعراض السلبية

[1] – يقصد من هذه المقالة توجيه الانظار إلى خطورة آثار التلفزيون على النشء.

والاستعداد السابق لاكتساب الشخصية الضعيفة المنشطرة التي تميل للانطوائية، والآباء (الذين يسرهم أكثر مما يقلقهم بقاء أطفالهم هادئين بالمنزل) يستنكرون تفاهة البرامج المليئة بالعنف والوحشية التي تعرض شاشات التليفزيون ويخشون من أن تكرار إذاعة البرامج التي تصور الجريمة قد تستثير في نفوس أبنائهم بعض الميول الانحرافية.

فهل يعمل التليفزيون على تنمية عادات السلبية والاعتماد على الغير والاستسلام وانقسام الشخصية في أطفالنا ؟ وهل يغرس في نفوسهم الإقبال على العنف والانحراف ؟ وإذا كان التليفزيون يقوم بذلك فإلى أي درجة وكم تكون النسبة المئوية لمن يتأثر به من الأطفال المشاهدين ؟

وليس لدينا الآن ما نجيب به على هذه الأسئلة، فللآن لم تظهر دراسة نفسية مناسبة لكي توضح زيادة أغراض مرض الشخصية المنشطرة بين الأطفال منذ انتشار استعمال التليفزيون، وكذلك لم تؤد الأبحاث الدقيقة إلى إيجاد صلة بين ارتفاع نسبة انحراف الأحداث والمواد التي تتألف منها برامج التليفزيون أو مشاهدة تلك البرامج، ومع ذلك فلا يبرؤنا أن ننفي الاتهام الوارد في هذين السؤالين؛ حقًا إننا لا نجد لهما إجابة للآن، ولكننا نظن أن الإجابة لن ترضينا.

وهناك افتراض شائع أن التليفزيون يؤدي إلى اختلال الصحة العقلية وإلى الانحراف الاجتماعي، وهذا الافتراض يتضمن عرضًا لمختلف العوامل ونقاشًا حول موضوعات متباينة، ومشاهدو التليفزيون من الأطفال في أمريكا يتفاوتون في الأعمار من سنتين إلى أواخر مرحلة المراهقة (٢- ،

١٧ ، ١٨) سنة وهؤلاء الأطفال وعائلاتهم ينتمون إلى شعوب تنحدر من أجناس مختلفة، كما أنهم يختلفون من حيث مراكزهم الاقتصادية والاجتماعية ومن حيث معامل الذكاء، ومستوياتهم الثقافية والبيئة الجغرافية لذلك كان التليفزيون في الولايات المتحدة أداة محركة تتأرجح بين مختلف الاتجاهات والتيارات.

إن عملية تطور الطفل إلى كائن بشرى ناضج، هى من وجهة نظر علم النفس، عملية معقدة إلى درجة لا يحتمل معها أن نتنبأ بحدوث استجابات سلوكية خاصة نتيجة لعامل بمفرده من العوامل المؤثرة على الطفل، إن التشابك الدقيق بين العوامل النفسية المؤثرة والقوى المتطورة التي تميز الطفل لابد أن تخضع للدراسة لمعرفة علاقاتها بما يدركه عن طريق السمع والبصر.

ولابد كذلك من أن نتعرف على الاستعدادات النفسية السابقة للطفل النامي نحو الإيجابية أو السلبية وأن نلاحظ كيف يحاكي والدية ومدرسيه ورفقاءه في الحديث والسلوك والاتجاهات، وكيف يدمج هذه العناصر المكتسبة مع شخصيته المتطورة، ثم كيف تبرز شخصيته هو من بين هذه القوى المؤثرة المستمدة من تلك الشخصيات الهامة إلى أن يصبح في النهاية شخصية لها قوة دفع ذاتي لا مجرد كائن حي له دوافع آلية.

وينبغي أن تتضمن هذه الملاحظات عن الطفل الثواب والعقاب في المجتمع الذي يعيش فيه، ومقياس الرضا عن النفس، والتحرر العاطفي من

وصمة النفس بالضعف والإثم [1] ، وإلى جانب ذلك يهمنا أن تعلم إذا كان الطفل قد تربى في جو يحيط به الوفاق والحب بحيث يكتسب القدرة والاستعداد للاندماج مع غيره من البشر.

كما يجب أن نبحث قدرة الطفل على استيعاب الخبرات وحفظها في اللاشعور وعلى استنكار (أو التخلص من) العواطف والمدركات والأفكار التي لا توائم شخصيته العامة حتى يصل إلى تكوين وحدة متكاملة من المؤثرات المتباينة غير المتكافئة.

إن دراسة آثار التليفزيون على الطفل تعتمد على هذه العوامل النفسية وقوتها والتوازن بينها وليس على مجرد تحليل محتويات البرامج التليفزيونية وباختصار القول لا يمكننا أن نقيم آثار التليفزيون على الطفل ما لم نتعرف على شخصيته والبيئة التي تحيط به، فقبل أن نتنبأ بالاستجابات التي يقوم بها الطفل، علينا أن نعلم، من هو، وما هى المؤثرات التي يستجيب لها.

هذا الطفل، هل تستهويه شخصية البطل الطيب أو البطل الشرير وهل تعجبه الأعمال الإجرامية العنيفة التي يقوم بها رجل العصابات، أم تستهويه فضيلة المحافظة على القانون التي يمثلها رجل الشرطة ؟

وهل يتفاعل مع القصة مدفوعًا بالعاطفة ومتأثرًا بالإحساس أو حسب قدرته على تفهم أحداثها التي تتحتم نهايتها بانتصار الخير ؟

---

[1] – يشير إلى الفكرة التي تقول أن الإنسان جاء من خطيئة آدم وحواء.

وهل يهتم بالصورة العامة للقصة أم بالحدث الذي يسبق النهاية ؟[1]

وما هو أهم ما يلفت نظر الطفل في عملية المشاهدة ؟

فإذا ركزنا التفكير على هذه الاعتبارات استطعنا أن نكون رأيًا نظريًا عن العوامل النفسية التي قد تساعدنا على التنبؤ بما قد يكون للتليفزيون من دور في إحداث أمراض نفسية للطفل أو العجيل بظهور سلوكه الانحرافي.

ولنتحدث الآن عن عامين – كل على حده – نعتبرها قضية مسلم بها.

الأول أن الطفل الأمريكي العادي يقضي من ساعتين إلى ثلاث ساعات يوميًا في مشاهدة التليفزيون، والأمر الثاني أنه يشاهد كثيرًا جدًا من برامج العنف والجرائم الوحشية والقتل من خلال هذه الساعات.

والحكم على الحالات التي ترد إلى عيادات الأمراض النفسية فيما يختص بأهمية المدة التي يستغرقها الطفل في مشاهدته للتليفزيون من وجهة نظر اخصائي الأمراض النفسية – هذا الحكم – لا يكون له معنى واضح إلا أذا عرفنا الخواص المميزة لعادات الطفل في المشاهدة مع مقارنتها بعادات نظرائه من الأطفال من نفس السن والطبقة الاجتماعية والبيئة.

وإن الحالات الفردية في تشخيص الأمراض النفسية مهما أثارت أسفنا من الناحية الاجتماعية فإنها دائمًا ترتبط بانحرافات السلوك العلني

---

[1] – أي نقطة الذروة عندما يصل الانفعال إلى أعلى درجة.

أو بالمشاعر الذاتية والتصور العقلي.

أما إذا اختلف الطفل كثيرًا عن نظرائه فهنا يمكننا أن نتوقع زيادة كبيرة في مدة لمشاهدة من جانب الطفل بوصف أنها أحد أعراض المرض النفسي الذي يشكو منه، فإذا زادت المشاهدة عن الحد على أساس هذه المقاييس فمن المعقول أن نفترض أن هذا السلوك دلالة على خضوع الطفل لضغط لا يحتمل من البيئة التي حوله، سواء كان ذلك خلافًا مع أفراد أسرته أو شعورًا بالإحباط في المدرسة أو بين جماعة أصحابه ورفقائه أو زيادة القلق النفسي أو التقلب العاطفي ، وأن الانطباعات الوجدانية التي تحدثها مختلف البرامج التليفزيونية في نفس الطفل أكثر أهمية من طول مدة المشاهدة، وبوجه عام يمكن أن نفترض أن الطفل العادي الذي نشأ في بيئة ثابتة لا يخلط أحداث العالم الخيالي بالخبرات الواقعية التي تقوم على علاقاته الشخصية مع أفراد أسرته، ومعظم الأطفال الصغار يعتبرون العلاقات الشخصية المباشرة أهم وأجدى في تحقيق الرغبات من البرامج المصورة التي يرونها في التليفزيون، والوسائل الدفاعية من جانب الطفل التي سبقت الاشارة إليها تساعده على تحمل الصدمات النفسية وتعكسها بعيدًا عنه وبذلك يكون لاستجابته للمثيرات العنيفة أقل الآثار في نفسه.

وبدراسة فروقات السن والبيئة نستطيع التنبؤ بمكان الطفل في هذه التقسيمات على أساس الصحة النفسية فيكون عمق الأثر النفسي لاستجابة الطفل للتليفزيون هو المقابل لتحقيق رغباته التي يحصل عليها من الوسط الاجتماعي الذي يعيش فيه بين أسرته ومدرسته وأصدقائه، فيمكننا

أو نتنبأ بأن الطفل الأقل ذكاء، والمصابين بالقلق والذين على خلاف شديد مع أفراد أسرهم وأصدقائهم هم الذين يستغرقون في مشاهدة التليفزيون هربًا من مشاكلهم وليجدوا فيه عاملًا مثيرًا، أما الأطفال الاذكياء والذين يتمتعون بحياة هادئة نسبيًا في بيوت يسودها الوفاق فهؤلاء بالمقارنة بالمجموعة الأولى لا يتأثرون ببرامج التليفزيون.

وبالنسبة للأطفال الذين لا تضار قدراتهم بالتليفزيون فإنهم لا يكتفون بالشخصيات الخيالية التي يرونها في البرامج كبديل من العلاقات الشخصية الحقيقية كما أنهم لا يقلدون تلك الشخصيات الخيالية.

والأطفال الصغار ذوو الشخصيات المنشطرة تكون لديهم ميول عنيدة للابتعاد عن العلاقات الوثيقة بالناس وللانطواء على أنفسهم والاستغراق في أحلام اليقظة والخيال، ومن الصعب عليهم إبداء العداء أو التعبير عن مشاعر العاطفة، ولذا فهم يغلقون شخصياتهم على أنفسهم فيعتبرهم الناس غير طبيعيين كما أنهم لا يميلون إلى مصادقة الناس.

وإذا قست عليهم ظروف الحياة فإن أحوالهم تسوء حتى تصل إلى مرض انقسام الشخصية وبالنسبة لهؤلاء الأطفال يعتبر التليفزيون ملجأ يهربون إليه من مشاكلهم مع الأصدقاء وأفراد الأسرة وهو أيضًا وسيلتهم للاستغراق في الخيالات ورغم ذلك فلا يحتمل أن يكون التليفزيون هو مصدر هذه الخيالات مع أن وجود التليفزيون نفسه قد يساعد على تجميع دقائق تلك الصور الخيالية.

وهناك أيضًا أطفال صغار من مشاهدي التليفزيون تتكون لديهم ميول هيستيرية غير مترابطة، وكذلك ميول غير ثابتة نحو الشخصيات الدرامية التي يعجبون بها، كما أن لديهم افتراضات إيهامية لعادات ومغامرات خيالية، وبدراستنا لبرامج التليفزيون نستطيع معرفة مختلف النماذج من هؤلاء الأطفال ولكن فيما يختص باستعداداتهم للأمراض النفسية، ينبغي أن نرجع إلى عائلاتهم.

والأطفال الذين يشكون من الأمراض النفسية والذين تكونت لديهم صور غير صحيحة عن الكبار والذين تكون أجهزة الرقابة على الذات وضبط النفس عندهم غير سليمة هؤلاء يحتمل أن تكون علاقتهم مع غيرهم من الناس غيرهم من الناس غير متينة ومتغيرة ومثل هؤلاء بحكم كونهم متحفزين للثورة على النظام وغير واثقين من الصور المميزة لشخصياتهم وبعيدين عن الصلات بالناس، قد يتخذون شخصية إجرامية يرونها في التليفزيون نموذجًا لهم ويقلدون أعمالها تعبيرًا عن ثورتهم ضد المجتمع.

والأطفال المصابون بالقلق النفسي تكون عملية تفهمهم للشخصيات مضطربة ويستولى عليهم الحزن بسبب عنف الدوافع التي لديهم، هؤلاء الأطفال الذين لديهم دوافع عدائية تجعلهم على استعداد للانفجار يجدون في البرامج التليفزيونية العنيفة الحافز الأخير، وفي أغلب الأحيان نرى هؤلاء الأطفال مستغرقين تمامًا بصورة سلبية ومستجيبين داخليًا، ولكنهم في هدوء من الناحية الجسمانية وفي حالات نادرة قد

يكتشف الطبيب النفساني أن بعض صور الاضطراب النفسي مرجعها إلى زيادة القوة الايحائية للتليفزيون مثال ذلك حالة لطفل مريض بانقسام الشخصية كان كلما شاهد أحد برامج التليفزيون يقوم في الحال بتقليد أقوال وأفعال الممثلين والمعلنين عن البضائع تقليدًا حرفيًا وكاملًا، وفي الطب النفسي تعتبر مثل هذه الحالة (تقليد الاقوال والحركات) الصورة المرضية المقابلة لحالة الصحة العقلية حتى ولو قام الطفل بإعادة تمثيل الموقف الذي شاهده وهو في وعيه.

وفي رأينا أن العلاقة بين التليفزيون وإنماء القيم الوطنية وتربية المواطن الصالح أصعب في التقييم بكثير من مسألة دراسة أثر البرامج التليفزيونية على الصحة العقلية للطفل، لقد أصبح التليفزيون في الولايات المتحدة في منتصف القرن العشرين أمرًا لا مفر منه فقد انتشر في كل مكان وأصبح له طابع واتجاه ديمقراطي.

ومن المحطات التابعة لهذا المرفق الكبير يتدفق سيل مستمر من البرامج المميزة فيترتب عليها اتصال سمعي بصري في جميع أنحاء البلاد على جميع المستويات الاجتماعية ومجموعات السن التي تبدأ من سنتين، وهذا الدور الذي يقوم به التليفزيون يغطي كل الأسئلة الخاصة بالحالات النفسية التي ناقشناها هنا، ولكن إيضاح الحالات المحدودة التي نصادفها في العيادة النفسية قد تزيد من حدة الجدل بالنسبة للمشاكل الاجتماعية الكبيرة التي تترتب على هذه الحالات.

وعلى العكس من ذلك إذا تفهمنا بوضوح ما لدينا من قيم

اجتماعية فإن هذا يساعدنا على التمييز بين هذه القيم والانطباعات الفردية الضارة التي يلصقونها بالتليفزيون.

مثال ذلك أن كثيرًا من المناقشات الجادة التي تدور في موضوع التليفزيون هذه الأيام تعكس صورة للقيم الفكرية والجمالية التي تدعو إليها أقلية نادرة من المتعلمين الذين يشعرون بالأسف لأن التليفزيون أصبح مسيرًا تبعًا للدوافع التجارية التي تحتم توجيه برامج الترفيه لغالبية جماهير المشاهدون من أنصاف وأرباع المتعلمين [1] ، وإنني أتفق مع هذا الرأي ولكن ما يترتب على ذلك يظل غامضًا ما لم نستطيع التمييز بوضوح بين هذه الحاجات الثقافية والأدبية والدليل على أن عدم تضمنها في البرامج التليفزيونية هو الذي يسبب الأمراض النفسية والانحرافات السلوكية، إن مجالات التقدم العملي قد غيرت إلى حد بعيد وسائل العيش وقيم الحياة بل وقد يصل التغيير إلى شخصيات الأطفال ومن سيخلفهم من الذين سيشبون في رعايتهم [2] .

إننا نواجه تحديًا قويًا في ثلاثة اتجاهات :-

أ- أن نركز اهتمامنا بالأبحاث، وأن نقوم بدراسة متعمقة على مدى زمني طويل لأثر مشاهدة التليفزيون على شخصيات الأطفال أثناء نموهم في البيئة التي حولهم، وهذا يتطلب جهودًا مشتركة من العاملين

---

[1] – الترجمة الحرفية لتعبير الكاتب هى "الجماهير التي لم تصب من العلم إلا الهامش" أي القشور.

[2] – يقصد بذلك أن التقدم العلمي أحدث تغييرًا في شخصيات الجيل الحالية ومن سيليهم من الأجيال القادمة الذين سينشأون على شاكلتهم.

بالعيادات النفسية والإخصائيين في علم السلوك.

ب- أن نقيم أثر التليفزيون لنعلم هل ينحدر بالطابع الامريكي أم أنه مجرد انعكاس له، واذا كان التليفزيون انعكاسًا للاتجاه الأمريكي التقليدي فهل يعطينا صورة مثل التي المرآة السحرية حين تقلب الواقع إلى مظهر كاريكاتوري كأنه خيالات المجانين أم هو يعكس صورة واقعية لأمتنا كما هى الآن وكما تريد أن تكون ؟

وأخيرًا لابد لنا أن نستجيب بطريقة عملية وإيجابية لما تتضمنه هذه الدراسات والتقييمات من معان ودلالات.

الفهرس